جميع الحقوق الملكية الأدبية محفوظة لدار التراث البوديلمي بكاليفورنيا–الولايات المتحدة الأمريكية.
يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب و محتواه كاملاً أو مجزأ أو تسجيله أو إدخاله على الحسوب الإلكتروني أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيًّا لكل إجازات النشر–الرجاء الإتصال بـِ:
دار التراث البوديلمي© – كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

رقم الهاتف:
+١ ٤١٥ ٢٥٠ ٢١٢٤
عنوان الإيمايل الإلكتروني:
Karim@tijarainternational.com

جميع الحقوق محفوظة

دارالتراث البوديلمي©

بعض الرموز والخطوط المستعملة في الكتاب

- **الآيات القرآنية:**

أ) في قلب الكتاب:

إسم الخط باللغة الإنجليزية: Al Qalam Quran

حجم الخط: ١٤ pt

نموذج الخط: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

في هامش الكتاب:

إسم الخط باللغة الإنجليزية: Deco Type Thuluth

نموذج الخط: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

ملاحظة: استعملنا موسوعة القرآن الكريم الرقمية برعاية مكتب الدعوة و توعية الجاليات بحي الروضة، الإصدار :٣,٦. عنوان الموقع على الإنترنت: www.arrawdah.com

- **الأحاديث النبوية:**

إسم الخط باللغة الإنجليزية:Traditional Arabic

حجم الخط: ١٦ pt

نموذج الخط: عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: ﴿ لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ ﴾

ملاحظات: استعملنا في تخريج الأحاديث الموسوعات الرقمية التالية:

١. برنامج "موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب"، الإصدار الأول ١,٠ للشبكة الإسلامية بدولة قطر ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢م. و الموسوعة تعرض أهم المراجع و الكتب الإسلامية في شتى علوم الدين. و يضم البرنامج مجموعة كبيرة من أمهات كتب العلوم الشرعية في الحديث النبوي الشريف، والفقه الإسلامي، والفتاوى و الآداب الشرعية، و أصول الفقه و تفسير القرآن الكريم، و غيرها من الكتب. عنوان الموقع الإلكتروني على الإنترنت: https://www.islamweb.net/mw2.php

٢. برنامج "جوامع الكلم"–موسوعة حديثية شاملة تضم بين جنباتها ١٤٠٠ مصدراً حديثيا. عنوان الموقع على الإنترنت:– http://gk.islamweb.net:8080/

٣. موسوعة "المكتبة الشاملة" التي تحتوي في جنباتها أكثر من ٧٠٠٠ (سبعة ألاف) كتاب رقمي في كل تخصصات العلم الشرعي. عنوان صفحة "المكتبة الشاملة" على الإنترنت:http://shamela.ws

ملاحظة: كل الأحاديث التي ذكرناها في الكتاب؛ أ) إذا كانت بنصها الكامل و ضعهنا بين رمزين هكذا؛ ﴿...نص الحديث...﴾؛ ب) و إذا كان نص الحيث جزءًا من حديث وضعنها بين رمزين بهذا الشكل:"...نص الحديث..."

- **نص الكتاب:**

إسم الخط باللغة الإنجليزية:Traditional Arabic

حجم الخط: ١٦ pt

نموذج الخط:هذا خط الكتاب

من سلسلة "التصوف الإسلامي و رجاله في بلد الجزائر":-

ترجمة لسان الحال و منهج العرفان

في

خلاصة رسائل الشيخ و العارف بالله

السيد أحمد حبيب الجزائري

من جمع و تقديم، عبد ربه، عبد الكريم بلعيد

الطبعة الأولى

طبع في: **رمضان ١٤٣٨ هجرية**

جوان ٢٠١٧ ميلادية

تمهيد:

الحمد لله الذي أعلى مراتب العارفين بالله الأعلام و منحهم من علومه اللَّدنية ما تقصر عن إدراكها العقول و الأفهام و تقصر عن التعبير عن حقائقها المحابر و الأقلام، و الذين أطلعهم مولاهم العزيز المنان على حقائق الأسرار و شؤونه في الخلائق و الأكوان و جعل معاليهم زاهرة و أضواء فهومهم تمد الطالبين لمعرفة الواحد العلام بالنور الذي لا يدركه إلاّ من زكت و ارتقت نفسه إلى مقامات الأبرار و سار على الدرب الذي سطَّره خير الخلائق و سيد الأبرار–صلى عليه ربُّنا و سلم خير سلام، صلاة و سلاماً يحققان إيماننا و ندخل بهما دار السلام.

أما بعد فيقول المفتقر إلى الله جامع هذا الكتاب، غفر الله زلاته و تقصيره و أحسن إليه في أولاه و أخراه و والى عليه النعم و رزقه الإستقامة على صراط اللّه المستقيم، صراط أهل الله العارفين من الذين سبقونا بالإيمان و الذين اتبعوهم بإحسان؛ قال تعالى–جل جلاله: ﴿ وَالسابِقُونَ الأَوَلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالذِينَ اتبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ[1] ﴾ ؛ هذا كتاب:" **ترجمة لسان الحال و منهج العرفان في خلاصة رسائل الشَيخ و العارف بالله السيد أحمد حبيب الجزائري**" و هو تأليفٌ يجمع في طياته زبدة الرسائل التي ألفها العالم الرَّباني و الحبر الصمداني سيدي أحمد حبيب الجزائري الذي مازال حيًّا يُرزق، حفظ الله صحته و متَّع المسلمين بحياته و بارك لهم في نفحاته العرفانية الصادرة من مشكاة التوحيد و أنوار السنة المحمدية. هذا و لقد منَّ الله علينا جمع هذا المكتوب بفضله و كرمه؛ و ذلك تحقيقا لرغبتين إثنتين:–

أ) أن يستعملنا مولانا في حفظ تراث علماء أمة خير الأنام–عليه الصلاة و السلام– ضمن قوله– جل جلاله: ﴿ إنا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدمُوا وَآثَارَهُم[2] ﴾ ؛

- ب) و لينتفعَ به كل من طلب تحقيق إيمانه و اشتاقت روحه إلى معرفة الـمَّلِك العلاَّم على نهج العارفين بالله الأعلام فغاصت بذلك روحهُ في بحر معاني رسائل الشيخ الفريد و الحبر الفَهَّامة التي نقدمها لذوي الفِكرِ و الأفهام.

و هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ الكريم يُعَدُّ الكتاب الثاني الذي ننشره

---

[1] جزء من الآية ١٠٠ من سورة "التوبة".

[2] جز ء من الآية ١٢ من سورة "يس".

في سلسلة "رجال التصوِف الإسلامي لبلد الجزائر"- الذي سبقه السِّفرُ الأوَّل الذي طبعناه منذ سنين قليلة و الذي ضمَّ في طياته نبذة عطرة عن حياة سيدنا و شيخنا الهمام و المحقق في العلم و التصوف الإسلامي، و العارف بالله الأنور، مرشد الطَّالبين و ملقن الإسم الأعظم، العلاَّمة سيدنا علي البوديلمي المذكور في كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي[١]" للدكتور أبي القاسم سعد الله.

هذا و لقد حاولنا في هذا التأليف أمورا ستةً -و هي كالتالي:-

- **أولها**-أن نجمع جل الرسائل التي كتبها شيخنا و صاحب الفضل علينا، أحمد حبيب، في مسائل فقهية و عقدية التي شغلت عامة المسلمين في عصرنا الحالي.
- **ثانيها**-أن نجمع عيِّنات لتلك الرسائل التي كثر عددها و طاب محتواها و التي أرسلها لتلاميذه القاطنين ببلد الجزائر و بلدان أخرى في شتى أنحاء المعمورة. و هذا حتى يتجلى، خلالها، للقارىء الكريم منهج الشيخ في العلم و التصوف الإسلامي.
- **ثالثها**-أن نبحث في تراث و أقوال علماء المسلمين من مدارس المذاهب الأربعة لأهل السنة و الجماعة التي وافقت أراء الأستاذ في المسائل الفقهية و علوم السلوك و المسائل الإجتهادية.
- **رابعها**-أن نعرض عيِّنات لأبيات و قصائد شعرية قالها في المعرفة بالله و إرشاد السالكين. و لقد ألحقنا هذا القسم بملحق هذا الكتاب.
- **خامسها**-أن نذكر أسماء كل شيوخ السلسلة الروحية - في فن التصوف و المعرفة بالله-التي ينتمي إليها الشيخ و الأستاذ أحمد حبيب.
- **سادسها**-أن نُخَرِّجَ كلَّ الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و كلَّ ما ذكره الأستاذ في رسالاته من أقوال علماء الإسلام في الفقه و التصوف الإسلامي. كما أننا ذكرنا المراجعَ العلمية و تفاصيل الكتب التي رجعنا إليها في بحوثنا؛ فذكرنا تفاصيل ناشري الكتب و سنة الطبع، ..إلخ؛ لكي يستطيع أن يعود إليها الباحث لغرض التحقق و إستخراج النصوص المرجعية التي ذكرناها في هذا التأليف حتى نحقق بذلك غرضاً من أغراض الأمانة العلمية و التي هي الأمانة في نقل النصوص.

هذا و لقد أضفنا باباً عريضاً جاوزَ خمسين صفحةً في ملحق الكتاب-و الذي هو عبارة عن بحث مطول في مسألة التَّوسل بسيد السادات و رسول ربِّ العالمين سيدنا محمَّد-ﷺ-التي كثر فيها الكلام و سمينا الباب: "**كشف اللثام و المورد العذب الزلال في التَّوسل بخير الأنام**-ﷺ". هذا البحث قصده إثبات إجماع الأمة على التوسل بالنبي-ﷺ-قبل ظهور ابن تيمية الحراني في القرن السابع الهجري[٢]

---

[١] الكتاب: "تاريخ الجزائر الثقافي" أو "الموسوعة الثقافية الجزائرية"، المؤلف: أبو القاسم سعد الله (المتوفى: ١٤٣٥ هـ)، الناشر: دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، الطبعة: طبعة خاصة ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ١٠.

[٢] ابن تَيْمِيَّة-(٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م): أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي

كما يذكر البحث أقوال أكابر علماء الأمة المحمدية من جهابذة العلم لأهل السنة و الجماعة عبر كل العصور–من عصر قبل البعثة النبوية إلى عصرنا الحالي–التي أقرت و أيدت التوسل بالنبي الكريم–ﷺ.

و لقد قسمنا هذا الكتاب إلى ثمانية أبواب–و هي كالتالي:-

- **الباب الأول:** خطبة الكتاب و نبذة عن الشيخ و أستاذنا أحمد حبيب و ترجمة لشيخه في العلم و المعرفة، العلامة الربَّاني دفين عروس الجزائر، تلمسان، شيخنا علي البوديلمي–قدَّس الله سرَّه.
- **الباب الثاني:** " رسالة اليقين في مسائل ذات أهمية في الدِّين"؛ صفحة رقم ١٥.
- **الباب الثالث:**"رسالة إلى صديق حميم و محبين في الفرق بين التصوف الحقيقي و التصوف المجازي"؛ صفحة رقم ٤٩.
- **الباب الرابع:** "التصوف الإسلامي:مقام الإحسان"؛ صفحة رقم ٧٠.
- **الباب الخامس:** "القوام و الإعتدال"؛ صفحة رقم ٧٨.
- **الباب السادس:** "رسالة القول المعروف لمن أنكر التصوف الإسلامي"؛ صفحة رقم ١٠٨.
- **الباب السابع:** "زبدة الرسائل في إرشاد المريد السائر على منهج أهل العلم و البصائر"؛ صفحة رقم ١٢٩.
- **الباب الثامن:** "ملحق الكتاب"؛ صفحة رقم ١٨٠– و الذي يحتوي على أربعة أقسام:

–أ) القسم الأوَّل: و عنوانه–"كشف اللثام و المورد العذب الزلال في التَّوسل بخير الأنام–ﷺ"؛ صفحة ١٨١.

–ب) القسم الثاني: و عنوانه–" من قصائد الشيخ سيدي أحمد حبيب في إرشاد المريد و المعرفة بالله"؛ صفحة٢٦٩.

–ت) القسم الثالث: "سند الطريقة الشريف"؛ صفحة ٢٧٧.

–ث) القسم الرابع: " قائمة و تفاصيل كتب علماء الأمة المحمدية الذين ذكرناهم في جدول الملحق و الذين يؤيدون التوسل بالنبي الأكرم–ﷺ–بعد إنتقاله إلى جوار رِبِّه– كما أضفنا بعض التعليقات التي ذكرناها في الكتاب"؛ صفحة ٢٨٠.

نسأل الله العصمة من الزيغ و الزلل، و تحقيق ما قصدناه بفضله و كرمه و بصاحب الجاه العظيم، سيدنا و نبينا و قدوتنا رسول ربِّ العالمين–ﷺ– جعلنا الله ممن كانوا على دربه و صراطه القويم و الذين اهتدوا بهديه. آمين– ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ[١] ﴾ .

القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية. نقلا بتصرف عن؛ "الأعلام للزركلي".

[١] جزء من الآية ٨٨ من سورة "هود".

البَابُ الأَوَّلُ:

نبذة عن الشيخ أحمد حبيب
و ترجمة لشيخه
في العلم و المعرفة بالله

نبذة عن الشيخ سيدي أحمد حبيب– رعاه الله:

ولد صاحب القدر المفخم، السيد الشيخ المفضال أحمد حبيب–رعاه الله–في قرية أولاد علي، دائرة خميس الخشنة، ولاية بومرداس في بلد الجزائر في ١٩ ذي القعدة ١٣٥٩ه الموافق لِـ ١٨ ديسمبر ١٩٤٠م، و هو ابن السيد عبد القادر بن عمر حبيب–رحمه الله.

انضم سليل العلم و العرفان سيدي أحمد حبيب إلى درب الإخوان الصوفية تحت إشراف العلامة و العارف الرباني مرشد المريدين و السائرين الشيخ الجليل علي البوديلمي–قدس الله سره– في شهر ذي الحجة في عام ١٣٨٢ه الموافق لشهر مايو من سنة ١٩٦٣م؛ و كان ذلك في زاوية في مركز التكوين المهني بمدينة القبة في الجزائر العاصمة الذي كان يشرف عليه أخونا السيد الحاج عبد الحفيظ بن رقيبي–رحمه الله– و هو بدوره من تلاميذ الأستاذ. و كان أول لقاء الشيخ أحمد حبيب بالأستاذ بعد زيارة سيدي علي البوديلمي لمدينة الجزائر العاصمة لتفقد الإخوان الصوفية و زيارتهم في السنة المذكورة آنفاً. وبعد سنتين من انضمامه إلى حزب الصَّالحين، أذِن له الأستاذ في الإشراف على خدمة الإخوان بزاوية أولاد علي و القيام بحلقات الذكر و التدريس. و بناءً على شعار الأستاذ:– "إنَّ الله لا يعبد بالجهل، إنَّ الله يُعبدُ بالعلِم"، شرع الإخوان الصوفية تحت إشراف الشيخ سيدي أحمد حبيب في تعلم علوم اللغة العربية من قواعد و نحو، وحفظ القرآن المجيد و علوم الشرع الكريم و فقه العباداتِ على مذهب إمامنا الجليل و إمام دار الهجرة مالك بن أنس–رضي الله عنه. كما كانت كذلك الزاوية محلاً لتدريس علوم التصوف الإسلامي المتعلقة بتصفية القلوب و تزكية النفوس و التقرب إلى المعبود بشتى العبادات المشروعة، و كل ما دار مدارُه على محبة الله و رسوله و عباده الصالحين. و كانت تلك الدروس تُلقى في خلال أيام الأسبوع بعد صلاة المغرب بشكل دائم و مستمر. و في سنة ١٣٨٨هجرية الموافق لِـ ١٩٦٨ميلادية دخل سيدي أحمد حبيب الخُلوة و ذكر الإسم الأعظم تحت إشراف الأستاذ، و فتح الله عليه بالخير العميم و البركة.

كان سيدي أحمد حبيب و لم يزل من أبرز تلاميذ الأستاذ الذين تفانوا في خدمة النسبة الرَّبانية المباركة، نسبة الطريقة الصوفية، و كان الأستاذ سيدي علي البوديلمي–رحمه الله– يُباهي بجماعة خميس الخشنة و يظهر فضلهم ما بين الإخوان وكان يأمر تلاميذه و يقول:لا تقولوا "جماعة خميس الخشنة" بل قولوا "جماعة خميس الجنة"! إن الأستاذ أحمد حبيب يمتاز بأسلوب رفيع و يتجلى هذا في طريقة نصحه لمريدي و طلاب مقام الإحسان و العرفان و سائر المؤمنين في الرسائل التي جمعناها في هذا الكتاب. و لقد بلغني أنَّ الأستاذ كان يرسل إلى جماعة "خميس الجنة" أسئلة في علم التوحيد و المعرفة

بالله[١]؛ و هذا حتى يشاركوا إخوانهم في تلمسان في المذاكرات التي كان يستعملها الأستاذ كأسلوب لترقية المريدين و تربيتهم في العلوم الذوقية و العرفانية. و كان الأستاذ يقول، بعد تلقيه أجوبة جماعة سيدي أحمد حبيب: كم من بعيد و هو قريب!-إشارة إلى إصابتهم في الإجابة.

كما لا تفوتني الإشارة إلى أن العبد الضعيف و عبد ربه، جامع هذا الكتاب، أخذ التصوف عن الأستاذ سيدي علي البوديلمي و الفضل في ذلك يرجع إلى حضرة سيدي أحمد حبيب-جزاه الله عنا خيراً-حيث كان سببًا في ملاقاتي مع الأستاذ بمدينة إقامته و الأخذ عنه، و فضل سيدي أحمد حبيب عليَّ عظيم. إنَّ حلقاته أنعشت و لم تزل تغذي الأرواح و تجذب كل من حضرها من طلاب الآخرة و أهل العلم المتخصصين في علوم الشرع الكريم و علوم الدنيا؛ و ذلك لأسلوبه الرفيع المتميز عن غيره برقته و مناسبته لأسلوب و لغة العصر؛ و في الآثر: "الصوفي ابن وقته!"-و الشيخ سيدي الحاج أحمد-رعاه الله-لا يزال على قيد الحياة و هو من أهل التربية الروحية البارزين و الذي لم يزل يبذل النفس و النفيس في خدمة دين الله الحنيف و يجاهد بمساهماته في التدريس اليومي بزاويته و بتنقلاته في مختلف البقاع لترسيخ علوم التصوف الإسلامي الصحيح الذي يقوم على الأسس المتينة لكتاب ربنا ﷻ و سنة نبيا محمد-ﷺ- و ما كان عليه عباد الله الصالحين من تقوى و معرفة و حسن السيرة في الظاهر و الباطن حسبما جاءت به التعاليم الربانية في الكتاب المجيد: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. [٢]﴾؛ و كذلك قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ [٣]﴾.حفظه الله لخدمة دين الله الحنيف و خدمة المسلمين. آمين. آمين. آمين.

أخذ السيد أحمد حبيب علوم الشرع الكريم و المعرفة بالله من الشيخ الهمام، العلامة، سليل العلم و المعرفة السيد الجليل، علي البوديلمي-قدس الله سرَّه، و صاحبه

---

[١] جاء في كتاب "تحفة الأحوذي"، ج١٠، ص:٣٠١، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، موضوع المرجع: شروح الحديث، عدد الأجزاء: عشرة أجزاء، الناشر: دار الكتب العلمية ، ما نصه: "قال النووي في شرح مسلم نقلا عن ابن الصلاح : "في تفسير الحكمة أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائلها على بعض صفات الحكمة ، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى ، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق ، والعمل به ، والصد عن اتباع الهوى، والباطل، والحكيم من له ذلك".

[٢] جزء من الآية ١٥١ من سورة "الأنعام".

[٣] جزء من الآية ٣٣ من سورة "الأعراف".

لمدة زادت عن خمس و عشرين (٢٥) سنة؛ و ذلك حتى انتقال صاحب الفضل علينا إلى جوار ربِّه الكريم في شهر محرم من سنة ١٤٠٩ هجرية الموافق لِ ٨ سبتمبر ١٩٨٨ ميلادية.
و لقد أجاز شيخنا علي البوديلمي–قدس الله سرَّه– الأستاذ سيدي أحمد حبيب في الوعظ و الإرشاد في علوم الشرع الكريم و السلوك؛ حيث أنه إستفاد من صحبة شيخه الهمام و ظهر عليه الخير الكثير خلال حياة شيخنا و بعد انتقاله إلى جوار ربِّه. و بناءً على معنى الآية الكريمة؛﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ[١] ﴾، واصل و واظب السير الأستاذ أحمد حبيب على ماكان عليه خلال حياة شيخه من خدمة الله و رسوله–ﷺ–و طريق الإخوان الصوفية بنشاطاته العلمية و التدريسية في مقر زاويته في قرية أولاد علي و شتى البقاع في بلد الجزائر و خارجه فأفاد بعلمه و سيرته العطرة جمًّا غفيراً من طلبة العلم و العرفان على منهاج الكتاب و السنة المطهرة–فبث علمه في قرى و مدن و بلدان شتى حتى بلغ صيته أقصى بلدان المعمورة: أوروبا، أسيا، أمريكا الشمالية و الجنوبية.

بعض الإجازات العلمية لشيخ الأستاذ–الشيخ سيدي علي البوديلمي، و مكانته العلمية:

و لما كان السند يحتل مكانة عظيمة في ديننا الحنيف رأينا من الضروري أن نذكر للقارئ و طلاب العلم الشرعي خلاصة مباركة و نبذةً عن شيخ الأستاذ أحمد حبيب في العلم و المعرفة بالله.
لقد ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله–رحمه الله– الجزائري في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي– الموسوعة الثقافية الجزائرية"[٢] شيخنا علي البوديلمي–قدس الله روحه– و بعض إجازاته العلمية بما نصه:"إجازات بعض علماء الجزائر، و تونس و المغرب للشيخ علي البوديلمي. فقد ذكر، مترجما، الجيلاني بن عبد الحكم في "المرآة الجلية" أن هذا الشيخ قد أجيز من شيوخه في البلدان المذكورة. وذكر منهم مجموعة من كل بلد، ومنهم ابن باديس[٣] في قسنطينة ومعاوية التميمي في تونس وعبد الحي الكتاني في المغرب. وجاء

---

[١] جزء من الآية ١٠ من سورة "الفتح".

[٢] الكتاب: ''تاريخ الجزائر الثقافي– أو الموسوعة الثقافية الجزائرية''،ج٨، ص٦٣، المؤلف: أبو القاسم سعد الله (المتوفى: ١٤٣٥ هـ)، الناشر: دار البصائر للنشر والتوزيع– الجزائر، الطبعة: طبعة خاصة – ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ١٠، فائدة: (جـ ١ – ٩) مصورة (بنفس ترقيم صفحاتها) عن ط. دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى – ١٩٩٨م.

[٣] ابن بادِيس – (١٣٠٥ – ١٣٥٩ هـ = ١٨٨٧ – ١٩٤٠ م): عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس:– رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١ م–إلى وفاته. ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة علمية دينية أدبية، "مجلة الشهاب"؛ صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدا. وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت "جمعية العلماء" في عهد رياسته كثيرا من المدارس. وتوفي بقسنطينة في حياة

في "المرآة الجلية[١]" أن نصوص الإجازات متوفرة عند صاحبها. ويغلب على الظن أن بعضها على الأقل مكتوب بأسلوب رفيع، وأنها علمية وليست صوفية. على أن الشيخ علي البوديلمي كان أيضا من أهل الطرق الصوفية، فلعله أخذ من شيوخها إجازات، سيما الرحمانية والدرقاوية العلاوية"-إنتهى.

و لقد وضع ترجمة لشيخنا سيدي علي البوديلمي-رحمه الله، صاحب كتاب "المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية"؛ و ذكر فيها نبذة عن حياته و شيوخه في العلم الشرعي و هذا هو نصه: "الشيخ السيد علي البوديلمي:ولد بالمسيلة المحمدية من عمالة قسنطينة في عام ١٣٢٩ هجري موافق لسنة ١٩٠٩مسيحي و والده من العلماء العاملين و الأولياء الصَّالحين و هو شيخ الطريقة الخلوتية العلامة الجليل الشريف الأصيل القدوة النبيل الشيخ السيد الحاج محمد بن السيد الحاج عبد الله بن عبد القادر بن الولي الصَّالح الشيخ سيدي أبو زيان بن سيدي المبارك بن سيدي الموهوب يتصل نسبه على التحقيق بالقطب الكبير سيدي محمد الديلمي المشهور عند أهل الحضنة و أولاد دراج بالولاية و الصَّلاح، و من هته العائلة العلامة الجليل الشيخ محمد بن عزوز الديلمي المذكو في "البستان من علماء تلمسان"[٢] و لم تنقطع آثار ذلك في أولاده خلفا عن سلف إلى الآن حتى أن عرش المطارقة و قبائل

والده. له "تفسير القرآن الكريم" اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما....ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم "مجلس التذكير – ط" ونشر في الجزائر "آثار ابن باديس" في ٤ مجلدات (٢) -إنتهى؛ نقلا عن "الأعلام للزركلي"، ج٣، ص٢٨٩- بتصرف بسيط.

[١] "المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية"؛ من تأليف الحاج الجيلاني بن عبد الحكم العطافي [الجزائري]. ومحتوى الكتاب واضح من عنوانه، وهو في الأنساب وتراجم بعض رجال التصوف ومن تعاطف معهم. . فبالإضافة إلى أولاد سيدي يحي بن صفية ترجم المؤلف لعلي البوديلمي[و هو شيخ الأستاذ أحمد حبيب]، والمهدي البوعبدلي، وأفراد من عائلة العشعاشي، والمولود الحافظي، وشيوخ الزوايا المعروفة مثل محمد الموسوم وتلاميذه، وابن تكوك السنوسي، والهاشمي بن بكار، ومصطفى فخار مفتي المدية، ومفتي مليانة، ومحمد البشير الرابحي، والشاعر أحمد الأكحل،.الخ. فالتراجم إذن شملت شيوخ الزوايا ورجال التدريس والإفتاء في الفترة الفرنسية. ولكنه ترجم أيضا لعبد الحميد بن باديس. والكتاب على ما فيه، مفيد للمؤرخ إذ يقدم صورة لأحد التيارات المتفاعلة في الجزائر عشية الثورة، وهو التيار الديني المحافظ.إنتهى؛ نقلام من "كتاب تاريخ الجزائر الثقافي أو الموسوعة الثقافية الجزائرية" للدكتور أبو القاسم سعد الله (المتوفى:-١٤٣٥ هـ)-و النص أعلاه موجود في ج٧، ص٤٤٣.

[٢] "ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان"، تأليف الإمام العلامة القدوة أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني-رحمه الله، وقف على طبعه و اعتنى بمراجعة أصله حضرة الشيخ محمد ابن أبي شنب المدرس بالمدرسة الثعالبية الدولية و مدرسة الأداب العليا بالجزائر، طبع في المطبعة الثعالبية لصاحبيها أحمد بن مراد التركي و أخيه سنة ١٦٦٢هـ – ١٩٠٨م.

من أولاد دراج لا يزالون ملتزمين لخدمة أبنائه حسبما تقرر عند أسلافهم......"-إنتهى بتصرف.
و ذكر الحاج الجيلاني بن عبد الحكم العطافي صاحب "المرآة الجلية"[١] نبذة عن والد الأستاذ سيدي علي البوديلمي، الشيخ و العالم العظيم السيد الحاج محمد بن عبد الله الديلمي-رحمه الله-و هذا هو نصه: "أسس زاويته العامرة بالعلم و القرآن الكريم و تخرج منها أناسٌ كثيرون في العلوم الإسلامية هم منتشرون في القطر و منهم المهاجرون بمصر و بالمدينة المنورة و مما اتصف به أنه منذ أربعين سنة لم يخرج إلى السوق و هو معتكف على العبادة و الطاعة و إرشاد المريدين و تعليم المتعلمين و هو الذي يقوم بمئونة الجميع و يزيد حتى الكسوة السنوية للضعفاء منهم بماله الخاص و ثروته الزراعية.
قرأ الشيخ السيد ابن عبد الله في قسنطينة على علامة زمانه السيد الحاج عبد القادر المجاوي و في بجاية على فريد عصره الفقيه سعيد الحريزي و غيرهم كما قرأ في معهد سيدي عبد الرحمان ليلولي[٢] و في معهد سيدي أحمد بن يحي بزواوة و قد تجول بالشرق و جاور المدينة المنورة سنين أخذ فيها عن علمائها كما أخذ الطريقة الخلوتية عن ولي الله صاحب الأستاذ و التربية سيدي عمارة بن أبي الديار بجبل الناظور و هو أخذ عن سيدي بن الحداد عن الشيخ الكبير سيدي أمحمد بن عبد الرحمان الأزهري دفين الجزائر و قد صَدَّره في حياته و أذِنَ له في التربية. عاش السيد بن عبد الله سبعاً و تسعين سنةً و توفي عام ١٣٧٠ هجري موافق ١٩٤٢ مسيحي رحمه الله و جعل الجنة مسكنه و مأواه"-إنتهى بتصرف.
و ذكر عن والدة شيخنا علي البوديلمي-رحمه الله، السيدة كلتوم[٣] بنت الفقيه الجليل السيد بن الشيخ ما نصه: "فهي من عائلة السيد امعمري التي يتصل نسبها بالولي الصالح سيدي علي الطَّيار بالقصور قرب برج بوعريريج من عمالة قسنطينة[٤]، و قد وافاها الأجل عند ولدها السيد علي المذكور فدفنت في مقبرة الإمام السنوسي بجنب ضريح سيدي الكماد بتلمسان – رحم الله الجميع-آمين"-إنتهى.

و ذكر صاحب "المرآة الجليلة" في ترجمته لشيخنا و أستاذنا سليل العلم و العرفان ما نصه:"قرأ الشيخ السيد علي البوديلمي القرآن في مدرسة أبيه بالمسيلة و تلقى مبادئ العلوم على والده و على جماعة من الشيوخ المتعاقبين بالزاوية و غالبهم أجازه كوالده، ثم انتقل إلى زاوية الهامل ببوسعادة فمكث في المعهد القاسمي نحو سنة تناول بعض العلوم الدينية ثم ارتحل إلى قسنطينة فزاول دروسه على رجال

[١] ص: ٣٥٠-٣٥١ من الكتاب.

[٢] هكذا وجدنا الكلمة في نص الكتاب؛ و قد يكون اسم العائلة؛ "اليلولي"-و الله أعلم.

[٣] وجدنا الإسم هكذا؛ و قد يكون الإسم-"كلثوم".-و الله أعلم.

[٤] مدينة بشرق الجزائر.

فطاحل في العلم كالعلامة الشيخ السيد عبد الحميد بن باديس، و ولي الله الصالح الشيخ السيد الحبيباتني، و العلامة السيد الزواوي الفقون، و الفقيه السيد الطاهر زقوطة، و الشيخ يحي الدراجي-فلازم هؤلاء المشايخ سنين عديدة بجد و اجتهاد متواصل حتى تحصَّل منهم على الإذن و أجازه بشهادات بخطوط أيديهم ثم هاجر إلى تونس [و هناك][١] استكمل معارفه بجامع "الزيتونة" المعمور على مشايخ اختارهم لذلك و واظب على مجالسهم كالأستاذ مناشو، و الأستاذ بن القاضي، و الأستاذ أبو الحسن النجار، و الأستاذ معاوية التميمي، و الأستاذ الزغويني، و الأستاذ عبد السلام التونسي، و الأستاذ المختار بن محمود، كما حضر دروس التفسير على شيخ الإسلام سيد الطاهر بن عاشور.

و لما ملأ وطابه بالعلم قفل راجعا إلى مسقط رأسه بالمسيلة متصديا [أين تصدى][٢] للتدريس فدرس في زاوية أبيه و زاوية أبو جنبين التي لا تخلو من الطلبة المسافرين ثم انتقل إلى جعافرة ازواوة بطلب منهم فدرس فيها نحو سنتين ظهر فيهما على يده فتحٌ كبير للمتعلمين ثم انتقل إلى غليزان مدرسا برغبة من أهلها ثم انتقل إلى مستغانم فرغبه والده بأن يأخذ الإسم الأعظم على ولي الله الشيخ السيد بن عليوة[٣] مسلك الرياضة الروحية للسادة الصوفية فصار من فحول الرجال الذين يضرب بهم المثل في هذا الشأن و الله ولي الإمتنان. أما قصته قبل ذلك مع الشيخ بن عليوة فهي مشهورة و يخرج بنا ذكرها عن الإختصار. هذا و قد دعته جماعة من أعيان تلمسان أن يقدم عندهم للتدريس و التربية فأجاب دعوتهم لذلك......و أسس زاوية كبرى بتلمسان سلك في إدارتها مسلك شيخه و أبيه فأقبلت عليه الناس إقبالاً عظيماً بما كان يقوم به من تعليم العلم و تلقين الإسم الأعظم و له تلامذةٌ كثيرون في تلمسان و ضواحيها ربَّاهم و أدَّبهم على الشريعة المطهرة فأحسن تربيتهم و تأديبهم و قد فتح عدة زوايا في القرى و البوادي و في هته الأيام الأخيرة حضرت احتفال فتح زاوية له بوهران حضره أتباعه و تلامذته من كل ناحية و مكان.........في سنة ١٩٤٦م مسيحية انعقدت مسابقة لامتحانات الوظائف الدينية بوهران بدار العمالة فانخرط فيها السيد علي البوديلمي فكان فيها من الفائزين الأوَّلين فهو إمامٌ راتب الآن بأحد مساجد تلمسان كما أنه لقي دائماً دروسه في التفسير و الحديث

---

[١] رعاية لأمانة النقل ننبه أن النسخة التي استعملناها وجدنا النص كما يلي: "ثم هاجر إلى تونس فيها استكمل معارفه". إذا أضفنا هنا؛ "[و هناك]" حتى يستقيم المعنى.

[٢] وجدنا في النسخة التي استعملناها الجملة كما يلي:"راجعًا إلى مسقط رأسه بالمسيلة متصديا للتدريس"؛ أضفنا "[أين تصدى]" حتى يستقيم المعنى.

[٣] السيد و القطب الرباني مرشد المريدين و العارفين، سيدي أحمد العلاوي المستغانمي الجزائري(ت:١٩٣٤ م).

و الفقه الإسلامي بالمسجد الأعظم و له تآليف كثيرة تشهد له بالنبوغ في علم الظاهر و الباطن؛ منها:-

- "إماطة اللثام"[١]؛
- "رفع التلبيس عن وساوس إبليس"؛
- "حاجة البشرية إلى الدين"؛
- "الرسالة الديلمية في صيانة العائلات الإسلامية"؛
- "كشف الغيم في قضية عيسى بن مريم"؛
- "رماح علماء السنة المحمدية"؛
- ديوان يشتمل على قصائد شتى في المديح و الأذكار إلى غير ذلك.

أمَّا عائلة السيد علي البوديلمي فهي لا زالت بوطن الأجداد بالمسيلة؛ فله أربعة إخوة:-ثلاثة ذكورٍ و أنثى فالأكبر من الجميع هو الفقيه العلامة السيد محمد الديلمي و يليه السيد أحمد و الثالث السيد أبي القاسم ثم البنت فهي السيدة جميلة.......و قد تجول السيد البوديلمي المذكور بالقطر المغربي و أخذ علم الحديث درايةً و روايةً فأجِيزَ من محدث المغرب الشيخ الكتاني[٢]، و من الشيخ الحجوي الوزير، و من الشيخ بن زيدان"-إنتهى.

[١] هنا تصرفنا تصرفاً بسيطاً في النص الأصلي حيث أننا حذفنا تكرار كلمة "منها" بعد ذكر أسماء الكتب.

[٢] لأستاذنا و شيخنا سيدي علي البوديلمي-قدس الله سرَّه-كتاب فيه شيوخه في الحديث النبوي و هو "صلة الموصول بحديث الرسول-صلى الله عليه وسلم".

البَابُ الثَّانِي:

رسالة اليقين في مسائل ذات أهمية في الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح لأوليائه طريق الوسائل و أجرى على أيديهم أنواع الفضائل، فمن اقتدى بهم اهتدى ومن قابلهم بالإعراض انقطع و هلك، وصلى الله على سيدنا و مولانا محمَّد و على آله وصحبه و من ولاه.

حكم البسملة في أول الفاتحة أثناء أداء الصلاة:

أما بعد، أقول و بالله التوفيق و هو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: قد اختلف العلماء في قراءة البسملة أول الفاتحة في الفريضة دون النافلة؛ فمنهم القائل بوجوبها و منهم القائل باستحبابها و كذا من يقول بكراهيتها فهذه الحالات الثلاثة هي معظم مواضع الخلاف بينهم.

و نحن بحول الله و قوته نحاول قدر الإمكان و حسب ما يجود به الأوان أن نبين و نوضح إثبات البسملة في أول الفاتحة و أنها آية منها، و ذلك بما منَّ الله به علينا من فضل و نعمة على يد أستاذنا و ولي نعمتنا و غوث زماننا قطب الأنام الشيخ سيدي علي البوديلمي-رضي الله عنه-و أرضاه و نفعنا و المسلمين بسره و بركته-آمين.

الأحاديث النبوية و الأثار المأثورة عن الصحابة في قراءة البسملة في الصلاة جهرًا:

أما الأحاديث النبوية و الأدلة الفقهية الواردة في هذا الشأن:-

- فقد أخرج ابن خزيمة في صحيحه عن أم سلمة-رضي الله عنها-أن النَّبي-ﷺ- قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة و عدها آيةً[١].
- و عن ابن عبَّاس-رضي الله عنهما-في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ(٨٧)[٢] ﴾ ؛ قال هي فاتحة الكتاب؛ قيل له فأين السابعة؟-قال:"بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم"[٣].

---

[١] انظر "تفسير ابن كثير"، ج١، ص:١١٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٢] الحجر.

[٣] انظر "التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد"، ج٢٠، ص١٨٧ لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد

• و روى الدارقطني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله-ﷺ:"إذا قرأتم الحمد لله فاقرءوا بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني و"بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم" إحداها[١]."

• و روى الدَّارقطني أيضًا عن أم سلمة-رضي الله تعالى عنها-أن رسولِ الله-ﷺ-كان يقرأ "بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم،الحمدلله ربّ العالمين" إلى آخرها، قطَّعها آية آيةً، و عدَّها عدَّ الإعراب، و عدَّ "بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم" آيةً[٢]".

• و قال البيهقي قد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عبَّاس-رضي الله تعالى عنهما- أنه كان يعد "بسم الله الرحمن الرحيم" آيةً من الفاتحة[٣]".

• و روى الشافعي بسنده عن ابن عبَّاس-رضي الله عنهما-أنه كان يفعله و يقول إنتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن.

• و عن أنس بن مالك أنه سُئل كيف كانت قراءة رسول الله-ﷺ- فقال: "كانت مَداً؛ ثم قرأ "بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم"؛ يمد "الله" و يمد "الرحمن" و يمد "الرحيم[٤]".

البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[١] انظر سنن الدارقطني، كتاب الصلاة، ج١، ص:٦٥٠-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٢] جزء من حديث موجود في "سنن الدارقطني"، ج١، ص:٦٤٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث:عن أم سلمة ؛ أن النبي- صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ : " بسم الله الرحمن الرحيم" . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين[الفاتحة : ١ - ٧] " فقطعها آية آية ، وعدَّها عدَّ الأعراب ، وعدَّ " بسم الله الرحمن الرحيم" آية ولم يعد "عليهم".

[٣] جاء في كتاب "لباب التأويل في معاني التنزيل" لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)،تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ج١، ص:١٨-انظر "المكتبة الشاملة" ما نصه:"قال البيهقي: أحسن ما احتج به أصحابنا في أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأنها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وأنهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم أنهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست في القرآن، قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لأمّ القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه إنه كان يقول لما كتبت في المصحف لم لم تقرأ وروى الشافعي عن ابن عباس أنه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن."

[٤] "كتاب السنن الكبرى" للبيهقي، ج٢، ص:٤٦-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".اسم المؤلف: أبو بكر أحمد

• و عن أنس قال: سمعت رسول الله-ﷺ- يجهر بِبسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم[١].
• و عن أنس أن النَّبي-ﷺ-كان يجهر بِبسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم في الصلاة[٢].
• و عنه كذلك قال: كان النَّبي-ﷺ- يفتتح صلاته بِبسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم[٣].
• و روى ابن خزيمة بسند صحيح عن أمِّ سلمة-رضي الله عنها-أن رسول الله-ﷺ-عدَّ "بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم" آيةً و "الحمد لله" ست آيات.
• و روى نعيم بن عبد الله قال صليت وراء أبي هريرة-رضي الله عنه-فقال: "بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم"، ثم قرأ بأمِّ القرآن، ثم يقول إذا سلَّم؛ إنِّي لأشبهكم صلاة برسول الله-ﷺ [٤]. و قال: إنما الجهر بِبسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم؛ فقد صح و ثبت عن النَّبي-ﷺ. و قال في "الذهب الإبريز": "و على القول بأنها من الفاتحة؛ يجهر بها في الصلاة الجهرية؛ و يسر بها في السرية".

و بهذه النصوص النبوية الصريحة في الدلالة على إقرار هذه المسألة و الأخبار الواضحة المأثورة عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-يكون قد تحقق ثبوت البسملة في أول الفاتحة في الصلاة و لا خلاف يُذكر على الراجح المشهور في هذا الأمر. أمَّا الخلاف الموجود بين العلماء هو في الجهر بها و الإسرار بها.

بن الحسين بن علي البيهقي.

[١] أخرجه الحاكم أيضا عن أبي الطفيل عن علي وعمار أن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان يجهر في المكتوبات ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقال : صحيح الإسناد. انظر "نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية" لجمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، ج١، ص:٤٤١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٢] الكتاب: "ذكر الجهر بالبسملة مختصرا"، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٣٦٤هـ)، الناشر: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م، ج١، ص:٥٢-انظر "المكتبة الشاملة".

[٣] رواه الترمذي في جامعه-نفس المصدر أعلاه، ج١، ص:٤٩.

[٤] صحيح ابن خزيمة، ج١، ص:٣٦٤-عن ابن أبي هلال ، عن نعيم المجمر قال : صليت وراء أبي هريرة ، فقال : " بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ بأم القرآن ، حتى بلغ ولا الضالين ، فقال : آمين ، فقال الناس : آمين ، فلما ركع قال : الله أكبر ، فلما رفع رأسه ، قال : سمع الله لمن حمده ، ثم قال : الله أكبر ، ثم سجد ، فلما رفع قال : الله أكبر ، فلما سجد قال : الله أكبر ، ثم استقبل قائما مع التكبير ، فلما قام من الثنتين قال : الله أكبر ، فلما سلم قال : والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله -صلى الله عليه وسلم " .

الأحاديث النبوية و الأثار المأثورة عن الصحابة في قراءة البسملة في الصلاة سرًّا:

فقد وردت في ذلك أحاديث عن النَّبي-ﷺ-أشهرها حديث أنس-رضي الله عنه- المروي في الصحيحين؛ و هو معلَّل بما سقط الإحتجاج به لما صح عنه في أحاديث كثيرة أنه كان يجهر بالبسملة. و ها هو النص الكامل للحديث: عن أنس بن مالك أنَّ النَّبي-ﷺ-و أبا بكر و عمر-رضي الله عنهما-كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين[١].

- و في رواية مسلم عن أنس؛ قال:"صليت مع رسول الله-ﷺ-و أبي بكر و عمر و عثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم"-إنتهى نص الروايتين.قال شهاب الدين القسطلاني[٢] في كتابه "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" عند شرحه لهذا الحديث:"لا يقال أنه صحيح الدلالة على ترك البسملة أول "الفاتحة" لأنَّ المراد الإفتتاح بالفاتحة فلا تعرض لكون البسملة منها أولاً و هو، أي الحديث، محمول على سماعها فيحتمل إسرارهم بها و تؤيده رواية النسائي و ابن حبَّان و نصها:" فلم يكونوا يجهرون بِبسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم، فنفي القراءة محمول على نفي السماع، و نفي السماع على نفي الجهر، و قد قامت الأدلة للشَّافعي على إثباتها و من ذلك حديث أم سلمة المروي في البيهقي و صحيح ابن خُزَيمة أنَّ رسول الله-ﷺ-قرأ "بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم" في أول الفاتحة في الصلاة و عدَّها آية منها[٣]".

- و في "سنن البيهقي" عن علي و أبي هريرة و ابن عبَّاس و غيرهم أن الفاتحة هي سبع

---

[١] "صحيح البخاري"، ج١، ص:٢٥٩، حديث رقم:٧١٠-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب

[٢] أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين؛ من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. له "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"؛ عشرة أجزاء؛ و "المواهب اللدنية في المنح المحمدية" في السيرة النبويّة،؛ و"لطائف الإشارات في علم القرآت"؛ و"الكنز" في التجويد؛ و "الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر"؛ و "شرح البردة" سماه "مشارق الأنوار المضية"-منه نسخة في دمشق، كما في تعليقات عبيد، وأخرى في خزانة الرباط (٢٠٨٣ كتاني)-إنتهى بتصرف؛ "الأعلام للزركلي".

[٣] "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، ج٢، ص:٧٧-"المكتبة الشاملة".

و أن البسملة هي السابعة.

- و عن أبي هريرة مرفوعًا؛ "إذا قرأتم "الحمد لله" فاقرؤا "بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم"؛ فإنها أم الكتاب و أم القرآن و السبع المثاني و "بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم" إحدى آياتها". و أحاديث الجهر كثيرة عن جماعة من الصحابة نحو العشرين صحابيًا"-إنتهى كلام القسطلاني لشرح حديث أنس المخرَّج في الصحيحين.

الإسرار بها:

و ممن ذهب إلى الإسرار بها من الصحابة-رضوان الله عليهِم-أبو بكر و عمر و علي و ابن مسعود وعمار بن ياسر و ممن بعدهم الحسن و إليه ذهب مالك و أحمد-رضي الله عنهما.

أقوال كبار فقهاء مذهب إمامنا مالك-رضي الله عنه:

و لتعميم الفائدة نذكر جملة من أقوال كبار فقهاء إمامنا مالك-رضي الله عنه:-

- قال الشيخ الدردير[١] في "شرحه الكبير على مختصر خليل"-رحمهما الله تعالى:" قال القَرافي من المالكية و الغزالي من الشافعية و غيرهم: "الورع البسملة أول الفاتحة خروجًا من الخلاف[٢]".

وقال الشيخ محمَّد عرفة الدَّسوقي[٣]-رحمه الله-في حاشيته على الشرح الكبير للشيخ

---

[١] الدردير - أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوى أبو البركات المصرى الازهرى الفقيه المالكى الشهير بالدردير ولد سنة ١١٢٧هـ وتوفى سنة ١٢٠١هـ له من التصانيف:"أقرب المسالك إلى مذهب مالك في شرح مختصر الشيخ خليل في الفروع"؛ "تحفة الاخوان في آداب أهل العرفان في التصوف"؛ "التوجه الأسنى بنظم أسماء الله الحسنى"؛ "الخريدة البهية"؛ "رسالة في متشابهات آيات القرآن"؛ "رسالة في المعاني والبيان"؛ "شرح آداب البحث"؛ "شرح رسالة التوحيد من كلام دمرداش"؛ "شرح رسالة القاضى عبد الله التاتار في الآيات القرآنية"؛ "شرح صلوات السيد أحمد البدوى"؛ "شرح ورد كريم الدين الخلوتى"؛ "المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق-صلى الله عليه وسلم- وغير ذلك"-نقلا عن:"هدية العارفين-أسماء المؤلفين وآثار المصنفين"، المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م، عدد الأجزاء:٢.

[٢] "الشرح الكبير للشيخ الدردير و حاشية الدسوقي"، ج١، ص:٢٥١، الكتاب: "حاشية الدسوقي على الشرح الكبير"، المؤلف: -محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى:- ١٢٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر-الكتاب موجود ضمن موسوعة "المكتبة الشاملة".

[٣] الدسوقي (١٢٣٠هـ - ١٨١٥م).محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي: من علماء العربية. من أهل دسوق (بمصر) تعلم وأقام وتوفي بالقاهرة.وكان من المدرسين في الأزهر.له كتب؛ منها "الحدود الفقهية" في فقه الإمام مالك،

الدردير: "و لا يُقال قولهم يُكره الإتيان بها، أي البسملة، ينافي قولهم يستحب الإتيان بها للخروج من الخلاف لأننا نقول محل الكراهة، أو متعلق الكراهة، هو الإتيان بها على وجه أنها فرض أو على أن صحة الصلاة تتوقف عليها، و محل الإستحباب بها دون نية الفرضية".

- و قال الشيخ يوسف الصفتي المالكي[١] في حاشيته على شرح المالكي على العشماويَّة بعد ما ذكر أنها، أي البسملة، عند الشافعي –رضي الله عنه– جزء من الفاتحة و أنها عنده واجبة تبطل الصلاة بتركها؛ قال:"أو على قول ابن نافع من أئمتنا، أي من أئمة مذهبنا المالكي، القائل بوجوبها في الصلاة".

- و في قريبة المسالك لمذهب الإمام مالك للشيخ علي بن الخضر العمروشي: "و من الورع البسملة أول الفاتحة للخروج من الخِلاف! قال القرافي و غيره من الفقهاء: كانَ الإمام المازري[٢] يُبسمل سرًّا فقيل له في ذلك فقالَ مذهب مالك على قول واحد من بسملَ صلاته صحيحة، و مذهب الشافعي على قول واحد: من تركها بطلت صلاته! و صلاة متفقٌ على صحتها خيرٌ من صلاةٍ يقول أحدهم ببطلانها"–؛إلى أن قال:" و محل كراهة البسملة في الفرض إذا اعتقد أن الصلاة لا تصح إلا بها و لم يقصد الخروج من الخلاف؛ فإن قصده زالت الكراهة".

- و قال أبو القاسم الجزولي:"سأل مالك نافعًا عن البسملة فقال السنة الجهر بها، فسلَّم إليه، و قال كل علمٍ سل عنه أهلَه[٣]". هذا هو الصحيح المعتمد في المذهب المالكي و ما سواه إن لم يكن

و "حاشية على مغني اللبيب "– مجلدان؛ و "حاشية على السعد التفتازاني"– مجلدان؛ و"حاشية على الشرح الكبير على مختصرخليل" فقه؛ و "حاشية على شرح السنوسي لمقدمته أم البراهين ".نقلا، بتصرف، عن: "الأعلام للزركلي".

[١] يوسف الصفتي (ت: ١١٩٣هـ–١٧٧٩م).هو يوسف بن إسماعيل بن سعيد، الصفتي، المصري، المالكي، الأزهري. فقيه، نحوي، واعظ. له كتب؛ منها " نزهة الطلاب " ؛ و " حاشية على شرح ابن تركي في حل ألفاظ العشماوية "؛ و " نزهة الأرواح في بعض أوصاف الجنة دار الأفراح "؛ و " شرح القناعة ".نقلا بتصرف عن "الأعلام للزركلي".

[٢] المازَري (٤٥٣ - ٥٣٦ هـ = ١٠٦١ - ١١٤١ م): محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية. نسبته إلى (مازر) جزيرة صقلّيّة، ووفاته بالمهدية. له "المعلم بفوائد مسلم" في الحديث، وهو ما علق به على "صحيح مسلم"، حين قراءته عليه سنة ٤٩٩هـ وقيده تلاميذه. نقلا عن: "الأعلام للزركلي".

[٣] وجدنا نفس الأثر في "منجد المقرئين و مرشد الطالبين"، ج١، ص٧. بطاقة الكتاب:العنوان–" منجد المقرئين ومرشد الطالبين"، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

باطِلاً فهو ضعيف لا يعمل به و لا يحتجُّ به في المسائل ذات الأهمية مثل شأن البسملة في الصلاة–و الله و رسوله أعلم.

قد تم، بعون الله، ما يسَّر لنا جمعه من نصوص نبوية و أدلة فقهية في حكم البسملة أوَّل الفاتحة في الصلاة. و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل.

مشروعية رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة

أحاديث كثيرة صحيحة في أنواع منه متعددة[١]". و نظرًا لكثرة هذه الأحاديث؛ كما قال الإمام النووي–رحمه الله–نذكر البعض منها حسب ما تدعو إليه الحاجة لإثباتِ الجهر بالذكر بعد الفراغ من الصلاة:–

- فعن ابن عبَّاس–رضي الله تعالى عنهما–أنه قال: أنَّ رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله–ﷺ.
- و عنه أيضًا قال: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته[٢].
- و قال–رضي الله عنهما: كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله–ﷺ–بالتكبير[٣].

فهذه الحالات الثلاثة كلها رواها البخاري و مسلم في صحيحيهما و هي صريحة الدَّلالة على إثبات الجهر بالذكر بعد الصلاة مع إختلاف صيغه و كيفياته، فافهم تغنم و اعمل تفز.

- عن ثوبان–رضي الله عنه–أنه قال: كان رسول الله–ﷺ–إذا انصرف من صلاته [أي فرغ منها] استغفر ثلاثًا و قال: "اللَّهم أنت السلام و منك السلام، تباركت ذا الجلال و الإكرام[٤]".
- و عن عبد الله بن الزبير–رضي الله عنهما–أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم: "لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك، له الملك و له الحمد و هو على كل شيءٍ قدير، لا حول و لا قوة إلاَّ بالله، لا إله إلاَّ الله، و لا نعبد إلاَّ إيَّاه، له النعمة وله الفضل، و له الثناءُ الحسن، لا إله إلاَّ الله

---

[١] الكتاب: الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ج١، ص: ٧٠،علق على ذلك الإمام النووي عقب الحديث رقم١٧٩ تحت "باب الأذكار بعد الصلاة". قام بتحقيق الكتاب عبد القادر الأرنؤوط–رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م، و الكتاب موجود ضمن كتب موسوعة: "المكتبة الشاملة".

[٢] نفس المرجع أعلاه، ج١،ص: ٧١، رقم الحديث: ١٨٢.

[٣] نفس المرجع أعلاه، ج١، ص: ٧١، رقم الحديث: ١٨١.

[٤] نفس المرجع أعلاه، ج١، ص: ٧١، رقم الحديث: ١٨٣.

مخلصين له اَلّدينَ و لو كره الكافرون". و قال: كان رسول الله -ﷺ-يُهلِّل بهن دُبر كلِّ صلاة[١]". و قوله"يهُلِّل بهن"؛ أي يجهر بهن و يرفع صوته بهن. و في كتاب "المشكاة"؛ معنى "يهلِّل"، يقول بأعلى صوته. و قوله دبر كل صلاة معناه؛ بعد كل صلاة مفروضة-إنتهى.و فيما ذكرناه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد. و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل.

رفع الناس أيديهم مع الإمام في الدعاء و رفع الأيدي في مطلق الدعاء:

إنَّ هذا الأمر مشروع بالسنة الصحيحة البائنة الجلية و لا ينكره إلا جاهل بالدين أو صاحبُ تقليدٍ أعمى-أعاذنا الله و المسلمين من ذلك-آمين.

و من الأدلة الواضحة التي لا غبار عليها و التي تدل دلالة قاطعة على مشروعية رفع النَّاس أيديهم مع الإمام في الدعاء ما جاء في "صحيح البخاري" و غيره من الكتب الصحيحة:-

- عن سليمان بن بلال، قال يحي بن سعيد: سمعت أنس بن مالك، قال: "أتى رجل أعرابي من أهل البدو إلى رسول الله-ﷺ-يوم الجمعة فقال: يا رسول الله، هلكت الماشية، هلك العيال، هلك الناس، فرفع رسول الله-ﷺ-يده يدعو و رفع الناس أيديهم معه يدعون. قال: فما خرجنا من المسجد حتى مُطرنا فما زلنا نمطر حتى كانت الجمعة الأخرى فأتى الرجل إلى نبي الله-ﷺ-فقال:يا رسول الله بَشِقَ[٢] المسافر و مُنعَ الطَّريق[٣]"-إنتهى الحديث.

فإننا إذا تأملنا جيدًا معنى هذا الحديث؛ و بالضبط معنى قوله "فرفع رسول الله-

---

[١] نفس المرجع أعلاه، ج١، ص:٧١، رقم الحديث:١٨٥.

[٢] بَشِقَ: تأخر لعدم القدرة عن السفر و العجز عنه بسبب كثرة المطر. انظر "القاموس المحيط"،ح١، ص:٨٦٨، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

[٣] الكتاب: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ج٦، ص:١١٧-الكتاب موجود ضمن كتب موسوعة "المكتبة الشاملة"، المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

ﷺ-يديه يدعو و رفع الناس معه أيديهم يدعون" لأدركنا جيدًا أن قضية رفع الأيدي في الدعاء مع الإمام، و كذا رفع الشخص يديه لنفسه في مطلق الدعاء واضحة وضوح الشمس في ظهيرة النهار ليس دونها سحاب و لا ضباب و لا خلاف فيها عند أولي الألباب.

و إذا كان هناك من هو في حاجة إلى مزيد من النصوص و الأدلة فإن الأحاديث في هذه المسألة كثيرة و لابأس أن نذكر ما يلي لمزيد الفائدة و البيان:-

- عن أبي حميد الساعدي قال:﴿استعمل رسول الله-ﷺ-رجلاً يدعى ابن اللُّتَبِيَّةِ على صدقات بني سُليم فلما جاء حاسبه قال هذا مالكم و هذا هديَّةٌ أُهديت لي فقال رسول الله-ﷺ-فهلاَّ جلست في بيت أبيك و أمِّك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا، ثمَّ خطبنا فحمِد الله و أثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم و هذا هدية أهديت لي. أفلا جلس في بيت أبيه و أمه حتى تأتيه هديته - و الله لا يأخذ أحُد منكم شيئًا بغير حقه إلاَّ لقي الله يحمله يوم القيامة فلأعرفنَّ أحًداً منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاءٌ أو بقرةٌ لها خُوار أو شاةً تَيعَرُ ثمَّ رفع يده حتى رُئي بياض إبطه يقول اللَّهم هل بلغت، بَصْرَ عَيْني وَسَمْعَ أُذُني[١]﴾. فمسألة رفع اليدين في الدعاء واضحة لا غموض و لا التباس فيها؛ و ذلك في قوله: "ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطه و هو يقول: "اللَّهم هل بلغت"-إلى أخر الحديث.

- عن أبي بُردة، عن أبي موسى-رضي الله عنه-قال:﴿لما فرغ النبي-ﷺ-من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد بن الصِّمَّةِ فقتل دريد وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر فرُمِيَ أبو عامر في ركبته رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته فانتهيت إليه فقلت يا عم من رماك فأشار إلى أبي موسى فقال ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له فلحقته فلما رآني ولى فاتبعته وجعلت أقول له ألا تستحيي، ألا تثبت؟ فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعته فنَزَا منه الماء قال: يا ابن أخي أقرئ النبي-ﷺ-السلام وقل له استغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيرًا ثم مات فرجعت فدخلت على النبي-ﷺ-في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال قل له استغفر لي فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: اللهمَّ اغفر لِعُبَيْدٍ أبي عامر ورأيت بياض إبطيه ثم قال اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس فقلت: ولي فاستغفر فقال اللهمَّ اغفر لعبد الله بن

---

[١] "صحيح البخاري"، كتاب: الحيل، ج٦، ص: ٢٥٦٠ رقم الحديث ٦٥٧٨."موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريماً. قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى[1]." وكذلك في هذا الحديث يتبين لنا من خلال قوله "فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه فقال:"اللَّهمَّ أغفر لعبيد أبي عامر و رأيت بياض إبطه"؛ أن رفع اليدين في الدعاء هو ثابت عن النَّبي-ﷺ-ثبوتًا صحيحًا لا ريب فيه. و أما قوله "..و رأيت إبطه"، و في الحديث الأول:"..حتى رأيت بياض إبطه"؛ فهو يفيد المبالغة في رفع اليدين.

- عن سالم عن أبيه قال:بعث النبي-ﷺ-خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره فذكرنا ذلك للنبي-ﷺ- فقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين[2]."

و بهذه الأحاديث الصحيحة نكون قد بينا و أوضحنا للقارئ الكريم أن رفع اليدين مع الإمام و في مطلق الدعاء ثابت عن النَّبي-ﷺ-ثبوتًا لا يقبل النفي و لا يختلف فيه إثنان و لا ينكره و لا يعرض عنه إلَّا جاهل بالسنة النَّبوية الصحيحة أو صاحب أنانية و عصبية في الدِّين و إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم و لبئس المهاد.

و نظرًا لأهمية هذا الموضوع نذكر بعض الأحاديث الصحيحة على سبيل الإيجاز:-

- فعن عائشة-رضي الله عنها-قالت:رأيت رسول الله-ﷺ-يدعو رافعا يديه[3].

---

[1] "صحيح البخاري"،ج٤، ص:١٥٧١، رقم الحديث:٤٠٦٨-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[2] "صحيح البخاري"، باب: بعث النبي-صلى الله عليه وسلم-خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، ج٤، ص٢٦٢٨، رقم الحديث:٦٧٦٦ . نفس المصدر أعلاه.

[3] انظر "مسند الإمام أحمد"، ج٦، ص:٢٥٨، رقم الحديث:٢٥٦٨٦-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

- و رفعهما عندما بعث جيشًا فيهم علي-رضي الله عنه-قائلاً:"اللَّهمَّ لا تُمتني حتى تريني عليًا[١]".

- و رفعهما حين دعا أهل بيته و ألقى عليهما الكِساء قائلاً:"هؤلاء أهل بيتي[٢]".

- و قد جمع الإمام النووي-رحمه الله-في كتابه الكبير "شرح المهذب" نحواً من ثلاثين حديثًا في هذا الباب فمن أراد الإطلاع عليها فليراجع هناك.

- و أنه-صلى الله عليه وسلم-رفع يديه على الصفا و المروة[٣].

---

[١] "سنن الترمذي"، ج٥، ص:٦٠١، رقم الحديث:٣٧٣٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: "عن أبي الجراح حدثني جابر بن صبيح قال حدثتني أم شراحيل قالت حدثتني أم عطية قالت بعث النبي-صلى الله عليه وسلم-جيشا فيهم علي قالت فسمعت النبي-صلى الله عليه وسلم- وهو رافع يديه يقول اللهم لا تمتني حتى تريني عليا."

[٢] "المعجم الكبير للطبراني"، ج٣، ص:٥٣-موسوعة "المكتبة الشاملة". نص الحديث: عن وهب بن عبد الله بن زمعة ، عن أم سلمة أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- جمع فاطمة وحسنا وحسينا- رضي الله عنهم- ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم قال : " اللهم هؤلاء أهل بيتي " . قالت أم سلمة:-قلت : يا رسول الله أدخلني معهم . قال : " إنك من أهلي".

[٣] "سنن أبي داود"، ج٢، ص:١٧٥، رقم الحديث:١٨٧٢. نص الحديث: عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة قال أقبل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فدخل مكة فأقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله ما شاء أن يذكره ويدعوه قال والأنصار تحته قال هاشم فدعا وحمد الله ودعا بما شاء أن يدعو.

- و رفعهما حين تلا قوله تعالى: ﴿ إِنهُن أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنْ الناسِ[١] ﴾ - قَائلاً: "الَّلهُمَّ أُمَّتي أُمَّتي[٢]".

قد تمَّ بعون الله الكلام على رفع الأيدي في الدعاء و أمَّا حكمه الشرعي هو الجواز و الإستحباب و لا يستغني عن هذا المسعى الرابح إلاَّ مغرور، و أمَّا حكم الجاحد لأمر من أمور الدِّين الثابتة بالنصوص الصحيحة فهو كافر و معترض على ربه فيما شرعه لعباده من ملِّة الإسلام فإنه يكون مرتكبًا كبيرةً من الكبائر-و الله و رسوله أعلم. و صلى الله على سيدنا محمَّد و آله و صحبه وسلم.

---

[١] جزء من الآية ٣٦ من سورة "إبراهيم".

[٢] صحيح مسلم؛ج١، ص:١٩١، رقم الحديث:٢٠٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث:" عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ؛"رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي"-الآية وقال عيسى- عليه السلام:" إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي-وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بما قال وهو أعلم، فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك."

مسألة جليلة في التوسل و الوسيلة

مسألة جليلة في التوسل و الوسيلة:

قال الله تعالى: ﴿ ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ[١] ﴾؛ فالخطاب هنا للمؤمنين الذين صدَّقوا الله ورسوله فيما أتاهم به رسول الله-ﷺ-من عند الله عزَّ وجل، و قوله "اتَّقُوا اللَّهَ"؛ يقول أجيبوا الله فيما أمركم و نهاكم، و حقِّقوا إيمانكم و تصديقكم بالصَّالح من أعمالكم؛ و "وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ"؛ بمعنى أطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه، و أمَّا لفظ "الوَسِيلَة"؛ يُراد بها ثلاثة أمور، و هي كالأصول يتفرع عنها جميع أنواع التوسل المشروع:-

- **الأمر الأول:**

يراد بها القربة؛ فعن العلَّامة إبن جرير الطَّبريّ[٢]-رحمه الله-في كتابه "جامع البيان في تفسير القرآن" عند شرحه لهذه الآية؛ قال:"الوسيلة هي القُربة، و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل[٣].

---

[١] سورة المائدة،جزء من الآية ٣٥.

[٢] الطبري، أبو جعفر (٢٢٤-٣١٠هـ ، ٨٣٩ - ٩٢٣م). أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب. إمام المفسرين. ولد بطبرستان، وبدأ في طلب العلم في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى بغداد واستقر فيها، بعد أن زار عدة بلدان. أثنى العلماء على الطبري كثيراً، فقالوا: إنه ثقة عالم، أحد أئمة أهل السنة الكبار، يؤخذ بأقواله، ويُرجع إليه لسعة علمه، وسلامة منهجه. ترك عدة مؤلفات نافعة أبرزها؛ تفسيره الكبير-"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" المشهور بين الجمهور بتفسير الطبري. وهو أول تفسير كامل وصل إلينا، أفاد منه كل من جاء بعده، ولهذا عدّ العلماء الطبري أبا التفسير، كما عدوه أبا التاريخ؛ لأن له كتاباً كبيراً في التاريخ لم يؤلَّف مثله، إلا أنه لم يلتزم فيه بالتوثيق. وسماه؛ "تاريخ الأمم والملوك"؛ وله أيضًا:" تهذيب الآثار" وغير ذلك. توفي الطبري في بغداد-إنتهى، نقلاً عن موسوعة "المكتبة الشاملة".

[٣] قال ابن جرير الطبري في "جامع البيان في تأويل القرآن"، ج٨، ص:٤٠٣: و"الوسيلة":- هي"الفعيلة" من قول القائل:"توسلت إلى فلان بكذا"، بمعنى: تقربت إليه، ومنه قول عنترة:- إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك، تكحلي وتخضبي. يعني بـ"الوسيلة"، القربة، ومنه قول الآخر: إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا ... وعاد التصافي بيننا والوسائلُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل-إنتهى قول ابن جرير-رحمه الله.(بطاقة الكتاب: تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة:- الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان-نقلاً عن موسوعة "المكتبة الشاملة."

فعن مجاهد- " وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ"؛ قال:"هي القربة". و عن السَّدي، "ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ"؛ قال:"فهي المسألة و القربة". و عن قُتادة، "ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ"؛ أي تقرَّبوا إليه بطاعته و العمل بما يرضيه. و عن الحسن في قوله "ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ"؛ قال:"القربة"؛ هذا ما جاء في التفسير المطول للطبري[١].

- **الأمر الثاني:**

الوسيلة هي أعلى منزلة في الجنة، و هي منزلة سيدنا محمَّد-ﷺ-و الدليل على ذلك؛ قوله-ﷺ-:"....سلوا لي الوسيلة فإنَّها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله و أرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة[٢] .

- **الأمر الثالث:**

الوسيلة هي ما يُتوصّل به إلى تحصيل المقصود؛ قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾؛ هي التي يتوصَّلُ بها إلى تحصيل المقصود[٣]-أي كل ما هو محبوب عند الله و مشروع بكتابه و سنة نبيه-ﷺ-يجوز التوسل به و لا حرج. فقولنا "كل ما هو محبوب عند الله و مشروع بكتابه وسنة رسوله-ﷺ-يجوز التوسل به"؛ نعني بذلك جواز التوسل به؛ و نعني كذلك جواز التوسل بالخلق و لكن على شرط أن يكون ذلك التوسل في حدود الشرع الكريم. و الخلق صنفان؛ جوهري؛ و عرضي. فالجوهري مثل الأنبياء و المرسلين-عليهم صلوات الله و سلامه أجمعين- و كذا الأولياء و الصالحين-رضي الله عنهم؛ و العرضي مثل أعمال بني آدم فإنها مخلوقة بنص القرآن الكريم

[١] " جامع البيان في تأويل القرآن" للطبري-نفس المصدر السابق، ج١٠، ص٢٩٠-٢٩١.

[٢] "صحيح ابن خزيمة"، ج١،ص:٢٤٨-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث:- عن عبد الرحمن بن جبير قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول:- "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، وإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة. "

[٣] الكتاب: "تفسير القرآن العظيم" لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ج٣، ص١٠٣. المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

﴿ والله خَلَقَكُم ومَا تَعمَلُون[١] ﴾ -و بهذا النص القرآني تكون الأعمال مخلوقة كسائر المخلوقات، و بالصالح منها يجوز التوسل كما يجوز بالصالح من العباد.

بعض الأدلة الصحيحة على جواز التوسل بالنَّبي-ﷺ:

• و من الأدلة على جواز التوسل بما قلناه، ما جاء عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله-ﷺ: ﴿ لمَّا أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال أسألك بحق محمَّد-ﷺ-إلاَّ غفرت لي، فأوحى الله إليه: و ما محمد؟ و من محمَّد؟ فقال: تبارك اسمك لمَّا خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوبٌ: لا إله إلا الله محمَّد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرًا ممن جعلت اسمَه مع اسمِك، فأوحى الله إليه: يا آدم إنه آخر النَّبيين من ذريتك، و إن أمته آخر الأمم من ذريتك، و لو لا هو يا آدم ما خلقتك﴾-قال حاكم؛ صحيح الإسناد، و رواه البيهقي في كتابه "دلائل النبوة"-و قال صحيح الإسناد[٢].

---

[١] الصافات، آية ٩٦.

[٢] ذكر صيغةً أخرى لهذا الحديث، شيخ الأزهر الدكتور علي جمعة، مفتي الديار المصرية سابقاً في كتابه "البيان القويم لتصحيح بعض المفاهيم"، ص٤٦، و ذكر روات الحديث: رواه الطبراني في الأوسط، ج١، ص٦٨؛ و في الكبير، ج٢٤، ص٣٥١، و الأصبهاني في "حلية الأولياء"، ج٣، ص١٢١، و ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد"، ج٩، ص٢٥٧.و من بين أحسن ما وجدناه في تراث علماء المسلمين في شأن هذا الحديث و معناه ما ذكره الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفي: ١٢٥٠هـ)-رحمه الله- في كتابه: "الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني" (الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن،) في الجزء الأول من الكتاب، ص ٢٩٠- ما يلي:"......ولنتأمل في الأحاديث الواردة في شأن قصة آدم، فإنها منادية بأن كل ذي جاه عند ربه تعالى يجوز التوسل إليه تعالى، وعلى هذا جرى أكثر العلماء في توسلاتهم وأدعيتهم وأشعارهم بلا نكير. فأما ما نقل عن ابن عبد السلام (ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (٢/ ٢٠٢))، ومثله عن مالك، فإنه ما أداهما إليه اجتهادهما. وهذه الأحاديث تلقاها الناس خلفا عن سلف بالقبول، وعمل بهذه الأدعية الفاضل منهم والمفضول، وما تحرج أحد من المسلمين عن الدعاء فيما أحسب بهذه الأدعية، ولا عن صلاة الحاجة. فأما ما توهم من اختصاص صلاة الحاجة والتوسل بالنبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في حال حياته فهذا التوهم ما أبعده عن فهم الأحاديث، وعن قوانين أهل العلم! فإنه لو صح التخصيص بهذه التخيلات الفاسدة لجاز في أكثر الأحاديث أن يقال: هذا خاص في حياته- صلى الله عليه وآله وسلم- ومن أين لنا أنه عام بعد مماته! ونحو هذا ما توهم أيضا في التوسل بالعباس بن عبد المطلب- رضي الله عنه- أنه يجوز التوسل بالحي دون الميت،؛ لأن الميت الذي قد صار رهينا في التراب ليس بأهل يتوسل بما له من الجاه والكرامة والثواب .... وهذا كما أنه تخصيص بلا دليل بل بحسب الواقعة، بعيد في النظر فإن الحي يجوز منه الغفلة والخطأ، فأما الميت الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- صلى الله عليه وآله وسلم- أو المقطوع بأن لهم عند الله منازل رفيعة، فإنه لا يجوز منه ما ذكر، والتوسل إنما هو بتلك المنزلة التي لذلك الشخص في الحقيقة التي نالها من ربه تعالى. وحاصل الأمر أن من علمنا بطريق صحيحة منزلته عند ربه تعالى، فأي مانع لنا من التوسل به إلى ربه الذي أعطاه هذه الرتبة لديه! وإذا جازت الشفاعة في يوم القيامة لمن لهم الشفاعة من الأنبياء

• عن عثمان بن حُنَيف أن رجلا أعمى أتى إلى رسول الله-ﷺ-فقال: "يارسول الله، أدع الله أن يكشف لي عن بصري؛ قال: أوَ تصبر؛ و في رواية أوْ أدَعُكَ، قال: يا رسول الله، إنَّه شقَّ عليَّ ذهاب بصري، قال: فانطلق فتوضأ ثم صلِّ ركعتين، ثم قل اللّهم إني أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمَّد، نبي الرحمة، يا محمَّد، إني أتوجه بك إلى ربِّي في حاجتي لتقضى. اللّهمَّ شفعه فيَّ. فرجع و قد كشف الله عن بصره[1]".

و لقد ثبت العمل بهذا الحديث بعد وفاة النَّبي-ﷺ-و ذلك أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان-رضي الله عنه-في حاجة له و كان عثمان لا يلتفت إليه و لا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حَنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حَنيف:"إئتِ الميضأة فتوضأ، ثم إئت المسجد فصلِّ فيه ركعتين ثم قل: اللّهمَّ إني أسألك و أتوجه إليك بنبِينا محمَّد-ﷺ-نبي الرحمة، يا محمَّد إني أتوجه بك إلى ربي في قضاء حاجتي و تذكر حاجتك و رُحْ إليَّ حتى أروح معك، فانطلق فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطِنفِسَة و قال ما حاجتك، فذكر حاجته فقضاها له، ثم قال: ما ذكرتُ حاجَتَك حتى كانت هذه الساعة، و قال ما كانتٍ لك من حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حَنيف فقال له:جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي و لا يلتفت إلي حتى كلمتَه في، فقال عثمان بن حَنيف و الله ما

والصديقين والشهداء والعلماء، فما المانع من أن الله يشفعهم في هذه الدار. وهذه الأدعية الواردة عن النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– أصل لهذه الدعوى، فإنها واقعة منه– صلى الله عليه وآله وسلم– في هذه الدار نقلها رواة أخباره لتعليم العباد بالدعاء بها عند الشدائد، ونزول الملمات، واستجلاب الخيرات، ودفع البليات."–إنتهى قول الشوكاني. و لقد أضفنا تعليقا في ملحق الكتب للإمام و شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي–رحمه الله– على حديث توسل آدم في ملحق الكتاب موجود في صفحة ٢٨٦.

[١] رواه الترمذي و خرجه البخاري في تاريخه و ابن ماجة و الحاكم في "المستدرك" بإسناد صحيح، و ذكره جلال الدين السيوطي في "الجامع الكبير". ذكره كذلك الحاكم النيسابوري في "المستدرك على الصحيحين"، و أيضًا الحديث مذكور في "السنن الكبرى للنسائي" – طالع "موسوعة جوامع الكلم" الرقمية. و في "المكتبة الشاملة" الرقمية – ذكر نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧ هـ)–رحمه الله، في كتابه؛ "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين"، " باب أدلة المجوزين للتوسل و الإستغاثة"، ج ١، ص ٤٩٧ – ما يلي: "...ومن ذلك استغاثة ذوى العاهات به – صلى الله عليه وسلم. وحسبك ما رواه النسائي، والترمذي عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضريراً أتاه – صلى الله عليه وسلم، فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني. قال: فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إنى أسألك واتوجه إليك بحبيبك محمد نبي الرحمة، يا محمد أنى أتوجه بك إلى ربك في حاجتى لتقضى. اللهم شفعه في"– وصححه البيهقي– وزاد: فقام وقد أبصر"–إنتهى.

كلمته و لكن شهدت رسول الله-ﷺ-و قد أتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال رسول الله -ﷺ-:أوَ تصبر؟ فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد و قد شق عليَّ، فقال له-ﷺ-:إئت الميضأة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثمَّ ادع بهذه الدعوات، فقال عثمان بن حَنيف: "فوالله ما تفرقنا، و طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرٌّ قط"-قال الطبراني: بعد ذكر طرقه، و الحديث صحيح[١].

- و عن بلال-رضي الله عنه-مؤذن رسول الله-ﷺ-قال: كان رسول الله-ﷺ-إذا خرج إلى الصلاة، قال: ﴿بسْم الله، آمنْت بالله، توكلْت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بحقِّ السائلين عليك، وبحق مخرجي هذا، فإني لمْ أخرُجهُ أشَرًا ولا بَطَرًا ولا رياءً ولا سمْعة، خرجْت ابتغاء مرضاتِك، واتقاء سخطك، أسألك أن تعيذني النار، وتدخلني الجنة[٢]﴾ . و كان-ﷺ-يُعلِّمُ هذا الدعاء أصحابه و يأمرهم بالإتيان به؛ فقد روى ابن ماجة-بإسناد صحيح-عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله-ﷺ-من خرج من بيته إلى

[١] ذكر شيخ الأزهر،مفتي الديار المصرية سابقاً، الدكتور علي جمعة، في كتابه "البينان القويم لتصحيح بعض المفاهيم"، ص ٤٤، في خصوص رواية هذا الحديث ما يلي: "...قال العلامة الحافظ السيد عبد الله بن الصديق الغماري: هذا القصة رواها البيهقي في "دلائل النبوة" من طريق "يعقوب بن سفيان"......و "يعقوب بن سفيان" هو النسوي الإمام الحافظ الثقة، بل هو فوق الثقة و هذا إسناد صحيح، فالقصة صحيحة جدًا، و قد وافق على تصحيحها أيضًا الحافظ المنذري في "الترغيب"، ج٣، ص ٦٠٦، و الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد"، ج٣، ص ٣٧٩"-[و ذكر هذا في] " إرغام المبتدع الغبي" للعلامة عبد الله بن الصديق الغماري، ص ٦-إنتهى.
و أيضًا؛ ذكر نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى:١٣١٧ هـ)- رحمه الله - في كتابه " جلاء العينين في محاكمة الأحمدين"، ج ١، ص٤٩٧ - "المكتبة الشاملة" : "...وأما التوسل به - صلى الله عليه وسلم - بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى،أو يدرك باستقصا. وفي "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام" للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك. ولقد كان حصل لى داء أعيا دواؤه الأطباء، وأقمت به سنين فاستغيث به - صلى الله عليه وسلم - ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة، زادها الله تعالى شرفاً، فبينما أنا نائم إذا رجل معه قرطاس يكتب فيه:هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوى. ثم أستيقظت فلم أجد بي والله شيئاً مما كنت أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي المصطفى - صلى الله عليه وسلم.إنتهى. وقال السمهودى في تاريخ المدينة المسمى "بخلاصة الوفا" : "... التوسل والتشفيع به - صلى الله عليه وسلم - وبجاهه وببركته من سنن المرسلين، وسيرة السلف الصالحين، واستدل على ذلك أيضاً بما تقدم من حديث آدم عليه السلام والأعمى..... وقال ابن الحاج المالكي في كتابه "المدخل" ما لفظه: "...وأما عظيم جناب الأنبياء، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم فيأتى إليهم الزائر، ويتعين قصدهم من الأماكن البعيدة".إنتهى-بتصرف، قول الآلوسي.

[٢] انظر "عمل اليوم و الليلة لإبن السني"، ص:٢٩، رقم الحديث: موسوعة "جوامع الكلم":١٨٤\المطبوع:٨٥-و الحديث؛ "حسن لغيره".

الصلاة فقال: اَللهمَّ إنِي أسألك بحق السائلين عليك، و أسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أَشَرًا و لا بَطَراً ولا رياءًا و لا سُمعة، و خرجت اتقاء سُخطِك و ابتغاء مرضَاتِك، فأسلك أن تعيذني من النار، و أن تغفر لي ذنوبي، إنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه، و استغفر له سبعونَ ألفِ ملكٍ[١]۞.

- وروى البيهقي و ابن أبي شيبة بإسناد صحيح: أن الناس أصابهم قحطٌ في خلافة عمر–رضي الله عنه–فجاء بلال بن الحارث–رضي الله عنه–إلى قبر رسول الله–صلى الله عليه وسلم–و قال: يا رسول الله، استسق لأمتك فإنهم هلكوا، فأتاه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في المنام فأخبره أنهم يُسقَون[٢]. فإتيان هذا الصحابي الجليل لقبر النَّبي–صلى الله عليه وسلم–و نداؤه له و طلبه أن يستسقي لأمته دليل على أن ذلك جائز، و هو موضع الإستدلال بعمل هذا الصحابي على صحة التوسل به–صلى الله عليه وسلم–سواء في حياته أو بعد وفاته. و قد توسل به أبوه آدم قبل وجوده–صلى الله عليه وسلم–بعدما أكل من الشجرة التي نهى الله عنها، كما تقدم في الحديث. و قد ثبت أيضًا التوسل به–صلى الله عليه وسلم–في قصة الرجل الذي كان يختلف إلى عثمان بن عفان–رضي الله عنه–في حاجة له–و أنها لم تقض إلا بعد التوسل به–صلى الله عليه وسلم–و كذا قصة بلال بن الحارث–رضي الله عنه–أنه لما أصاب الناس قحطٌ في خلافة عمر–رضي الله عنه–أتى إلى قبر النَّبي–صلى الله عليه وسلم–و توسل به قائلًا: "يا رسول الله، استسق لأمتك فإنهم هلكوا"؛ فأتاه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في المنام و أخبره أنهم يسقون.

---

[١] انظر "سنن ابن ماجة"، ص:١٩٩، رقم الحديث:موسوعة "جوامع الكلم":٧٧٠/المطبوع:٧٧٨–و الحديث "حسن لغيره". و لقد ذكر شيخ الأزهر، مفتي الديار المصرية سابقا، الدكتور علي جمعة–في كتابه "البيان القويم لتصحيح بعض المفاهيم"، ص٤٥، صيغة أخرى للحديث " عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم: من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، و بحق ممشاي، فإني لم أخرج أشراً، و لا بطرًا، و لا رياءً، و لا سمعةً؛ خرجت إتقاء سخطك و إبتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، و أن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، و كّل لله به سبعين ألف ملك يستغفرون له و أقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته"؛ و ذكر سند الحديث: أخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص٢١؛ و ابن ماجه في سننه، ج١، ص:٢٥٦؛ و ابن خزيمة في صحيحه، ج١٧، ص:١٨؛ و الطبراني في معجمه، ج٢، ص:٩٩٠؛ و ابن السني في "عمل اليوم و الليلة"، ص٤، نقله ابن حجر في "أمالي الأذكار"، ج١، ص٢٧٣.–إنتهى بتصرف. و جاء في "تخريج أحاديث الإحياء–المغني عن حمل الأسفار"، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، ج١، ص٣٨٤:"... حديث "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن."إنتهى.

[٢] انظر "مصنف إبن أبي شيبة"، ج٧، ص:٤٧٨–"موسوعة الحديث الشريف – إسلام ويب".

الأدلة على عموم التوسل بالأنبياء و المرسلين:

- و أما الأدلة على عموم التوسل-توسله نفسه-ﷺ-بالأنبياء من قبله في قصة فاطمةبنت أسد-رضي الله عنها-التي رواها الطبراني في "المعجم الأوسط" و ابن حبان و الحاكم و صححوه عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-قال:"لما ماتت فاطمة بنت أسد-رضي الله عنها-و كانت ربَّت النَّبي-ﷺ-و هي أم علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-دخل عليها رسول الله-ﷺ-فجلس عند رأسها؛ فقال: "رحمكِ الله يا أمِّي بعد أمِّي و ذكر ثناءه عليها و تكفينها ببُردِه و أمره بحفر قبرها، قال: فلما بلغوا اللَّحد حفَره-ﷺ-بيده و أخرج ترابه بيده-ﷺ-فاضطجع فيه ثما قال:"الله الذي يحي و يميت و هو حي لا يموت، أغفر لأمِّي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلي فإنَّك أرحم الراحمين[١]".

- و روى ابن أبي شيبة عن جابر-رضي الله عنه-مثل ذلك و كذا روى ابن عبد البَّر عن ابن عبَّاس-رضي الله عنهما-ذكر ذلك كله الحافظ السَّيوطي في "الجامع الكبير".

- و من ذلك توسله-ﷺ-بحق السائلين على الله عز وجل؛ فإنه كان-ﷺ-إذا خرج إلى الصلاة قال:"بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول و لا قوة إلا بالله. اللَّهمَّ بحق السائلين عليك، و بحق مخرجي هذا....[٢]"-إلى آخر الحديث.

الأدلة على عموم التوسل بأولياء الله و الصالحين:

و أما التوسل بالأولياء و الصالحين فهو جائز مثل جوازه بالأنبياء و المرسلين-صلوات الله

---

[١] ذكره شيخ الأزهر سابقا و مفتي الديار المصرية، الدكتور علي جمعة، مفتي الديار المصرية في كتابه "البيان القويم لتصحيح بعض المفاهيم"، ص٤٦ و قال في شأنه: "و الحديث في سنده مقال اختلف أهل الحديث في رجاله؛ و ذلك لأن سند الحديث فيه "روح بن صلاح" و قد وثقه ابن حبان، و عدَّه ابن الجوزي من المجهولين، و على هذا فقد اختُلِف في صحة الحديث و ضعفه، في رفع سنده إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- إلا أن معناه صحيح مؤيد بما مر من أحاديث صحيحة.

[٢] متن الحديث: حسن لغيره. الكتاب: أنظر "عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد" لإبن السني (المتوفي: ٣٦٤هـ)-المحقق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت، عدد الأجزاء:١، ج١، ص٧٥-الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة". نص الحديث: عن جابر بن عبد الله، عن بلال مؤذن رسول-الله صلى الله عليه وسلم-قال: كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إذا خرج إلى الصلاة قال: "بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بحق السائلين عليك، وبحق مخرجي هذا، فإني لم أخرجه أشَرًا ولا بَطَرًا ولا رياءً ولا سمعةً، خرجت ابتغاء مرضاتك، واتقاء سخطك، أسألك أن تعيذني من النار، وتدخلني الجنة."

وسلامه عليهم أجمعين. و قد بيَّن الله عزَّ وجلَّ و أوضحه غاية الوضوح على يد عمر-رضي الله عنه-في توسله بالعباس-رضي الله عنه-عم النَّبي-صلى الله عليه وسلم-إذ قال في الإستسقاء:"...إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا-صلى الله عليه وسلم-توسلنا إليك بنبينا-عليه السلام- اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك-صلى الله عليه وسلم[1]". إن في هذه القصة فائدتان:-

أ) الفائدة الأولى:

هي أن قول عمر-رضي الله عنه-"إنا كنا نتوسل إليك بنبينا"، يفيد أن الصحابة-رضي الله عنهم-كانوا يتوسلون بالنَّبي-صلى الله عليه وسلم-في حياته.

ب) الفائدة الثانية:

هي إثبات التوسل بغير النَّبي-صلى الله عليه وسلم؛ و الدليل على ذلك قول عمر-رضي الله عنه:"....و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا". قال الشيخ يوسف إسماعيل النبهاني:"...إنما استسقى عمر-رضي الله عنه-بالعباس و لم يستسق بالنَّبي-صلى الله عليه وسلم-ليبين للناس أن التوسل بغير النَّبي-صلى الله عليه وسلم-جائز و لا حرج فيه؛ لأن الإستسقاء بالنَّبي-صلى الله عليه وسلم-كان معلوماً عندهم. فلربما يتوهم بعض الناس أنه لا يجوز الإستسقاء بغير النَّبي-صلى الله عليه وسلم-فبين لهم عمر-رضي الله عنه-الجواز . و لا يصح أن يُقال إنما استسقى بالعباس و لم يستسق بالنَّبي-صلى الله عليه وسلم-لأن العباس حي و النَّبي-صلى الله عليه وسلم-قد مات؛ لأن الإستسقاء إنما يكون بالحي، فهذا القول باطل مردود بأدلة كثيرة؛ منها توسل الصحابة-رضي الله عنهم-به بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف-رضي الله عنه-و كما في حديث بلال بن الحارث المتقدم، و كذا توسل آدم الذي رواه عمر-رضي الله عنه-كما تقدم. فكيف يُعتقد عدم التوسل أو عدم صحته بعد وفاته؟ و قد صحّ التوسل به-صلى الله عليه وسلم-في حياته و بعد وفاته، و أنه يجوز التوسل أيضًا بغيره من الأخيار كما فعله عمر-رضي الله عنه-حين استسقى بالعبَّاس-رضي الله عنه-و ذلك من أنواع التوسل كما تقدم"-انتهى كلام الشيخ النبهاني-رحمه الله. و قال في موضع آخر، أعني الشيخ النبهاني:"... و الحاصل أن مذهب أهل السنة و الجماعة على صحة التوسل و جوازه بالنَّبي-صلى الله عليه وسلم-في حياته و بعد وفاته، و كذا بغيره من الأنبياء و المرسلين و الأولياء و الصالحين كما دلت عليه الأحاديث السابقة لأنا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرًا و لا نفعًا و لا ضرًّا للنبي-صلى الله عليه وسلم، ولا لغيره من الأحياء و الأموات. فلا فرق في التوسل بالنَّبي-صلى الله عليه وسلم-و غيره من الأنبياء و المرسلين-صلوات الله عليهم أجمعين-و كذا بالأولياء الصالحين، لا فرق بين كونهم أحياءً أو أمواتاً؛ لأنهم لا يخلقون شيئًا و ليس

---

[١] حديث حسن. انظر موسوعة "جوامع الكلم"، المخطوط: "المنتخب من شيوخ بغداد" لمحمد بن يوسف بن علي بن حيان (المتوفي: ٧٤٥ هـ)،ص:٣٣ من المخطوط، رقم الحديث: ٦٣، مصدر المخطوط: الظاهرية.

لهم تأثير في شيء، و إنما يُتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى، والخلق و التأثير لله وحده لا شريك له[١]".

الأدلة على صحة التوسل به-صلى الله عليه وسلم-بعد وفاته:

- ذكر العلامة السيد السمهودي[٢] في "خلاصة الوفا" حيث قال:"روى الدَّارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء، قال: "قحِط أهل المدينة قحطا شديدًا، فشكوا إلى عائشة-رضي الله عنها-فقالت:فانظروا إلى قبر رسول الله-ﷺ-فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف ففعلوا، فمُطِروا حتى نبت العُشب و سمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمِي عام الفتق[٣]". و قال

---

[١] قال شيخ الأزهر، مفتي الديار المصرية سابقا، الدكتور علي جمعة، في كتابه "البيان القويم لتصحيح بعض المفاهيم"، ص٥٠، بعدما ذكر أدلة التوسل في حياة و بعد إنتقال النبي-صلى الله عليه وسلم- إلى جوار ربه ما نصه:"...و لكل هذه الأدلة الصريحة الصحيحة من كتاب ربنا و سنة نبينا -صلى الله عليه وسلم- أجمع علماء الأمة من المذاهب الأربعة و غيرها على جواز و استحباب التوسل بالنبي- صلى الله عليه وسلم-في حياته و بعد انتقاله-صلى الله عليه وسلم، و اتفقوا على أن ذلك لا يحرم قطعاً، و هو ما نراه؛ أن التوسل بالنبي-صلى الله عليه وسلم-مستحب و أحد صيغ الدعاء إلى الله عز وجلَّ المندوب، و لا عبرة لمن شذَّ عن إجماع العلماء كابن تيمية و من ردد كلامه من بعده، و الله تعالى أعلى و أعلم".

[٢] السمهودى – على بن عفيف الدين عبد الله بن احمد ابن على بن محمد نور الدين أبو الحسن السمهودى الشافعي (سمهود بلدة غربي نيل مصر) الحسنى نزيل المدينة المنورة المفتى بها ولد سنة ٨٤٤ هـ وتوفى سنة ٩١١ هـ. له الكثير من التصانيف، منها؛ " إقتناء الوفاء بأخبار دار المصطفى" في التاريخ؛ أ"منية المعتنين بروضة الطالبين"؛ "إكمال المواهب"؛ "الأنوار السنية في أجوبة أسئلة اليمينة"؛ "خلاصة الوفا"؛ "جواهر العقدين في فضل الشرفين-شرف العلم الحلى والنسب العلى"، إلخ-نقلا، بتصرف، عن "هدية العارفين"، المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، ج١، ص:٧٤٠ - "المكتبة الشاملة".

[٣] الكتاب: "خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى" للسمهودي (المتوفي: ٩١١ هـ)، ج٢،ص١٤١-١٤٢- موسوعة "المكتبة الشاملة". محقق "خلاصة الوفا"؛ د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، عدد الأجزاء:٢. و ذكر القصة الدارمي في سننه، تحت باب "ما أكرم الله تعالى نبيه- صلى الله عليه وسلم- بعد موته"، ج١، ص:٥٦-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"؛ نص الحديث: حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي- صلى الله عليه وسلم- فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق."

العلامة المراغي:"...وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الآن يفتحون كوة في سفل قبة الحجرة أي القبة الزرقاء المحترقة في زماننا يفتحونها من جهة القبلة وإن كان السقف حائلا بين القبر الشريف وبين السماء". قال السيد السمهودي:"...وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة الشريفة والاجتماع هناك"–إنتهى قول السمهودي؛ و ليس القصد من فعل ذلك إلا التوسل بالنَّبي–ﷺ–لرفعة قدره عند الله تعالى. و قال أيضًا السيد السمهودي في "خلاصة الوفا": "التوسل والتشفع به–ﷺ–وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسير السلف الصالحين[١]".

- و في "المواهب اللدنية" للإمام القَسطلاني[٢]:"عن الحسن البصري–رضي الله عنه–قال: وقف حاتم الأصم على قبر النبي–ﷺ–فقال يارب إنا زرنا قبر نبيك–ﷺ–فلا تردنا خائبين، فنودي: يا هذا ما أذِنا لك في الزيارة لقبر حبيبنا إلاَّ وقد قبلناك فارجع و من معك من الزوار مغفورًا لكم[٣]". و ينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الأداب الكاملة و اجتناب الألفاظ المُوهمة بتأثير غير الله.

- و من أدلة جواز التوسل قصة سَوادُ بن قارب–رضي الله عنه–التي رواها الطبراني في "المعجم الكبير[٤]"

و فـيها أن سواد بن قارب–رضي الله عنه–أنشد رسول الله–ﷺ–في قصيدته التي قال فيها:–

---

[١] نفس المصدر أعلاه؛ الباب: الفصل الثاني " في توسل الزائر به–صلى الله عليه وسلم– إلى ربه تعالى واستقباله له في سلامه ودعائه وآداب الزيارة والمجاورة"، ج١، ص:٤٠٧–"المكتبة الشاملة".

[٢] القَسْطَلَّاني (٨٥١ - ٩٢٣ هـ = ١٤٤٨ - ١٥١٧ م): .أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. له "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، عشرة أجزاء؛ و "المواهب اللدنية في المنح المحمدية " في السيرة النبويّة؛ و"لطائف الإشارات في علم القراآت "؛ و"الكنز" في التجويد؛ و "الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر"؛ و "شرح البردة" سماه "مشارق الأنوار المضية " منه نسخة في دمشق، كما في تعليقات عبيد، وأخرى في خزانة الرباط (٢٠٨٣ كتاني).نقلاً بتصرف عن "الأعلام للزركلي" .

[٣] الكتب:" المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، ج٣، ص:٥٩٧–"المكتبة الشاملة"، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر.

[٤] "المعجم الكبير"، ج٧، ص:٩٢–"المكتبة الشاملة"، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:٢٥.

فأشهد أنَّ الله لا ربَّ غيرهُ
وأنك مأمونٌ على كلِّ غالبِ
وأنَّك أدنى المرسلين وسيلةً
إلى الله يا ابن الأكرمينَ الأطايبِ
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى
و إن كان فيما جاء شيبُ الذوائبِ
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعةٍ
سواك بمغنٍ عن سوادِ بن قاربِ

لم ينكر عليه رسول الله–ﷺ–قولَه"أدنى المرسلين وسيلةً"، و قوله "كن لي شفيعًا".

• و كذا من أدلة التوسل ما ذكره العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بِ"الصواعق المحرقة لأهل الضلال و الزندقة" أن الإمام الشافعي–رضي الله عنه–توسل بأهل البيت حيث قال:

آل البيت ذريعتي
و هم إليه وسيلتي
أرجو بهم أُعطى غَداً
بيدِ اليمين صحيفتي[١]

• و في "المواهب الَّلدنية":"...و رثته عمَّتُه صفية بمراثي كثيرة منها قولها:

ألا يا رسول اللهِ كنت رجَاءَنَا
و كنت بنا برًّا و لم تكُ جافياً[٢]"

---

[١] "الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة" لإبن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، محقق الكتاب: عبد الرحمن بن عبد الله التركي كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. ج٢، ص٥٢٤.

[٢] "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي

ففي هذا البيت نداءٌ صريح لحضرته-ﷺ-و لم ينكر عليها أحد من الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين.

• و ذكر الفقهاء في أداب السفر:"إن المسافر إذا انفلتت دابته بأرضٍ ليس فيها أنيس؛ فليقل:- يا عباد الله أحبسوا، و إذا أضَّل شيئاً أو أراد عوناً فليقل: يا عباد الله أعينوني أو أغيثوني-فإن لله عبادًا لا نراهم، و استدل على ذلك بما روى ابن السني عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله-ﷺ:"إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أحبسوا عليَّ، يا عباد الله، أحبسوا عليَّ، يا عباد اللهِ أحبِسوا عليَّ، فإن لله في الأرض حاضرًا سيحبِسُهُ عليكم[١]".

المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، عدد الأجزاء: ٣- الرثاء موجود في ج٣، ص٥٧٣. جاء في الكتاب ما نصه: و ورثته عمته صفية-رضي الله عنها- بمراثى كثيرة منها قولها:-

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برّا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبي لفقده ... ولكن لما أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد ... وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته ... يبكّي ويدعو جده اليوم نائيا

إنتهى بتصرف.

[١] الحديث صحيح-انظر موسوعة "جوامع الكلم"، حديث رقم: ١٠٥١٨/١٠٣٧١، ص:٣٠٤٥، و الحديث في "المعجم الكبير" للطبراني،المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:-٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:٢٥. الحديث، ذكره الطبراني في ج١٠، ص٢١٧. كذلك ذُكِر بصيغة أخرى في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠، في ج١٠، ١٣٢؛ الحديث: عن ابن عباس: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة، يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عَرْجَة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله". رواه البزار، ورجاله ثقات. و كذلك ذكر الحديث التالي الإمام البيهقي في كتابه "الآداب للبيهقي" في ج١، ص٢٦٩: عن مجاهد، عن ابن عباس قال: " إن لله ملائكة في الأرض يكتبون ما يقع في

ففي هذا الحديث نداء و طلب نِعم التسبب في ذلك من عباد الله الذين لا يراهم. و في حديث آخر أنه-ﷺ-قال:"إذا أضَلَّ أحدكم شيئًا أو أراد عونًا، و هو بأرضٍ ليس فيها أنيس فليقل: يا عباد الله أعينوني". و في رواية "أغيثوني؛ فإن لله عبادًا لا تروهم". قال ابن حجر في حاشيته"إيضاح المسالك":"و هو مُجرب كما قال الرّواي".

التوسل بالعمل الصالح:

و أما التوسل بالعمل الصالح فهو جائز و قد ثبت العمل به و تحقق نفعه و فائـدته؛ و ذلك ما رواه البخاري و مسلم في صحيحيهما: عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-قال سمعت رسول الله-ﷺ-يقول:" انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالاً فنأى بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج. قال النبي-ﷺ:وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهمَّ إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي- ﷺ: وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إلي أجري! فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت إني لا أستهزئ بك! فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا. اللهم

الأرض من ورق الشجر، فإن أصابت أحدًا منكم عرجة أو احتاج إلى عون بفلاة من الأرض فليقل: أعينوا عباد الله رحمكم الله، فإنه يعان إن شاء الله ". هذا موقوف على ابن عباس، مستعمل عند الصالحين من أهل العلم لوجود صدقه عندهم فيما جربوا. وبالله التوفيق". الكتاب: الآداب للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة:- الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ١. الحكم على متن الحديث في موسوعة "جوامع الكلم" الرقمية: حسن.

فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون[١]".

التبرك بأثار النَّبي–صلى الله عليه وسلم–في حياته و بعد وفاته:

و بعد تقديم ما تيسر لنا من النصوص في التوسل و الأدلة الصحيحة على مشروعيته، نختم هذا الباب بكلمةٍ وجيزةٍ حول التبرك بأثاره–ﷺ–في حياته و بعد وفاته؛ نظرًا لارتباطه المتين بالتوسل. فلقد ثبت التبرك بشعره–ﷺ–و عرقه و نخامه ووضوئه و أثار أصابعه من الطعام بعد فراغه منه. و كل هذا بالنصوص الصحيحة التي جرى بها عمل الصحابة الكرام–رضوان الله عليهم أجمعين–في خلال حياته–ﷺ–و بعد وفاته.

• فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بإسناده إلى إسرائيل بن يونس عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب مولى آل طلحة أنه قال : أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النَّبي–ﷺ، بقدح من ماء–وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قُصَّةٍ فيه شعر من شعر النَّبي–ﷺ–وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مِخْضَبَهُ، فاطَّلعتُ في الجُلجُل[٢] فرأيت شعراتٍ حُمراً[٣]". قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري": "والمراد أنه كان من اشتكى أرسل إناءً إلىٍ أم سلمة فتجعل فيه تلك الشعرات وتغسلها فيه وتعيده فيشربه صاحب الإناء أو يغتسل به استشفاء بها فتحصل له بركتها[٤]". وقال القسطلاني في شرح هذا الحديث:– "والحاصل من معنى الحديث أن أم سلمة كان عندها شعرات من شعر النَّبي–ﷺ–حمر[٥] في شيء يشبه

---

[١] "صحيح البخاري"، ج٢، ص٧٩٤، رقم الحديث:٢١٥٢. انظر "موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٢] الجلجل: شيء يشبه القارورة يحفظ فيه ما يراد صيانته. جاء في "فتح الباري" لإبن حجر، ج١٠، ص:٣٥٣– "المكتبة الشاملة" ما نصه: " الجلجل كذا للأكثر بجيمين مضمومتين بينهما لام وآخره أخرى هو شبه الجرس وقد تنزع منه الحصاة التي تتحرك فيوضع فيه ما يحتاج إلى صيانته".

[٣] "صحيح البخاري"–باب ما يذكر في الشيب، ج٥، ص:٢٢١٠، رقم الحديث: ٥٥٥٧–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٤] الكتاب: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد الدين الخطيب، عدد الأجزاء: ١٣. تعليق ابن حجر مذكور في "باب ما يذكر في الشيب"، ج١٠، ص:٣٦٥.

[٥] محفوظة للتبرك.

الجلجل، وكان الناس يستشفون بها من المرض، فتارة يجعلونها في قدح من ماء ويشربونه، وتارة في إجّانة[١] من الماء فيجلسون في الماء الذي فيه الجلجل الذي فيه شعره الشريف[٢]"-إنتهى قول القسطلاني.

• و من بين الأحاديث الصحيحة في هذا الباب ما رواه البخاري أيضًا في صحيحه في القصة الطويلة التي ذُكرها في صلح الحديبية؛ عن المسْوَر و مروان بن الحكم-و في القصة،:"...فوالله ما تنخَّم النَّبي-ﷺ-نُخامة إلا و قعت في كف رجلٍ منهم فدلك بها و جهه و جلده، و إذا أمرهم ابتدروا أمره و إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، و إذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، و ما يحُدُّون إليه النظر تعظيماً له[٣]".

• عن أنس-رضي الله عنه-أن أم سليم كانت تبسط للنبي-ﷺ-نِطَعًا فيقيل عندها على ذلك النِّطَع[٤]، فإذا نام النَّبي-ﷺ-أخذت من عرقِه و شعره فجمعته في قارورة ثم جمعته في سُكٍّ[٥]، قال:فلما حضر

---

[١] إجَّانة : وعاء يحفظ فيه الماء. جاء في "المجم الوسيط" - مجمع اللغة العربية بالقاهرة-(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الإجانة: إِنَاء تغسل فِيهِ الثِّيَاب والحوض حول الشَّجَرَة.

[٢] "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" للقسطلاني(المتوفي:٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة-١٣٢٣هـ، عدد الأجزاء:١٠. نص تعليق القسطلاني في باب ما يذكر في الشيب، ج٨، ص٤٦٥-الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".

[٣] "صحيح البخاري"-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، الحديث مذكور في "باب الشروط في الجهاد و المصالحة مع أهل الحرب"، ج٣، ص ١٩٣-"المكتبة الشاملة".

[٤] النطع: بساط من جلد. و الحديث مذكور في "صحيح البخاري"، ج٥،ص:٢٣١٦، رقم الحديث:٥٩٢٥-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٥] نوع من الطيب يركب من المسك وغيره. قال العلامة العسقلاني في شرح "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، ج٩، ص:١٦٣-"المكتبة الشاملة" .... "ثم جمعته في سك" ما نصه: بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب مركب، وليس المراد أنها كانت تأخذ من شعره وهو نائم، وعند ابن سعد بسند صحيح عن ثابت عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما حلق شعره بمنى أخذ أبو طلحة شعره فأتى به أم سليم فجعلته في سكها. قالت أم سليم: وكان يجيء ويقيل عندي على نطع فجعلت أسلت العرق، ففيه أنها لما أخذت العرق وقت قيلولته أضافته إلى الشعر الذي عندها لا أنها أخذت من شعره لما نام، وفي رواية ثابت عن أنس عند مسلم دخل علينا النبي فقال عندنا فعرق وجاءت أم سليم بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ فقال: "يا أم سليم ما هذا

أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يُجعلَ في حَنُوطِهِ من ذلك السُّك قال، فجُعِل في حنوطِه[١]". و أيضاً؛ "أنه–ﷺ–كان يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها و ليست هي في البيت، فجاءت ذاتَ يوم فنام على فراشها فجاءت أم سُليم و قد عرق رسول الله–ﷺ–و استنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشِّف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففَزِعَ النَّبي–ﷺ–فقال:"ما تصنعين يا أم سُليم؟" فقالت: نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبتِ[٢]".ففي هذه الأحاديث فوائد كثيرة؛ نذكر منها اثنين:–

- **الفائدة الأولى:**

إن الذي يبدو جليًّا من خلال هذه الأحاديث هو أن الصحابة لم يكونوا يستشيرون النَّبي–ﷺ–في التبرك بآثاره و لم يسألوه عن ذلك بل كانوا يفعلونه من تلقاء أنفسهم بدافع إيماني قوي مِلؤه المحبة الصادقة لرسول الله–ﷺ–و التعظيم اللائق بسموِّ مقامه و رفيع مكانته عند الله عز وجل وحده لا شريك له. و الصحابة مع علمهم هذا يعلمون يقينًا أن غير الله تعالى لا يملِكُ ضرًّا و لا نفعًا و لا تأثيرًا و لا إيجادًا و لا إعدامًا!

إذن ففعل التبرك طلبًا للخير و البركة و دفعًا للضر و جلبًا للنفع إذا صدر من مؤمن عارف بشؤون إيمانه و عقيدته؛ و معنى ذلك أن يكون هذا المؤمن حين تبركه بشيءٍ مما سبق ذكره يرى أن ما يفعله من فعل التبرك هو سبب من الأسباب فقط و يعتقد إعتقادًا يقينيًا أن الله هو الضار و النافع و أنَّ في عمله هذا خير و بركة و نفع؛ لأنه من عمل الصحابة–رضوان الله عليهم–خصوصا و قد أقره سيد المرسلين–ﷺ–الذي قال في حقه رب العالمين: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾[٣]–و هذا يعني أنه–ﷺ–لا يصدر منه شيءٌ من التشريع إلا بإذن الله تعالى سواء كان ذلك التشريع قولًا أو فعلًا أو إقرارًا؛ و التبرك مما أقره–ﷺ. أما الحكمة من سؤاله لأم سليم حين كانت تنشف عرقه و تعصره في قواريرها

الذي تصنعين؟" قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا إذ هو من أطيب الطيب. (قال) ثمامة: فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى أن– و لأبي ذر أوصى إلى أن يجعل في حنوطه بفتح الحاء المهملة وهو الطيب الذي يصنع للميت خاصة وفيه الكافور يجعل في أكفانه (من ذلك السك) الذي فيه من عرقه وشعره (قال: فجعل) بضم الجيم "في حنوطه"كما أوصى تبركًا به وعوذة من المكاره."–إنتهى.

[١] "صحيح البخاري"، ج٥، ص٢٣١٦، رقم الحديث:٥٩٢٥. "موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٢] "صحيح مسلم"، ج٤، ص:١٨١٦، حديث رقم:٢٣٣١–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٣] من سورة "النجم".

هو أن يعرف قصدها و نيتها قبل أن يقرها على صنيعها و يبشرها بالإصابة في قصدها. و تروي لنا كتب السنة أنه قد صدر عنه-ﷺ-مثل هذا فيما أقره من عمل أصحابه-رضي الله عنهم أجمعين- فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه؛ عن معاوية-رضي الله عنه-أن رسول الله-ﷺ- خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا. قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك! قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة[١] ". و هكذا تكون حقيقة الإقرار؛ تكون بعد الإطلاع على القصد من العمل. و قديكون-ﷺ-قد فعل ذلك في القصتين تعليماً لأمته كيفية النية و القصد في سائر شؤونها و خصوصًا منها جانب التقرب والعبادات.

- **الفائدة الثانية:**

أنه لا يجوز للمسلم أن يحكم على غيره بمجرد رؤيته لظاهر العمل؛ فلا بد من الإستفسار و الإطلاع عن نية العمل، و يكون ذلك باستفسار العامل عن إرادته و القصد من وراء الفعل و العمل. و يكون هذا بواسطة طرح الأسئلة التالية:- "ماذا تريد بعملك هذا؟"؛ أو يقول "لماذا فعلت هذا؟"؛ أو "ما قصدك و نيتك من هذا العمل؟" و بعد التعرف على القصد و النية، يكون الحكم سليمًا من الأهواء و الأغراض و نزعات النفس و الشيطان. و ما ذكرناه من الإستفسار و الإطلاع على نية الأعمال قبل الحكم عليها-هو من سنة رسول الله-ﷺ و المعتمد عليه قبل الحكم على ظواهر الأفعال و الأعمال.

و قد روى أبو داود في سننه أن امرأة أتت النَّبي-ﷺ-فقالت يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدُّف، قال: أوفي بنذرك! قالت:إني نذرت أن أذبح بمكان كذا و كذا؛ مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية، قال: لصنم؟ قالت: لا! قال: لوثن؟ قالت: لا! قال: أوفي بنذرك[٢]". و روى أبو داود أيضًا في سننه عن عوف بن مالك-رضي الله عنه-قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يارسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال:"اعرضوا عليَّ رُقاكم؛ لا بأس بالرُّقى ما لم تكن شركًا[٣]".

---

[١] "صحيح مسلم"، ج٤،ص:٢٠٧٥، رقم الحديث:٢٧٠١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٢] "سنن أبي دواد"، ج٣، ص:٢٣٨، رقم الحديث:٣٣١٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٣] نفس المرجع أعلاه، ج٤، ص:١١، رقم الحديث:٣٨٨٦-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

التبرك بآثار أصابع رسول الله–صلى الله عليه وسلم:

جاء عن أبي أيوب الأنصاري–رضي الله عنه–و هو يحدث عن أيام رسول الله–صلى الله عليه وسلم–عنده. قال: لما نزل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في بيتي؛ نزل في أسفل البيت و أنا و أم أيوب في العلّو، فقلت له يا نبي الله، بأبي أنت و أمي إني لأكره و أعظِم أن أكون فوقك و تكون تحتي، فاظهر أنت فكن في الأعلى، ننزل نكن في الأسفل. فقال، يا أبا أيوب إنه لأرفق بنا و بمن يغشانا أن نكون في أسفل البيت"؛ إلى أن قال أبو أيوب"....و كنا نضع له العشاء، ثم نبعث به إليه فإذا ردَّ علينا فضلَه تيممتُ أنا و أم أيوب موضعَ يدَه، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة حتَّى بعثنا إليه ليلة بعَشائه و قد جعلنا له بصلاً و ثُومًا فرده رسول الله–صلى الله عليه وسلم–و لم أر ليده فيه أثرًا؛ فجئته فَزِعًا فقلت يا رسول الله، بأبي أنت و أمي، رددت عشاءك و لم أر فيه موضع يدك، و كنت حينما ترد علينا فضل طعامك أتيمم أنا و أم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة. فقال: إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة و أنا رجل أناجي، فأمَّا أنتم فكلوه. قال؛ فأكلناه ثم لم نضع في طعامه شيئًا من الثومِ والبصل بعد[١]"–إنتهى. إن هذه القصة تخبرنا على مدى حب الصحابة العميق، رجالًا و نساءًا و أطفالًا للنبي–صلى الله عليه وسلم–و تبين لنا مدى فيضان محبتهم للرسول–صلى الله عليه وسلم. و الذي أردنا الإشارة إليه من خلال هذا القصة:هو تبرك أبي أيوب و زوجه بآثار أصابع رسول الله–صلى الله عليه وسلم؛ و أن أمر التبرك أمرٌ أقره رسول الله–صلى الله عليه وسلم.

و بهذه المسألة الجليلة نختم هذه الرسالة، "رسالة اليقين في مسائل ذات أهمية في الـدين"، وصلى الله على سيدنا محمَّد و على آله و أصحابه وسلم تسليما.

[١] حديث صحيح. "المعجم الكبير للطبراني"، ج٤، ص:١٢٠، رقم الحديث:٣٨٥٥/٣٧٦١–موسوعة "جوامع الكلم".

البَابُ الثَّالِثُ :

رسالة إلى صديق حميم و محبين في الفرق بين التصوف الحقيقي و التصوف المجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

إفتتاحية[١]:

بعد الصلاة و التسليم على نور الهدى محمد الأمين و على آله و صحبه الأكرمين، نبتدئ هذه الإفتتاحية في تبيان ما جاء في هذه الرسالة الربّانية و ما كان من أسباب خروجها للعلانية؛ فهي مَدرجٌ للسالكين و تنبيهٌ للغافلين و منهاجٌ للمريدين و فصلُ خطاب حدُّه سيف اليقين و منبعُه العارف بربّه أخونا الشيخ أحمد حبيب، مُقدَّمْ الطريقة العلوية الدَّيلميَّة و شيخ التربية الإسلامية الصوفية السليمة في ربوع الجمهورية الجزائرية.

أمّا بعد، أخي القارئ الكريم؛ لقد تلقَّينا تساؤلات كثيرة و متنوّعة من إخواننا في الدِّين و العقيدة و من غيرهم الذين هم في شتَّى بقاع المعمورة، طالبين و باحثين عن معنى التَّصوف و ماهيته و كذا منبعُه، و آخرون مُنكرون وجوده، بل يقولون ببطلانه و بأنَّه بدعةٌ مستحدثةٌ لا أثر لها و لا امتداد لها عبر التاريخ و أنَّها تُعتبر إضافةٌ للدِّين الذي جاء به الحبيب المصطفى–صلوات الله و سلامه عليه.
رحم الله الإمام البُوصَيري[٢] الذي قال في قصيدته المشهورة "البُردة":-

و قد تُنكِرُ العين نور الشَّمس من رَمَدٍ
و قد يُنكِر الفم طعم الماء من سقم

أخي القارئ الكريم: إنَّ ما جاء في هذه الرِّسالة القيِّمة هو شفاءٌ لما في الصدور من وساوسٍ و شكوك السائلين و دليل قاطع، فاقعٌ لونُه لمن كان بصرُه ضعيف و علمُه خفيف؛ مصداقا لقول الحقّ تعالى لبني إسرائيل لـمَّا أكثروا السؤال عن البقرة رغم بيان مَعالمها لدى الكبير والصغير:﴿إِنها بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُر الناظِرِينَ (٦٩)[٣] ﴾.

---

[١] هذه إفتتاحية للسيد المحترم، بوعلام مقرمان، الذي وجّهتْ إليه الرسالة.

[٢] جاء في كتاب " ثلاثية البردة – بردة الرسول صلى الله عليه وسلم" لحسن حسين، ج١، ص٤٩ (ناشر الكتاب: دار الكتب القطرية، الدوحة، الطبعة الأولي: ١٤٠٠هـ) ما نصه: هو الإمام شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن، الصنهاجي الجد، الدلاصي المولد، المغربي الأصل، البوصيري المنشأ. وقد أشار البوصيري إلى أصله فقال: أن كان مثلي مغربيا فما ... في صحبة الأجناس من بأس. وكان مولد البوصيري يوم الثلاثاء أول شوال عام ٦٠٨ هـ (١٢١٢ م) وبدأ حياته الدراسية كما كان يبدؤها معاصروه وذلك بحفظ القران الكريم ودراسة علوم الدين واللغة كالنحو والصرف والعروض، كما درس الأدب والتاريخ الإسلامي وبخاصة السيرة النبوية، ثم اتجه نحو التصوف فتلقى على يد أبي العباس المرسي الطريقة الصوفية، ودرس اداها وأسرارها.

[٣] جزء من الآية ٦٩ من سورة "البقرة".

حقاً هذه الصفحات القليلة في عددها، البسيطة في مفرداتها، المختصرة في كلامها مُنطويةٌ على كلِّ معاني التصوف الحقيقي جملةً و تفصيلاً و مزيلة لغمامات الشكوك المحيطة بفنِّ التَّصوف الإسلامي و كاشفة الغطاء على مواصفات التَّصوف المجازى و رافعة لكلِّ لُبس بينهما، واضعة الخطوط الحمراء الفاصلة بين الحقِّ و الباطل و موضِّحة للمريد كيفية سلوك طريق القــوم، مبيِّنةً له الباب الرئيسي الذي يدخلُ منهُ كـلُّ مريد و كذا الآداب و ضرورة مصاحبة الشيخ المربِّي، العارف بربِّه المؤهل للتربية. و ختاماً لهذه الكلمة القصيرة حول ما جاء من أسرار و معاني في طيّات رسالة " الفرق بين التصوّف الحقيقي و التصوّف المجازي" لا أجد ما أقوله شكراً و تقديراً لشيخنا الكريم أحمد حبيب سوى هذه الأبيات راجياً من المولى القبول و أن يجمعنا معهم أينما حلُّوا أو إرتحلوا.

بدأت باسم الله ﷻ

بَـدأتُ باسمِ اللهِ و الحَـمْـدُ و الثَنَا ... و أَسْـأَلُ مِنْ أَلْطَافِهِ فَهوَ أكـرَمُ

و للمُصطفَى الهَـادِي أَبُثُّ تَحِيَّتِي ... أُصَـلِّـي عَـليهِ دائـماً و أسـلِّـمُ

و بَعدُ فَـهـذَا الفَـضْـلُ من جودِ ربِّـنَا ... يُـبَـيِّـنُـهُ لِلـطَّـالِـبِـينَ مُعَـلِّـمُ

وَ أعنِي بِـهِ أَسْتَاذنَـا أحمَدَ الحَبيبَ ... عَـنْ شَيخِـنَا البُـودِيلِـمِي مُتَمِّمُ

لَـدَيهِ تَــحَلىَ بِالتَّصوفِ وَ انْبرَى ... عَلَى نَهجِ مَنْ يَهدِي لِمَا هَوَ أَقْوَمُ

رُويدَكَ يَا مَنْ لَـمْ يُتِح لَكَ عِلـمُـهُ ... فَقَدْ فَاتَكَ الخَيرُ الكَثِيرُ وَ مَغْنَمُ

فَهَذَا الَّذي فِي الـنَّاسِ قَدْ بَانَ نُـورُهُ ... وَ عَلَّمَ جُـهَّالاً فَليتَـكَ تَـعْـلَـمُ

وَ مَجلِسُـهُ وِرْدٌ لِـعـلـمٍ وَ حِـكـمَـةٍ ... وَ مَنْـهَـجُـهُ للإِعْـوِجَاجِ مُـقَــوِّمُ

فَإِنْ شِئتَ أَنْ تُسْقَى بِسرِّ عُلُومِهِ
فَلاَزِمْهُ تَحْظَى بِالمَرَامِ وَ تَنْعَمُ
فَمَا المَدحُ مِنَّا فِي جَمِيلِ صَنِيعِهِ
وَ لَكِنْ عِرْفَانُ الجَمِيلِ مُحَتَّمُ
نَصَحتُكَ فِي اللهِ الكَرِيمِ فَلُذْ بِهِ
إِذَا كُنْتَ لِلخَيرِ العَمِيمِ تَيمَّمُ
فَإِنْ نِلتَ مِنْ مَوْلاَكَ مِنْ قُرْبِهِ الرِّضَا
فَبِالشُّكْرِ لِلمَوْلَى تُزَادُ وَ تُكْرَمُ
عَلَى المُصْطَفَى وَالآلِ وَالصَّحْبِ كُلِّهِمْ
أُصَلِّي وَ أُثْنِي بِالسَّلاَمِ وَ أَخْتِمُ

أبو ظبي في ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٣ الموافق لِـ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م
العبد الفقير إلى مولاه، بوعلام مقرمان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد للّه الذي أودع لطائف أسراره في قلوب العارفين وجعل البيان طريقًا لوصولها إلى المسترشدين وصلَّى اللَّهُ وسلم على سيدنا ومولانا محمد الأمين و على آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدِّين.

من عبد ربه الحاج أحمد حبيب، خديم طريقة الإخوان الصوفية بالجمهورية الجزائرية و من معه من الإخوان في الله الذاكرين الشاكرين، صانهم الله و وفقهم إلى ما يحبه ويرضاه من صالح الأعمال وكريم الخصال-إنه ولِّي الامتنان، إلى طيِّب النشأة، طاهر السريرة، الولي الصَّالح سيدي بوعلام مقرمان و من يجتمع معه أو يتصل به من المؤمنين الطَّيِّبين ذوي الهِمَم العالية و النفوس الصَّافية الزَّكيَّة، الرَّاغبين في الانتماء إلى هذه الصفوة الصَّافية-وهم جماعة الصوفية الذين استخلصهم الله لحضرة قدسه و خالص معرفته حتى صاروا كما وصفهم سيدي بومدين- رضي الله عنه-بقوله:-

يـا فـوز قـومٍ باللَّهِ فـازوا
فلم يـروا في الـورى سـواهُ

قــرَّبــهم مـــنـــه فـــاجـتـباهـمْ   فــنـزَّهـــوا الــفِـكـر فـي عُـلاهُ
لـيس لــهم للســوى إلتـفــاتٌ   كــيف و قــد شــاهــدوا سناهُ

سيدي أبو مدين الغوث.[١]

وجاء في وصفهم عن الإما م أبي حامد الغزالي–رضي الله عنه– حيث يقول في كتابه–"المنقذ من الضلال": " و انكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمورٌ لا يمكن إحصاؤها ولا استقصاؤها، و القدر الذي أذكره لينتفع به: إني علمت يقينا أنَّ الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، و أنَّ سيرهم أحسن السير، و طريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق. بل لو جُمِعَ عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليُغَيِّروا شيئًا من سيرهم و أخلاقهم ويبدلوه بما هو خيرٌ منه، لم يجدوا إليه سبيلاً. فإن جميع حركاتهم و سكناتهم ،في ظاهرهم و باطنهم، مُقتَبسةٌ من نور مشكاة النبوَّة، و ليس وراء نور النبوَّة على وجه الأرض نورٌ يستضاء به. و بالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة، الطهارة هي أوَّل شروطها، تطهير القلب بالكلية عمَّا سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة، استغراق القلب بالكلية في ذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله[٢]"–انتهى كلام الشيخ أبو حامد–رضي الله عنه.

[١] أَبُو مَدْيَنَ شُعَيْبُ بنُ حُسَيْنٍ الأَنْدَلُسِيُّ: الزاهد، شيخ أهل المغرب، كان من أهل حصن منتُوجت من عمل إشبيلية. جال وساح، واستوطن بجاية [الجزائر] مدة، ثم تلمسان [مدينة تاريخية في غرب الجزائر و قرب الحدود المغربية]. ذكره أبو الصبر السبتي وأبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني–: كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك. قال: وتوفي بتلمسان في نحو التسعين وخمس مائة، وكان آخر كلامه: الله الحي، ثم فاضت نفسه. قال محيي الدين ابن العربي: كان أبو مدين سلطان الوارثين، وكان جمال الحفاظ عبد الحق الأزدي قد آخاه ببجاية، فإذا دخل عليه، ويرى ما أيده الله به ظاهرا وباطنا، يجد في نفسه حالة سنية لم يكن يجدها قبل حضور مجلس أبي مدين، فيقول عند ذلك: هذا وارث على الحقيقة. قال محيي الدين: كان أبو مدين يقول: من علامات صدق المريد في بدايته انقطاعه عن الخلق، وفراره، ومن علامات صدق فراره عنهم وجوده للحق، ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق، فأما قول أبي سليمان الداراني لو وصلوا ما رجعوا فليس بمناقض لقول أبي مدين، فإن أبا مدين عنى رجوعهم إلى إرشاد الخلق، والله أعلم.نقلاً عن "سير أعلام النبلاء–الرسالة" للإمام و خاتمة الحفاظ و المحدث شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) (الناشر: دار الحديث– القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م). النبذة عن حياة سيدي أبي مدين الغوث–قدس الله سره–مذكورة في ج٢١، ص:٢١٩–"المكتبة الشاملة".

[٢] "المنقذ من الضلال"، ج١، ص١٧٨–"المكتبة الشاملة". (تفاصيل الطبعة:المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) بقلم: الـدكتور عبد الحليم محمود،الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر.

تساؤلات الإخوان عن التصوف:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحفظه ورعايته مادمتم لله ذاكرين شاكرين وبكتاب الله و سنة نبيِّه-ﷺ-عاملين و مستمسكين، و على منهاجِ القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم سائرين، و الله مع الذين اتقوا و هم محسنون و هـــو يتـولّى الصَّالحين. هذا و قد سبق لكم أن أخبرتمونا أنَّ هناك إخوانا صالحين يبحثون عن التصوف الحقيقي الصحيح، و يستفسرون في نفس الوقت عن كنه التصوف و ماهيته، وهل هو قديم أم محدث إلى آخر تساؤلاتهم-حفظهم الله جميعًا.

و نحن إن شاء الله نجيبهم باختصار و حسب ما يجود به الأوان، و الله المستعان و هو وليُّ التوفيق. ونبدأ بحقيقة التصوف التي هي كُنْهُهُ و ما هيته. اعلموا أيها السادة الأفاضل، علَّمكم الله من علمه اللَّدني المكنون، إنَّ حقيقة التصوف هي شيءٌ من وراء العقول و ذلك لأنها،أي حقيقة التصوف، أمرٌ ذوقي وجداني شهودي عِيَّاني، يحصل للمؤمنين الطيِّبين أو لبعضهم من طريق محض الموهبة و الإلهام من الله الكريم المنان و لكن لا يكون هذا ولا يحصل إلاَّ بعد سلوك طريق المجاهدة و الرِّياضة الروحية أو بعبارة أخرى، سلوك طريق التقرب و التحبُّبْ إلى الله بما يحبُّه ويرضاه. ويشترط فيه صدق التوجُّهِ إلى الله وحسن الإقبال عليه كما بينَّ ذلك الإمام أبو حامد الغزالي-رضي الله عنه- بقوله:" فعمدةُ الطَّريق أمران، الملازمة و المخالفة[١]". الملازمة لذكر الله تعالى و المخالفة لما يُشغِلْ عن الله. و هذا هو السفر إلى الله! وليس في هذا السفر مسافة تقطع؛ لا من جانب المسافر و لا من جانب المسافر إليه. و إنما مثل الطالب و المطلوب كمثل صورة حاضرة مع مرآة و لكن ليست تتجلى فيها، أي في المرآة، لِصدءٍ في وجه المرآة. فمتى صقلها صاحبها تجلت فيها الصورة لا بارتحال الصورة إلى المرآة و لا بحركة المرآة إلى الصورة ولكن بزوال الحجاب. فإن الله متجلّ بذاته على الدوام لا يختفي نوره و إنما خفاء النور عن الحدقة لأحد أمرين؛ إمَّا لكدورة في الحدقة؛ و إمَّا لضعفٍ فيها إذ لا يطيق احتمال النور العظيم الباهر.

إذن فما على الرَّاغبين في هذا الشأن الجسيم و الأمر العظيم إلاَّ أن يُنَقُّوا عن عين القلب كُدُورتَه و يُقُّووا حدقته حتى يحظوا أي ينالوا من الله حظًا وافرًا من القرب و الأنس و الذوق و الشهود و العيان و الله كريمٌ وهَّاب. و لتعميم النفع و الفائدة، نحيطكم علمًا أنَّ التصوف في نظرنا، والله و رسوله أعلم، ينقسم إلى قسمين: حقيقي و مجازي. فالتصوف الحقيقي هو ذلك الصفاء الحقيقي الإلهي المحض

---

[١] "جواهر القرآن"، ج١، ص:٢٨-"المكتبة الشاملة"، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى:-٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.

المتدفق من حضرة القدس على القلوب الطاهرة و النفوس الطَّيِّبة النقيَّة الراضية المرضية. و بعبارة أخرى، هو سرُّ التوحيد الخالص المستفاض من الأحدية بواسطة الحضرة الواحدية، حضرة الأسماء و الصفات و الأفعال. أو تقول بواسطة تَجَلٍّ إلهي خاص، بل هو سِرٌّ معرفة الله التي لأجلها خلق الله الإنس و الجن و خلق ما سواهما من الأكوان من أجل الإنسان؛ أعني الإنسان الكامل الذي قال في حقه الله جل جلاله في الحديث القدسي الصحيح حيث يقول: ۞ وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه[١] ۞ . فهذا العبد هو الصوفي حقًّا قد أماته الله عن نفسه و هواه و أحياه به له. كما قال الله تعالى: ۞﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا[٢]﴾۞. فالمتأمل في هذه الآية الكريمة يقتبس معناها الذي يشير إلى الصفاء الخالص من كل شوبٍ أو النور الشارق المحض الذي لم يخالطه غبش ولم يتكدَّر بشيءٍ من الأغيار فهو باقٍ على أصلِهِ. و صاحب هذا المقام هو عبد الله حقًّا وصدقًا في ظاهره و باطنه. مثله كمثـل بيتٍ مُكـوَّنْ من الزجاج الشَّفَّاف الخالص فإنَّه يتقبل النور على أصله فلا يشوبه بشيءٍ و لا يُكدِّرُهُ بلونٍ فهو يتمتع بالنور في جميع أجزائه ظاهرًا و باطنًا و لا يرى في ذلك لنفسه مزية. بل إنه يرى جميع ما لديه من النعيم و الفضل هو من عند الله الخالق سبحانه و تعالى و هو باقي له على الدوام. فلم يدَّع شيئًا من ذلك لنفسه و لا مازجه بوصف من أوصاف نفسه و ما ذلك إلاَّ لصفاءِ و خُلوص مادته، أي عبوديته من المساوىء و الأغيار. فلو كان للزجاج وصف أو لون غير أصله لَتقبَّلَ النور ذلك الوصف أو اللون ثم ينعته بأحدِ الألوان أو الأوصاف فيقول العبد على سبيل المثال: إنَّ النور أخضر أو أصفر وقس على ذلك من الألوان و النعوت. و من هنا يظهر الفرق الواضح و الفصل الكبير بين القائم من العباد بربِّه والقائم بنفسه، أو بين الذي ينظر بنور ربِّه و الذي ينظر بنور نفسه و أنانيته. و لمزيد الوضوح و البيان نضرب مثلاً و ذلك كمثل رجلين جنَّ عليهما الليل و لدى كل واحد سراجه و أخذ كل منهما يستنير بنور سراجه. فأحدهما سلك الطريق وجدَّ في السير حتى أشرقت عليه الشمس بنورها ليس دونها سحاب ولا ضباب و لا سراب فصار يرى بنور الشمس لا بنور المصباح

---

[١] صحيح البخاري، ج٥، ص:٢٣٨٥، رقم الحديث: ٦١٣٧-راجع "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". و الحديث المذكور أعلاه هو جزء من الحديث الذي ذكره البخاري في صحيحه. نص الحديث كاملا: عن أبي هريرة قال؛ قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته -كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته."

[٢] جزء من الآية ١٢٢-"الأنعام".

و ذلك طبعًا مع بقاء المصباح متوقّدًا، و الآخر قد تخاذل وتقاعَس عن السير فلم يبرح من مكانه و لم يخرج من ظلمات جهله وغفلته، فلم يزل غارقًا في أحلامه متغافلاً عما يُرادُ به مع أن الله تعالى يخاطب عباده المؤمنين و يناديهم في كل وقت و حين ليخرجهم من الظلمات إلى النور إذ يقول:- ﴿ يَاأَيهَا الذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الذي يُصَلي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظلُمَاتِ إِلَى النورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)[١] ﴾. و من خلال ما ذكرناه من توضيح و بيان حول حقيقة التصوف؛ و قد أوردنا في ذلك آيات بينات من الذكر الحكيم و أحاديث قدسية صحيحة و كذا كلام العلماء العاملين الذين هم مصابيح الهدى من سلف صالح هذه الأمة. و المراد من ذلك كله إزالة الغبار و الوهم المخيَّم على بعض العقول التي لم تتحرَّر من قبضة المنقول. و أعني بالمنقول هنا، كل المعلومات و الأفكار و الأراء التي لم تصدر من مصدر صحيح و سليم. فالمصدر الصحيح هو كتاب الله و سنة رسول الله -ﷺ- و هو الفهم السليم في الكتاب و السنة المطهرَّة، الخالص من الحظوظ و الأغراض و الدوافع النفسية التافهة؛ و إلاَّ فهو وَبالٌ على صاحبه.

أهمية طهارة القلوب:

أمَّا أهل الحق الصدّيقون من سلف هذه الأمة و خَلَفُهُم فقد تفطَّنوا في أوَّلِ أمرهم إلى ركن عظيم و أدركـوا أنَّ سعادتهم منوطة به فجعلوه أساسًا وبنوا عليه أمرهم؛ ألا و هو صلاح القلوب! فأخذوا في تطهيرها و إصلاحها و بذلوا قصارى جهدهم في صيانة قلوبهم و أفرغوا كل اهتماماتهم في تنقيتها ممَّا حرَّمه الله و نهى عنه ثم صانوها عن الإلتفات إلى غير مقصودهم و عن الخوض فيما لا يعنيهم و عن الإشتغـال بغير معبودهم سبحانه و تعالى معتمدين في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)[٢] ﴾. و كذا قوله -ﷺ- في الحديث الصحيح: ﴿ألا و إنَّ في الجسد مُضغَةٌ إذَا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله -ألا و هي القلب[٣] ﴾. لقد علموا

---

[١] الأحزاب.

[٢] الشعراء.

[٣] جزء من حديث صحيح -"صحيح البخاري"، ج١، ص٢٩، حديث رقم الحديث:٥٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول:" الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبَّهات لا يعلمها كثير من الناس! فمن اتقى المشبَّهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه؛ ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في

يقينًا من خلال هذه الآية و هذا الحديث أنَّ الأعمال الصالحة بكل أنواعها لا تنفع صاحبها ولا تنقذه من الهلاك و لا ترتقي به ارتقاء السعداء من المؤمنين الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إذا لم تكن صادرة من قلبٍ صالح وسليم. كما أنهم أدركوا أيضًا أنَّ التظاهر بالصلاح وبأزياء الصَّالحين مع فساد القلوب و سقمها، غرور بالله واستدراج و مكر خفي، أعاذنا الله و المسلمين من شر ذلك. وهذا الأخير هو الذي يسمى بالتصوف المظهري أو المجازي و أهله يُسمَّونَ المتصوفة؛ هم واقفون مع الأكوان لم يرحلوا بقلوبهم إلى حضرة خالقهم و رازقهم جلَّ جَلالُه. فهم ينتقلون بينها من كون إلى كون لا تتجاوز و لا تتعدى هِمَمُهُم وإرادتهم حَدَّ المخلوقات؛ فقلوبهم مشحونة بصور الكائنات. و من كان قلبه مملوءا بالمكونات يتعذر شروق الأنوار عليه كما أشار إلى ذلك ابن عطاءالله[1] –رضي الله عنه– بقوله:–"كيف يشرق بالأنوار قلبٌ صُوَرُ الأكوان مُنطبعَةٌ في مرآته". و معنى كلام الحكيم– رضي الله عنه– هو أنَّ ظواهر الأكوان ظلمات و الركون إليها غرور كما أبانه في حكمة أخرى بقوله: "ظاهر الأكوان ظلمة، و باطنها نور، ظاهرها غِرة، و باطنها عبرة." و لا يركن إلى ظاهرها إلاَّ أحمق لا عقل له، كما جاء في محكم التنزيل مشيرًا إلى التأمل و الاعتبار في معنى السماوات و الأرض و ما فيهن من المخلوقات، قوله تعالى:﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[2]﴾. و في آية أخرى:﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ[3]﴾؛ يعني يا أولي البصائر و النُّهى، أي العقول السليمة، و هكذا عاش الصالحون من عباد الله المؤمنين مع الله بآياته في سائر مخلوقاته في أرضه و سماواته و ذلك بعد ما وصلوا إلى معرفته بإذنه و مشيئته إذ دلَّهم أوَّلاً على طريق الوصول و كيفية سلوكه فقال عزَّ من قائل:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ

أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله–ألا وهي القلب."

[1] ابن عَطَاء الله الإِسْكَنْدَري: (المتوفي: ٧٠٩ هـ – ١٣٠٩ م).أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عَطَاء الله الإسكندري:من العلماء [الملقب بحكيم الصوفية].له تصانيف؛ منها "الحكم العطائية" في التصوف؛ و"تاج العروس" في الوصايا والعظات؛ و"لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن" توفي بالقاهرة–نقلاً عن "الأعلام للزركلي" بتصرف بسيط.

[2] جزء من الآية ١٠١ من سورة "يونس".

[3] جزء من الآية ٢من سورة "الحشر".

وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾[١].ثم أبان لهم آيات وجوده و كشف لهم عن أسرار ذاته العالية المنزهة عمَّا يصفون فقال جلَّ من قائلٍ:﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنهُ الْحَقُّ[٢]﴾. فلما عرفوا الحق في كل شيء قالوا:﴿ رَبنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا[٣]﴾. كما أخبر بذلك عز و جلَّ بقوله:﴿ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكرُونَ فِي خَلْقِ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ(١٩١)[٤]﴾-إن شاء الله التصوّف الحقيقي-وهو في مفهومنا؛ ذلك الصفاء الإلهي الذي وصل إليه الصوفية- رضي الله عنهم-بعد تطهير قلوبهم و تصفية نفوسهم وتزكية سرائرهم. أو تقول ما وصلوا إليه من المشاهدة في حضرة قربه و الأنس به حيث أحيا قلوبهم بنور معرفته فعرفوه حق معرفته و قالوا بلسان الحال و المقال:-

فالكل مـا دون الله إنْ حققـتـه	عدمٌ على التفصيل و الإجمال
و اعلم بأَنَّك و العوالـم كلـهـا	لـولاه في محـوٍ و اضمحـلال
من لا وجود لـــذاته مـن ذاته	فـوجــوده لــولاه عـين محال
فالعارفون فَنَوا و لَمَّــا يشهدوا	شيئًا سـوى المتكـــبر المتعـال
و رأوا سواه على الحقيقة هالكا	في الحـال و الماضي و الاستقبال[٥]

قال تعالى:﴿ كُل شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ[٦]﴾-و الإشارة في هذه الآية إلى حال العارف بالله فإنه هالك

[١] الأحزاب.

[٢] جزء من الآية ٥٣ من سورة "فصلت".

[٣] من الآية ١٩١ من سورة "آل عمران".

[٤] نفس الآية أعلاه.

[٥] من قصيدة لأبي مدين شعيب بن حسين الأندلسي-قدس الله سره. (تقدم ذكر نبذة خفيفة عن الشيخ أبي مدين-رضي الله عنه.)

[٦] جزء من الآية ٨٨-سورة "القصص".

و ميِّتٌ بنفسه على الدوام و في نفس الوقت هو حيٌّ بربه على الدَّوام-إلاَّ أن يشاء الله أمرًا؛ فما شاء الله كان! و من صفات العارف بالله؛ أن يكون دائم الشعور بمعية الله المطلقة المنزهة عمَّا لا يليق بجلاله تبارك و تعالىٰ-و الشعور إذا قوي يصير حضورًا وغِيبةٍ عمَّا سوى المذكور كما وصفه ابن عطاء الله-رضي الله عنه- إذ يقول: " و لا يكون مـع غير الله قـرارهُ". و هنا لا مانع أن نقول: "الصوفي هو العارف بالله، و التصوف هو المعرفة بالله". أو الصوفي؛ هو:"العَالِم بالله عزَّ و جَلَّ المُلهَم، و التصوف هو الإلهام".

من تعريفات السلف للتصوف و الصوفي:

و أما التعريفات التي وردت لتعريف الصوفي؛ فإنها تنقسم إلى قسمين:-
أ) اجتهادي قياسي مثل قول من قال أن الصوفي مشتق من الصوف، وكذا من قال مشتقٌّ من الصف الأوَّل في الصلاة. كذلك من قال من الصُّفَة و هي مكان في المسجد النبوي الشريف كان يجلس فيه فقراء المسلمين المتجرِّدين للعبادة و الجهاد على عهد رسول الله-ﷺ. و في اللغة صُفَّة المسجد هي مقعد بالقرب منه مُظَــلَّل و الصُّفة تطلق أيضًا على بيت الضيوف و هذه التعاريف كلهَا صحيحة في المعنى .أما الاشتقاق اللغوي فلاَ؛ لأنَّ هذا الإسم -"الصوفي"- ليس له إشتقاق لغوي.

ب) و أما القسم الثاني فهو تعريف ذوقي وجداني، صادر عن قلوب طاهرة و سرائر صافية و أحوال عطرة زكية. أو تقول هو تعبير حيٌّ صادق عمَّا وصل إليه الصَّالحون من عباد الله المؤمنين. و إن شئت قلت هو تعبيرٌ عن حياة القلوب في حضرة علاَّم الغيوب حيث الرَّوح و الرَّيحان و الأُنسُ و الاطمئنان و جنة النَّعيم، أي التنعم و التلذذ بقرب المحبوب المعبود. و أعني بجنة النعيم هنا جنة المعارف المعجلة للعارفين بالله تعالى و لكنهم لا يدخلونها إلَّا بعد الموت الأصغر كما جاء في الخبر الصحيح:"موتوا قبل أن تموتوا[١]" .

و ها هي أقوال العلماء بالله و الأئمة الرَّبانيين مِمَّن شهد لهم جمهور المسلمين بالفضل و التمكين في

---

[١] هذا القول ذكره العديد من أهل العلم و لكن قال فيه الحافظ إبن حجر أنه غير ثابت. و قال القاري هو من كلام الصوفية. انظر "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى: ١١٦٢ هـ)، الناشر: مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي - القاهرة، عام النشر: ١٣٥١هـ. النص مذكور في ج٢، ص٣٥٠-موسوعة "المكتبة الشاملة" الرقمية.

سائر شؤون الدِّين عن ماهية التصوف؛ فمنهم الإمام أبو القاسم الجنيد البغدادي[١]–رضي الله عنه– لمَّا سُئِلَ عن التصوف؛ فقال: " التصوف أن يميتك الحق عنك و يحييك به"، و قال أيضًا: " أن تكون مع الله بلا علاقة". و سئل أبو محمد الجريري[٢] –رحمه لله– عن التصوف فقال: " الدخول في كل خلقٍ سَني، و الخروج من كل خلقٍ دني[٣]"، و سئل محمد بن علي القصاب[٤] و هو أستاذ الجنيد–رحمهما الله– فقال: " أخلاق كريمة ظهرت في

[١] الجُنَيْد البَغْدادي (المتوفي: ٢٩٧ هـ – ٩١٠ م): الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، و كان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. وقال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة، محميّ الأساس من شُبه الغلاة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع. من كلامه: "طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة"؛ "من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به". له رسائل منها ماكتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، ومسائل أخرى. إنتهى بتصرفبسيط، نقلا عن: "الأعلام للزركلي".

[٢] الجريري: شيخ الصوفية، أبو محمد الجريري الزاهد. قيل: اسمه أحمد بن محمد بن حسين وقيل: عبد الله بن يحيى. وقيل: حسن بن محمد. لقي السري السقطي والكبار، ورافق الجنيد، وكان الجنيد يتأدب معه، وإذا تكلم في شيء من الحقائق، قال: هذا من بابة أبي محمد. فلما توفي الجنيد، أجلسوه مكانه، وأخذوا عنه آداب القوم. نقلا بتصرف بسيط عن "سير أعلام النبلاء"، ج١١، ص:٢٨٦، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث– القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨.

[٣] جاء في "الرسالة القشيرية"، ج٢، ص: ٤٤١ ما نصه: سمعت محمد بن أحمد بن يحي الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: سئل أبو محمد الجريري عن أبو محمد الجريري عن التصوف فقال: الدخول في كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى...... سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمداني يقول: سمعت أبا محمد المرعشي يقول سئل شيخي عن التصوف فقال: سمعت الجنيدي وقد سئل عنه فقال: هو أن يميتك الحق عنك و يحييك به.إنتهى بتصرف بسيط. (الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".)

[٤] جاء في "تاريخ بغداد"، ج٤، ص: ١٠٣–الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشملة" ، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر:– دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦– ما نصه: محمد بن علي أبو جعفر القصاب الصوفي، أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، قال: محمد بن علي القصاب البغدادي، وكان أستاذ الجنيد،...قال: حدثنا ابن قانع أن أبا جعفر القصاب مات في سنة خمس وسبعين ومائتين. إنتهى بتصرف.

زمان كريمٍ من رجلٍ كريم مع قوم كرام[١]". و سئل ذو النون المصري[٢]–رحمه الله– فقال:"هم قومٌ آثروا الله على كل شيءٍ فآثرهم الله على كل شيءٍ". و قال أبو الفتح السبتي رحمه الله:" تخالف النَّاس في الصوفي و اختلفوا جهلاً و ظنوا أنّه مشتق من الصوف، و لست أمنح هذا الإسم إلاَّ فتى صفا فصوفيَ حتى سمي الصوفي[٣]".

و الخلاصة أن هذه الأقوال كلها تشير إلى معنى واحد و تنصَّبُّ في مصَبٍ واحد ألاَ وهو صفاءُ القلوب و السرائر من كل شيءٍ لا يرضاه علاَّمُ الغيوب في جميع مجالات الحياة. و يكفيهم عِزًّا و كرامةً أنْ مدحهم الله جلَّ جلاله بقوله:﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ[٤]﴾. و السر في كونهم رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله هو الصفاء، أي صفاء القلوب و النفوس من شوائبِ المساوئ و الأغيار. و معنى الغير و السوى هنا؛ هو كل شيء يصدر من المخلوق و قد تحوَّل و تبَّدل و انتقل من الصلاح إلى الفساد حتى صار مخالفا لطبعه. و مثل ذلك كمثل الماء الطّهور إذا اختلط بغيره من المواد فإنه يتبدل و يتغير فيخرج عن طهوريته حتى يصير غير طهور. فكذلك ماء الحياة في القلوب الطاهرة العطرة فهو طهور باقٍ على أصله. و أما القلوب القذرة فماء الحياة فيها قد يتعفَّن و يتنجَّس حتَّى يخرج عن أصله الطهور فيصيرُ غيرًا من الأغيار؛ مع أن الأصل في

---

[١] "الرسالة القشيرية"، ج٢، ص:٤٤١.(نفس المرجع أعلاه؛ رقم "٢".)

[٢] ذو النون المصرى : ثوبان بن ابراهيم الاخميمى أبو الفيض ذو النون المصرى الصوفى؛ توفى سنة ٢٤٥ خمس واربعين ومائتين–نقلا بتصرف بسيط عن "هدية العارفين"، ج١، ص:٢٤٩. الكتاب: "هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين"، المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٢؛ الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".

[٣] " خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، ج١، ص:٥٠، المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، عدد الأجزاء: ٤ .(الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".)

[٤] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

ماء الحياة واحد كما جاء في محكم التنزيل:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ[١]﴾. ثم فرَّق سبحانه و تعالى بين المصدرين، أي مصدري الحياة، و هما عبارة عن قلبين إثنين أحدهما طاهر طيّب فماء حياته باقٍ على أصله كما قال تعالى فيه:﴿وَالْبَلَدُ الطيبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِهِ[٢]﴾. و هذا مثلُ المؤمن الصالح القائم بربه لا بنفسه الذي قال فيه جلَّ جلاله في الحديث القدسي الصحيح:«كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به[٣]». و أما القلب الآخر فهو الوعاء القذر الخبيث فماء حياته قد تغيَّر عن أصله و خرج من وصفه و نعته وصار غير أهل، أي فقد أهليته فَسُمِّيَ غيرًا. فمثله مثل الرجل الطّالح القائم بنفسه وهواه؛ و في مثل هذا قال تعالى:﴿وَالذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إلا نَكِدًا[٤]﴾. و ضُربَ هذان المثلان للقلوب. فالبلد الـطَّيِّبُ هو مثلٌ للقلوبِ السليمة و الذي خَبُثَ هو مثلٌ للقلوب السقيمة الوسخة. أو تقول التي فيها صلاحٌ و طلاح أو فيها طاعةٌ و معصية، أو فيها إيمانٌ و نِفاقٌ. أعني النفاق العملي، لا النفاق العقائدي. فإنَّ النفاق العقائدي كُفرٌ و أصحابه هم الكافرون كما جاء في الحديث الشريف في تقسيم القلوب إلى أربعة أصناف؛ عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه»؛ و هذا الوصف الأخير هو الذي تنطوي عليه معظم قلوب المخلوقات. نسأل الله العلي القدير السلامة و العافية لنا و لإخواننا و لصالح المؤمنين.

---

[١] جزء من الآية ٣٠ من سورة "الأنبياء".

[٢] جزء من الآية ٥٨ من سورة "الأعراف".

[٣] سبق تخريجه.

[٤] جزء من الآية ٥٨ من سورة "الأعراف".

هل التصوف محدث؟

و أما تساؤلات المحبين عن التصوف-حفظهم الله و رعاهم-إذ يسألون عن التصوف أهو قديمٌ أو مُحْدَثْ؛ فالجوابُ عن هذا التساؤل يكون إن شاء الله من ناحيتين:-

الناحية الأولى:-

- و هي مُسمَّى التصوف أو معناه من حيث أنَّه أخلاقٌ كريمة و آدابٌ ربّانية سامية و أحوالٌ إلهية صافية بهية، و أعمال صالحة ليس فيها سوى وجه الله الكريم و سلوك سليم أساسه شعور القلوب بمعية علاَّم الغيوب، المعيَّة المطلقة، المنزهة عمَّا لا يليق بجلاله و عظمته وكمال صفاته سبحانه وتعالى. وقس على ذلك مما تتمتع به و تتنعم به قلوب و أرواح عباد الرحمن من أسرار التوحيد و أنوار الإيمان و فيوضات الإحسان و روح الصدق و الإخلاص اللذان هما قوَام العمل الصَّالح و عماده كما قال أحد العلماء بالله-رضي الله عنه-: "الأعمال صورٌ قائمة، و أرواحها وجود سرُّ الإخلاص فيها[١]". و كما جاء في الحديث القدسي الذي يقول فيه مولانا:" الإخلاص سِرٌّ من أسراري أضعه في قلبِ من أحببته من عبادي[٢]".

---

[١] انظر كتاب: "الحكم العطائية-شرح و تحليل"، ص:١٤٩. بطاقة الكتاب:المؤلف؛ الدكتور محمد سعيد البوطي، الجزء الأول، التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية-دمشق.

[٢] جاء في "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، ج٤، ص١٢٤ ما يشابه هذا الحديث-(انظر؛ "موسوعة الحديث الرقيمة-إسلام ويب") ما نصه:" قال الله الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحب لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ". و جاء في "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)-المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ، ج٢، ص١٩٣ ما نصه: " الإخلاص سر من أسرار الله، يُودعه قلب من أحب من عباده، وهو إخلاص العبودية لله وحده، ولا يتحقق ذلك للعبد إلا بعد تحرره من رق الهوى وخروجه من سجن وجود نفسه، وهذا شيء عزيز......وقال الشيخ أبو طالب المكي-رضى الله عنه: الإخلاص عند المخلصين: - إخراج الخلق من معاملة الخالق، وأول الخلق: النفس، والإخلاص عند المحبين: ألا يعمل عملاً لأجل النفس، وألَّا يدخل عليه مطالعة العوض، أو تشوف إلى حظ طبع، والإخلاص عند الموحدين: خروج الخلق من النظر إليهم، أي: - لا يرون مع الله غيره في الأفعال، وترك السكون إليهم، والاستراحة إليهم في الأحوال". إنتهى بتصرف بسيط.

فالتصوف من هذا الباب و من هذه الناحية؛ معناه قديم، يعود ظهوره إلى وقت النشأة الإنسانية-أي منذ خلق الله آدم عليه السلام-و هو الصفاء الإلهي الذي كان عليه المصطفون من أنبياء و مرسلين-عليهم أفضل الصلاة و أزكى التسليم-و كذا الأولياء و الصَّالحين-رضي الله عنهم أجمعين- و ذلكِ باقي إلى يوم الدِّين و قد أتَّم الله تعالى هذا الصفاء لأمة الإسلام فكانت خير أمَّة أُخْرِجَت للنَّاس. و ما ذلك إلاَّ تشريفًا و تكريمًا لسيِّد الأنام- سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم-إلى يوم الدِّين فقال تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٤)﴾[1]. وكان صلى الله عليه وسلم خُلُقُه القرآن. و أمَّا الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- الذين هم المصطفون الأخيار بعد الأنبياء و المرسلين، لاشكَّ أنهم كانوا يتمتعون بأوفر حظٍ من أخلاقِ النبوَّة و ما فيها من أسرار القرآن و معانيه و علومه و معارفه العالية المستوى. و قِس على ذلك من أصناف الحياة الفاخرة الكريمة و ما هي إلا حياة الإيمان الحقيقي في رحاب القرآن الكريم ضمن قوله تعالى:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ[2]﴾.

و هكذا يبقى هذا السر و هذا الصفاء متوارثًا، أي يرثه خلفٌ عن سَلَفٍ إلى يوم الدِّين مصداقًا لقوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)[3]﴾. و لا يزال حكم هذه الآية:" وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم" ساري المفعول إلى أن يرثَ الله الأرض و من عليها. و الحكمة هنا هي الفهم في كتاب الله عزَّ وجَلَّ و هي من العلم الموهوب، و هي لا تكتسب بالدارسة و الحفظ و إنمَّا تُدرك بمحض الإلهام من الله جَلَّ جلاله؛ و إليها الإشارة في الآية الكريمة التالية:-

[1] القلم.

[2] جزء من الآية ٤ من سورة "الحديد".

[3] الجمعة.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذكرُ إِلا أُولُو الأَلْبَاب (٢٦٩) [١]﴾.

الناحية الثانية:–

- هل كان إسم الصوفي موجودًا في صدر السَّلف الصّالح و في زمان الصحابة–رضي الله عنهم أجمعين؟

نعم كان هذا الإسم يُعرَفُ في ذلك الوقت و كان يُنسبُ إليه أهل الفضل و الصَّلاح و ذلك لِمَا رُوي عن الحسن البصري[٢]–رضي الله عنه–أنه قال:" رأيتُ صوفيًا في الطواف فأعطيته شيئًا فلم يأخذه–و قال معي أربعة دوانيق يكفيني ما معي[٣]". و كان الحسن البصري من أوائل التابعين و قد أدرك جماعة كبيرة من أصحاب رسول الله–صلى الله عليه و سلم و رضي

---

[١] البقرة.

[٢] الحسن البَصْري (٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م). الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب–رضي الله عنه، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لي أعوانا يعينونني عليه. فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في"فضائل مكة" بالأزهرية. توفي بالبصرة. نقلاً عن "الأعلام للزركلي".

[٣] ذكر إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)–رحمه الله– في كتابه "التصوف:– المنشأ و المصدر" ج١، ص:٢٩–و الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة"–ما نصه:– " ونقل عن الحسن البصري–رحمة الله عليه– أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معي أربع دوانيق يكفيني ما معي! ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء. وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية–"عوارف المعارف" للسهروردي عبد القاهر بن عبد الله، ص ٥٩ إلى ٦٣ ، طبعة:دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ. بطاقة الكتاب: "التصوف: المنشأ و المصدر"؛ الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.

عن صحابته. و روي عن سفيان الثوري[١]-رضي الله عنه-أنه قال:" لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء". و قد ذكر في كتاب "أخبار مكة" عن محمد بن إسحاق بن يسار و عن غيره :"أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد. و كان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت و ينصرف[٢]". و الحسن البصري و سفيان الثوري هما حجّة على أنَّ هذا الإسم كان موجودًا في وقتهم. انتهى-و الله و رسوله أعلم.

اتخاذ الشيخ لسلوك طريق الله ورسوله:

و أما التساؤل حول اتخاذ الشيخ في طريق التصوف إلى أخره؛ هذا السؤال في الحقيقة لا يصدر إلاَّ من قِبَلِ غبي غَافِل لا ذكاء ولا فِطنة له، أو ليس له إطلاع على سنن الحياة و مكانة المربي و المعلم في المجتمع وإعداد الإنسان و تأهيله للمراتب السامية و المستويات الرفيعة العالية. و قد جرت سنة الله في خلقه أن لا يتوصَّلَ أحدٌ إلى هذه المنازل إلاّ بالصحبة و التربية؛ و اتخاذ المعلم المرشد في هذا الشأن ضروري لأبُدَّ مِنهُ.

دور شيخ التربية و مهامه:

و أمَّا السؤال عن دور الشيخ و مهامِه في الطريق فهو سؤالٌ في محله-ونجيب عن هذا الأخير بالتالي.نقول، وبالله التوفيق و هو الهادي إلى سواءِ الطريق، الشيخ هو المعلم، المرشد و المربي، المُؤَهَّل لمقام التربية الحقيقية، لا المجازية المظهرية. و ذلك لأنَّ تربية المظاهر تَبلى و تَتغير في أسرع وقت و كما أنَّه لا يصلح ظاهر الإنسان إلاّ بصلاح قلبه؛ فإنه لا تصلح تربية ظاهره إلاّ بتربية باطنه. و الشيخ المربي المؤهل من قِبَل الله تعالى هو الذي أمَدَّهُ الله بسرِّ التربية بعد أنْ طَهَّرَهُ من نزغات الشيطان و النفس

[١] سُفْيان الثَّوري-٩٧ - ١٦١ هـ = ٧١٦ - ٧٧٨ م: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، و راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى. وخرج من الكوفة-سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. له من الكتب "الجام الكبير"؛ و "الجامع الصغير"؛ كلاهما في الحديث؛ وكتاب في "الفرائض" وكان آية في الحفظ. من كلامه-رضي الله عنه: ما حفظت شيئا فنسيته. و لإبن الجوزي كتاب في مناقبه؛" (١) "دول الإسلام"-١: ٨٤؛ "وابن النديم"-١: ٢٢٥؛ و"ابن خلكان"-١: ٢١٠؛ و"الجواهر المضية"-١: ٢٥٠؛ و"طبقات ابن سعد"-٦: ٢٥٧؛ و"المعارف"-٢١٧؛ و"حلية الأولياء"-٦: ٣٥٦ ثم ٧: ٣؛ و"تهذيب التهذيب"-٤: ١١١ - ١١٥؛ و"ذيل المذيل"-١٠٥؛ و"تاريخ بغداد"-٩: ١٥١؛ و"صيد الخاطر" ١٧٥.إنتهى-نقلاً عن "الأعلام للزركلي".

[٢] انظر: التصوف: "المنشأ و المصادر"، ج١، ص:٤١. المؤلف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوف سنة ١٤٠٧هـ)، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

و الهوى و من الحظوظ و الأغراض و الأطماع التافهة. و من خلال هذا يكون الشيخ المربي مَظْهَراً من مظاهر الخير و الصَّلاح و النفع الخاص و العام. و قد يُستَحَبُ السَّفَرُ إليه من أجل صحبته و الأخذ عنه كما يجب احترامه و تبجيله و التأدُّبُ معه. و هذا كله مقتبسٌ من قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر -عليهما و على نبينا الصلاة و السلام- حيث سافر إليه ليأخذ عنه. و في الأخذ عنه قال له بكل أدب و احترام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا[1]﴾. و الإتباع هنا معناه الصحبة. وبعدما قَبِلَهُ و رضِيَهُ لصحبته، علَّمهُ الآداب المطلوبة في الصحبة؛ فقال له: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا[2]﴾ و معنى لا تسألني: لا تعترض عَليَّ في شيءٍ إلى أخر القصة. و في نهَاية المطاف، لم يأخذ عنه شيئًا و ذلك لأمور شتَّى أذكر البعض منها على سبيل المثال:-

- **الأمر الأول:** أنَّ في القصة عتاب خفيف لسيدنا موسى-عليه السلام- حيث سُئِل هل يوجد أحدٌ هو أعلم منك؛ فقال لا. و لم يَرُدَّ العلم إلى الله عز و جل فأوحى الله إليه أنَّ هناك عَبْدًا من عبادنا علمناه من لدُّنا علمًا. و في نفس الأمر زجرٌ و توبيخٌ أجراهما الله تعالى على سيدنا موسى، وهما مُوجهانِ إلى كافة عباد الله المؤمنين حتى لا يدَّعوا شيئًا هو لسيِّدهم.

- **الأمر الثاني:** أنَّ الهدف من القصة هو إظهار فضل و شرف سِرِّ الولاية و يُسمى بالعلم اللَّدُّني و الموهوب و علم القلوب و علم الباطن. و هذه الأسامي كلها وردت في الكتاب و السنة الصحيحة.

- **الأمر الثالث:** فيه مشروعية السفر إلى أهل هذا العلم لأجل الأخذ عنهم. و فيه أيضًا تعليم كيفية الصحبة و الآداب المطلوبة في هذا الشأن.

- **الأمرالرابع:** هو أن الحكمة في عدم أخذ سيدنا موسى من الخضر-عليهما السلام- لفضل مقام النبوة على مقام الولاية؛ ذلك لأن النبوة تتضمن الولاية، أي تشتمل عليها؛ فهي داخلة فيها. فالولي يأخذ عن النبي و النبي لا يأخذ عن الولي. و أما إنكار سيدِّنا موسى على سيدنا الخضر-عليهما السلام- فذلك لأنه مُشَرِّع و لو أَقَرَّ بذلك لانتهز الفرصة شرار بني إسرائيل فادَّعَوْا علم

[1] من الآية ٦٦ من سورة "الكهف".

[2] جزء من الآية ٧٠ من سورة "الكهف".

الغيب و سعوا في الأرض فسادًا و قتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق. فكان إنكار سيِّدنا موسى -عليه السلام-سدًّا و قطعًا لذريعة الفساد. و في نهاية القصَّة أخبره عن الحقيقة و هي أن جميع الذي جرى بينهما كان بأمرٍ من الله لحكمةٍ أرادها؛ عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.

إنكار المعرضين في زماننا عن الصوفية:

أما إنكار بعض المنكرين في زماننا هذا؛ فإنه قد يقع منهم ذلك الإنكار إمَّا لجهلهم بالله وبأسرار و حقائق الإيمان و التوحيد؛ فينطبق عليهم القول المشهور:"من جهل شيئًا أنكره بل عاداه"؛ و إمَّا حسدًّا من عند أنفسهم كما قال الله تعالى:﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ[1]﴾؛ و إمَّا لظهور بعض الفرق و الطوائف المخالفة للشريعة المطهرة و هم ينسبُونَ أنفسَهُم إلى التصوف. و التصوف في الحقيقة بريءٌ منهم كل البراءة. و هذا الأخير لا يبرِّرُ لهم عملهم ذلك لأن الإنكار المبني على الوهم و الظن قد يكون جحودًا للحق و ردًّا له. فالواجب المطلوب هنا هو التحقق و التبيّن حتَّى يتَّضح الحق من الباطل عملاً بقوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)[2]﴾. اللَّهم أرنا الحق حقًّا و أرزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا إجتنابه-إنك بالإجابة جدير، يا نعم المولى، و يا نعم النصير.

خاتمة:

و لنكتفي بهذا القدر الوجيز وقد تطرقنا فيه إلى عدة مواضيع هامة و أعتقد أنها من قضايا الساعة لرفع بعض الإلتباس عن عقول و أفكار بعض الناس حتى ينظروا إلى التصوف من وجهه الحقيقي و يدخلوا إليه من بابه المعلوم و لا يتسلقون الجدران فيدخلون البيوت من ظهورها. كما جاء في محكم التنزيل:﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[3]﴾.

---

[1] جزء من الآية ١٠٩ من سورة البقرة.

[2] الحجرات.

[3] جزء من الآية ١٨٩ من سورة "البقرة".

و السلام عليكم و رحمة الله وبركاته و أعانكم الله على ذكره و شكره و حسن عبادته و فتح عليكم بكل خير إنه على كل شيءٍ قدير.

حررت الرسالة في شهر شوال ١٤٢٣هجرية الموافق لِ ديسمبر ٢٠٠٢ميلادية.

أخوكم في الله، الحاج أحمد حبيب.

البَابُ الرَّابِعُ:

التصوف الإسلامي:
مقام الإحسان

بسم الله الرحمن الرحيم

و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب، و صلى الله على سيدنا محمد الصادق الأمين، الهادي إلى صراط الله المستقيم، و على آله و صحبه و من والاه إلى يوم الدين.

من عبد ربّه أحمد حبيب، وفقه الله و ثبَّت على الخير خطاه، إلى كافة إخواننا لله و في الله، جماعة الإخوان الصوفية الذاكرين الشاكرين في جميع أنحاء المعمورة، صانكم الله و وقاكم من شرّ جميع الفتن ما ظهر منها و ما بطن، إنه ولي المؤمنين و هو يتولى الصالحين، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

و بعد-إخواني الأعزاء، اعلموا علمكم الله و فقهكم في الدين، أن طريقة الإخوان الصوفية، التي نحن و إياكم عليها، هي في جميع أعمالها الظاهرة و الباطنة مقيّدةٌ بكتاب الله عز و جل و سنَّة رسول الله-ﷺ؛ و على هذا، فإن كل من خرج عن الكتاب و السنّة فهو عاصٍ لله تبارك و تعالى، و ليس من التصوف في شيء، و إنّه يجب عليه أن يتوبَ إلى الله فورًا، و تاب الله على من تاب. فالطريقة إذن هي في حصن أمين محفوظةٌ بإذن الله من البدع و الابتداع و أعني بالبدع و الابتداع كلَّ عمل أو سلوك أو فكر أو رأي يخالف الشّرع الكريم، و لست أعني إطلاقا ما أحدث من الخير غير المخالف للكتاب و السّنة المندرج ضمن قوله-ﷺ:-"من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم الدِّين[١]".

و نعوذ بالله من شرّ قوم بالغوا في ذكر البدعة و وصفها حتى عمّموها و أطلقوها على صالح الأعمال و فضائل الأعمال التي لا تناسب أغراضهم النفسانية و أساليبهم الخلافية المشوبة بالعصبية. و لَنَعُدْ إلى الحديث عن التصوّف و طريقة الأصفياء؛ فنقول: و أما السلوك الصوفي فهو عبارة عن التوجه الصحيح إلى الله و الإقبال عليه بأزكى الأعمال و أحبّها إليه مع مجاهدة النّفس في حالات عديدة مثل العُجب و الرِّياء و التكاسُل عنِ العمل و التماطل و التسويف و قِسْ على ذلك مما تميل إليه النَّفس و تسكن؛ فإن هذه الأعمال الجهادية تكون في البداية للتطهير و التصفية

---

[١] "سنن ابن ماجة"، ج١، ص٧٤، رقم الحديث:٧٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن المنذر بن جرير عن أبيه قال، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم:" من سن سنة حسنة فَعُمِلَ بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن سنة سيئة فَعُمِلَ بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، لا ينقص من أوزارهم شيئا".

ثم تصيرُ أعمالاً للتقرُّب من الله جلَّ جلاله و استلهامِ الأحوال الزكيَّة و التعرُّضِ للنَّفحات الإلهية. و لقد حثَّ الله عباده المؤمنين الصادقين على الاستعداد و التعرض لنفحاته على لسان نبيِّه المصطفى -ﷺ- في قوله؛ "إن لربكم في أيام دهركم نفحات -ألا فتعرضوا لها"[١]، و وعدهم على ذلـك بالعَوْنِ و المساعدة و أن يذلِّل لهم ما يعترضهم من مصاعبَ في تقرّبهم إليه، كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: "...إن تقرب عبدي مني شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني ماشيا أتيته هرولة[٢]". و إنّ من الأسس التي يَنْبَني عليها هذا السلوك المبارك، أنَّه يرتكز في مجموعه على أمرين اثنين- لا ثالث لهما، و هما الأمر و النهي؛ لما جاء في الحديث القدسي الصحيح-۞ وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّه[٣]۞.

و معنى الحديث، و الله و رسوله أعلم: إنَّه لا يصح للسالك التقرب إلى الله إلا بإقامة ما افترضه عزّ و جلّ عليه، و لا ينـالُ محبَّة الله تعالى إلا بذلك! و ليكن في علمكم أيُّها الأحبَّة الأفاضل أن جميع ما افترض الله على عباده في مجالات الحياة كلِّها يرجع إلى مصدرين أساسيين هما الأمر و النهي، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[٤] ﴾ و الأمر و النهي في مفهومنا هما مثل الرِجْلَين للإنسان، أو قل هما منْهَ بمكانة الرِّجْلَين، فإنّه لا يستطيع القيامَ و لا السّعيَ برِجْلٍ واحدة، فلا بدَّ له من رجلينِ صحيحتين لإنجاز المهام المنوطة به، التي بها يصل إلى سعادة الدنيا و الآخرة، و بهما يمكنه سلوك سبيلِ التقرّبِ و الاستقامةِ المسمى في المصطلح الصوفي بالسُّلوك؛ و ذلك مع ما يقتضيه هذا السّلوك من لوازمَ مثل الخلوة و الملازمة لذكر الله و الإعراض عما يشغل القلب عن الله عزَّ و جل و قس على ذلك من الشُّروط الضرورية في هذا الشأن العظيم. و إنَّنا ضربنا المثل هنا بالرِّجْلَين لأنَّ الله تعالى ذكر المشي في التقرب إليه:"و َإِنْ أَتَانِي مَاشِيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"؛ و معنى المشي هنا إنّما يُرَادُ به جميعُ أعمالِ التقرّبِ إلى الله، سواء الجسمية منها أو القلبية.

---

[١] الحديث مذكور في "شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك"، ج١، رقم الحديث: ٢٣٨، ص:٣٩٢؛ "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٢] حديث قدسي، "مسند الإمام أحمد"، ج٣، ص:١٢٢، رقم الحديث: ١١٨٢٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٣] جزء من حديث موجود في "صحيح البخاري"، ج٥، ص٢٣٨٥، رقم الحديث:٦١٣٧-"موسوعة الحديث الشريف".

[٤] الحشر، جزء من الآية ٧.

و اعلموا إخواني الأفاضل أن ملخَّص ما ذكرناه لكم في هذه الرسالة القصيرة هو أن مصدر الطريقة الصوفية؛ التي نحن و إياكم عليها و السلوك الجيد السليم الذي نعمل بموجبه، هو الصدق مع الله و الصفاء، أي الإخلاص الخالص لوجه الله؛ لأنهما إذا صحّا مع الله، أي سَلِمَا من المفسدات، فإنّهما يتحقّقان في جميع المعاملات مع جميع المخلوقات بإعطاء كل ذي حقٍّ حقه و بإنزالِ كل واحد منزلته و موضعه اللائق به، أي الذي يستحقه بموجب الشّرع الكريم، عملاً بقوله ﷺ:- "إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله و البغض في الله[١]"، و قوله-عليه الصلاة و السلام:- ﴿ لا تُرْضِيَنَّ أحدا بسخط الله ، ولا تَحْمَدَنَّ أحداً على فضل الله ، ولا تَذُمَّنَّ أحدا على ما لم يؤتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهية كاره ، وإن الله بقسطه وعدله جعل الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ في الرضا واليقين ، وجعل الْهَمَّ وَالْحَزَنَ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ[٢]﴾.

كما نحيط جميع إخواننا علماً أن الذي نحن عليه من نعمة و خير و بركة و صفاء هو محض الفضل من الله علينا، فيجب علينا جميعا دوام الشّكر لله المنعم الكريم، و الشّكرُ كما عرّفه أهل الذكر؛ هو استعمالُ نِعَم الله فيما يحبّه و يرضاه، و ألاَّ يُرَادَ بذلك إلا وجه الله الكريم لكي يكون من المؤمنين الكُمَّل الذين مدحهم الله في محكم التنزيل بقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ(٢٥)[٣]﴾ و في قوله عزّ و جلّ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ

[١] حديث حسن.الحديث؛ ذكره البوصيري الكناني الشافعي، (المتوفى: ٨٤٠ هـ) في كتابه؛ "إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة"، ج١، ص٩٥، رقم الحديث: ٥٤- موسوعة "المكتبة الشاملة".روى الحديث أحمد بن حنبل؛ ولفظه: كنّا جلوسًا عِندالنبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: أيّ عرى الإِسلامِ أوثق؟ قالوا: الصّلاة. قال: حسنة، وما هِي بِها. قالوا: الزّكاة. قال: حسنة، وما هِي بِها. قالوا:- صِيام رمضان. قال:- حسن، وما هو بِهِ. قالوا: الجِهاد. قال: حسن، وما هو بِهِ، قال: إِنّ أوثق عرى الإِيمانِ الحبّ فِي اللهِ والبغض في الله".

[٢] حديث حسن لغيره. انظر "معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي".المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ) ، ج١، ص:١٨١. الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.

[٣] الأنعام.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)[١]﴾؛ فالآية الأولى تتضمن العبادات؛ و الثانية، المعاملات.

و هكذا ينبغي للصوفي أن يكون متحققًا بالله لا يريد إلاّ وجهه الكريم و لا يبتغي إلا فضله و رضوانه في جميع توجّهاته؛﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ[٢]﴾-كذلك قوله-ﷺ:"أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر؛ كلمة لبيد: ألا كل شيئ ما خلا اللَّه باطِلٌ[٣]"؛ أي كلّ شيءٍ أو عمل يقصد أو يراد به سوى وجه الله تعالى فهو باطلٌ و عن الوجود عاطل، عاجز صاحبُه عن نفعِ نفسه فكيف ينفع غيره! كما أن هذا الحديث يشير أيضا إلى أسمى غاية في التوحيد، حيث أنّه يحتوي على التوحيد الكامل؛ العقائدي و العملي:-

أ) فالعقائدي هو أن يعتقد المؤمن أن الله تعالى هو الخالق و أن كلَّ ما سواهُ مخلوقٌ و أنّ الله تعالى هو القادرُ و أنّ كلَّ ما سواهُ عاجزٌ لا قدرةَ له من ذاته، فهو لا يضّر و لا ينفع و لا يَقْوَى على فعل شيء إلا بقدرة الله عزّ و جل و مشيئتِه ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ[٤]﴾، و كذا قوله-ﷺ:"ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن[٥]"؛

ب) و أمّا التوحيد العملي فإنّني أعني به ملازمة التوحيد للعمل، و يتمثل ذلك في النيّة

---

[١] الإنسان.

[٢] جزء من الآية ١١٥ من سورة "البقرة".

[٣] جزء من حديث حسن. سنن ابن ماجه. موسوعة "جوامع الكلم"، رقم الحديث(ر/م)٣٧٥٥/٣٧٥٥:٣٧٥٧- موسوعة "جوامع الكلم". نص الحديث: "أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر؛ كلمة لبيد: ألا كل شيئ ما خلا اللَّه باطِل. و كاد أمية بن أبي الصَّلت أن يُسلِمَ".

[٤] جزء من آية ٢٩ من سورة "التكوير".

[٥] جزء من حديث مذكور في "سنن أبي داود"؛ و هو حديث حسن. "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"، ج٤، ص:٣١٩، رقم الحديث:٥٠٧٥.نص الحديث: حدثنا أحمد بن صالح حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو أن سالما الفراء حدثه أن عبد الحميد مولى بني هاشم حدثه أن أمه حدثته وكانت تخدم بعض بنات النبي-صلى الله عليه وسلم- أن ابنة النبي- صلى الله عليه وسلم- حدثتها أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يعلمها فيقول: " قولي حين تصبحين سبحان الله وبحمده، لا قوة إلا بالله! ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما-فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح".

و القصد و الإرادة أثناء العمل و السّعي، أو بعبارة أخرى: التوحيد العملي هو الإخلاص المصاحب للعمل على الدوام؛ إذ أنّه شرط ضروري لصحة العمل-كما جاء في الحديث النبوي الشريف: ﴿إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغي به وجهه[١]﴾ ، و في هذا المعنى قال ابن عطاء الله-رحمه الله:"الأعمال صور قائمة و أرواحها وجود سرّ الإخلاص فيها[٢]".

فالتصوف إذن هو صفاء السرائر من الأغيار و طهارة القلوب و تنقيتها من الأوضار[٣]، فإن السّالك لطريق القوم إذا داوم على العمل بهذين الأمرين، الطهارة و التصفية، و ثبت على ذلك بصدق و إخلاص، فإنه يصل بعون الله تعالى إلى جني الثّمار التي أعدّها الله لأهل القرب و التداني من عباده الأبرار الأتقياء، مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، فالصالحون يصلون إلى شيء من هذا النّعيم الذوقي الوجداني الشّهودي العياني في الحياة الدّنيا بقلوبهم و أرواحهم الطاهرة في حضرة القرب المعبّر عنها بمقام الإحسان، حيث يكون العبد المُقرَّب كأنّه يرى الحق لشدّة طهارة قلبه و قوة نور إيمانه و صفاء بصيرته، و الدليل على تذوق القلب و وجدانه و معاينته ما جاء في الأحاديث النّبوية الصحيحة، منها قوله- ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمانِ[٤]..."؛ إلى آخر الحديث، و قوله-ﷺ:"ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا[٥]﴾، و في حديث الفراسة؛"اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر

---

[١] جزء من حديث مذكور في "سنن النسائي"، ج٦،ص:٢٥، رقم الحديث:٣١٤٠-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن عكرمة بن عمار عن شداد أبي عمار عن أبي أمامة الباهلي؛ قال جاء رجل إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: "لا شيء له فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لا شيء له، ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه".

[٢] انظر "الحكم العطائية: شرحٌ و تحليل"، الجزء الأول، ص:١٤٩. المؤلف: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي-رحمة الله عليه و غفر خطاياه.الناشر:دار الفكر المعاصر.

[٣] معنى وَضِرَ في "المعجم الوسيط"؛َ (يَوْضَرُ) وَضَراً: وسِخ. و. الإناء: دسم. فهو وضِر، وهي وضِرَة، ووَضْرَى. وَضَّرَهُ- جعله وَضِراً. ويقال: كان نقيّ العِرْض فوضَّره بالدناءة.

[٤] جزء من حديث،"صحيح البخاري"، ج١،ص١٤، حديث رقم ١٦-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".نص الحديث:- عن أنس بن مالك-رضي الله عنه، عن النبي-صل الله عليه وسلم؛ قال:"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله؛ وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".

[٥] "صحيح مسلم"،ج١، ص:٦٢، حديث:٣٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن العباس

بنور الله[١]". و أمّا من القرآن الكريم فإن العاقل يكفيه دليلا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(٤٦) [٢]﴾؛ و قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ[٣]﴾، أي محبّة العجل؛ و قوله عز مَن قائل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ(٣٧) [٤]﴾

فهذه الآيات و الأحاديث كلّها تشير و تدّل على أنّ هناك قلوبًا حيّةً بنور الإيمان الصّحيح الخالص المشرق عليها من مشكاة نور النبوّة على الدوام، حيّة بسرِّ التوحيد المستفيض من حضرة الوحدانية على كل قلب طيّب محبوب ريّان[٥] بمحبّة الله، مملوكٍ في حضرة قربه، دائم التّنعم برضوانه و الأنس به، و هذه الحالات إنّما هي البعض مِن حالات قلوب الصّديقين الأصفياء في مقام المشاهدة لتجلياته سبحانه و تعالى و المعاينة لآياته من خلال النّظر و التأمّل في خلق السّموات و الأرض و اختلاف اللّيل و النّهار مع الاستهتار بذكر الله، ذلك لأن التفكّر في خلق السّموات و الأرض مع الغفلة أو في مجال الغفلة هو تفكّر أعمى لا ينفع القلوب، فمن أراد التفكر المفيد النافع فليسلك طريق ذكر الله و المواظبةِ عليه حتى يخرَجَ من الظلمات إلى النّور ممتثلا لأمر الله تعالى، حيث أمره بسلوك سبيل الذكر الكثير الذي ينتهي بصاحبه إلى الخروج من الظلمات إلى النور بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله–صلى الله عليه وسلم يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا".

[١] جزء من حديث نصه في "سنن الترمذي" و هو حديث حسن لغيره، ج٥، ص٢٧٩، رقم الحديث:٣١٢٧–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب". نص الحديث: عن أبي سعيد الخدري قال؛ قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ "إن في ذلك لآيات للمتوسمين". وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية ؛"إن في ذلك لآيات للمتوسمين"؛ أي للمتفرسين.

[٢] من سورة "الحج".

[٣] جزء من الآية ٩٣ من سورة "البقرة".

[٤] من سورة "ق".

[٥] مروي بري المحبة الإلهية.

وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(٤٣)﴾[1]. و بعد الخروج من ظلمات الغفلة عن الله و ظلمات الجهل بالله يتسنى له الارتقاء في التفكر السّليم، فيُكشَف له بمشيئة الله تعالى عن معنى الآيات التي أخبر عنها الله عزّ و جلّ في محكم التنزيل؛ منها قوله:﴿ إِن فِي خَلْقِ السَمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الليْلِ وَالنهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكرُونَ فِي خَلْقِ السَمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾[2]. ثم إن المتأمّل في حكمة ترتيب هذه الآيات يدرك أوّلا أن صراط الله المستقيم الموصل إلى معرفة رب العالمين له آيات أي أمارات أو علامات تشير بالحق للحق لا يفهمهما كلّ الناس، وإنّما يفهمها أولوا الألباب، ثم يعُون و يُدْركون نوعية العمل و كيفيته، و هذا كلّه يدلّ على التعلّم و الاستعداد التّام قبل الشّروع في العمل، فإذا توفرت الشّروط في المريد و سلك الطريق بجدّ؛ فإنه يصل بعون الله تعالى إلى معنى التحقيق، و الله وحده الهادي إلى سواء الطريق، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما.و السّلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

دمتم في رعاية الله و حفظه.

حررت في يوم الاثنين ٢٧ محرم ١٤٢٦هـ، الموافق لِ ٨ مارس ٢٠٠٥م.طبعت للمرة الأولى في يوم الخميس ١٣ صفر ١٤٢٦هـ؛ الموافق لـ ٢٤ مارس ٢٠٠٥م.

عبد ربه أحمد حبيب.

[1] الأحزاب.

[2] آل عمران.

البَابُ الخَامِسُ:

القوام والإعتدال

بسم الله الرحمن الرحيم

و لا عدوان إلا على الظالمين، و صلى الله على سيّدنا محمد، سيّد ولد آدم أجمعين رغم أنف الجاحدين و على آله و صحبه و سلم تسليما.

أما بعد، لقد وردت علينا أسئلة من بعض المؤمنين الحريصين على صحة عقيدتهم، المحافظين على سلامة إيمانهم، صانهم الله و وقاهم مِنِ الوقوع فيما يغضب الله و يسخطه-آمين. و نظراً لإلحاحهم في أسئلتهم و لشدّة حاجتهم لفهم ما أشْكل عليهم من أمور دينهم، فإننا نحاول إجابتهم على قدر الإمكان و حسبما يجود به الأوان، ملتمسين من الله العون، و عليه التكلان، إنّه جواد كريم-منّان، و ها هي أسئلتهم ملخَّصَةً فيما يلي:-

١- هل تعظيم الرسول-ﷺ- بلفظة "سيّدي" هو بدعة و ضلالة و شرك؟ و هل تعظيمه-ﷺ- بالمدح مثل قول الإمام البوصيري[١]-رحمه الله:-

يا رحيما بالمؤمنين إذا ما
ذهلت عن أبنائها الرضعاءُ

و قوله:-

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

هل ذلك شرك و ضلال؟ هذا ما نسمعه من على منابر الجمعة من بعض الغُلاةِ المتشدّدين في تبديعِ و تضليل و تشريك أفراد هذه الأمَّة المسلمة لمجرّد تعظيمهم للنبي-ﷺ-و محبتهم له و لأولياء الله الصّالحين.

[١] البُوصِيري - (٦٠٨ - ٦٩٦ هـ = ١٢١٢ - ١٢٩٦ م). محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله: شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني. نسبته إلى بوصير-من أعمال بني سويف، بمصر؛ أمّه منها. وأصله من المغرب؛ من قلعة حماد من قبائل يعرفون ببني حبنون.من تصانيفه: " ذخر الْمعَاد في مُعَارضَة بَانَتْ سعاد"؛ القصيدة-"الهمزية في المدائح النَّبَوِيَّة"-الْمُسَمَّاة بِأم الْقرى؛ "الْكوَاكِب الدرية فِي مدح خير الْبَرِيَّة" الْمَشْهُور بقصيدة "الْبردَة"؛ "الْكَلمَة الطّيبَة والديمة الصيبة"؛ نقلا بتصرف عن "الأعلام للزركلي"؛ و "هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين" لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ).

٢- ما هو حكم زيارة القبور و قراءة القرآن عند القبر؟

٣- ما حكم النذر بالذبائح عند أضرحة الصَّالحين؟ و هل لحم تلك الذبائح حلال يؤكل؟

٤- ما حكم التوسل بالنبي-ﷺ-و بالصَّالحين من عباد الله المؤمنين؟ - انتهى نص الأسئلة.

و قبل الإجابة نشكر السائلين الأفاضِلِ جزيل الشُّكر على مدى اهتمامِهم بأمور دينهِم و حرصِهم على سلامة عقيدتهم،كما أوَدُّ أن أنبّه إخواننا المؤمنين إلى أمورٍ لا بُدَّ من معرفتها و الاعتماد عليها في كثير من المسائلِ التي تعترض المؤمنَ في مجالات حياته:-

- **الأمر الأول**: إنّه يجب على المؤمن العاقل أن يعتمد في أمور دينه كلها بل في جميع شؤون دينه و دنياه على كتاب الله و سنة رسوله-ﷺ- لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[١]﴾- هذا في الواضح البيّن من الكتاب و السّنة، و أمّا إذا التبس على المؤمن أمر و لم يتبيّن له حكم الله فيه فليتوقف عن العمل به و ليسألْ أهلَ العِلْم لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[٢]﴾؛ أي أهلِ العلم، و لكنّ الله تبارك و تعالى إذ عبَّرَ عن العلم بالذِّكرِ فإنّه يشير إلى أهل خشيته الذين هم الذّاكرون الله كثيرا، الذين لا تلهيهم تجارةٌ و لا بيعٌ عن ذكر الله، و هم أيضا أهل مقام الإحسان، لما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث جبريل -عليه و على نبيّنا الصلاة و السلام-أنّه قال: "يا رسول الله ما الإحسان؟ قال أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك [٣]". و ليس المرادُ من ذلك علماء اللسان المتنافسين في طلب زهرة الحياة

---

[١] الحشر؛ جزء من آية ٨.

[٢] النحل؛ جزء من آية ٤٣.

[٣] جزء من حديث في "صحيح مسلم"، حديث رقم ١٠، ص٤٠-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن أبي هريرة قال قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: سلوني فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: لا تشرك بالله شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان. قال: صدقت! قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال :أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله. قال: صدقت! قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك. قال:صدقت! قال: يا رسول الله متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها: إذا رأيت المرأة تلد ربها؛ فذاك من أشراطها؛ وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض؛ فذاك من أشراطها !وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان-فذاك من أشراطها في

الدّنيا و متاعها، المتسابقين إلى المناصب و الرّتبِ و انتشار الصّيت، و إنّما المراد بأهل الذكر من هذه الآية هو ما عناه تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ[١]﴾. و لا يوجد هذا الوصف وجودًا كاملا إلاّ في العلماء بالله الربانيّين الذين لا تلهيهم زخارف الحياة الدّنيا، أي لا يلهيهم و لا يميلهم و لا يصرفهم عن الحقّ شيء من الأغيار و كل ما سوى الله غير، لكنّ النّاس نيام، غافلة قلوبهم عن ذكر الله جل جلاله قد طغت عليها المادة، و أعني بالمادة ظاهرَ الحياةِ الدّنيا-﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ[٢]﴾. و في معنى هذه الآية الكريمة قال حكيم الصوفية رحمه الله: "ظاهر الحياة الدّنيا غِرّةٌ، و باطنها عبرةٌ، ظاهرها ظلمةٌ، و باطنها نورٌ"، و معنى كلامه رحمه الله: إنه لا يقف مع ظاهرها إلا مغرور قد حاد عنِ الحقّ و تاه في ميادين الشّهوات فاستحوذ عليه الشّيطان و زيّن له سوءَ عملِه فَركَنَ إليه، ثم ساقه إلى ما لا تحمد عقباه من الخسران و الهوان في يوم تشيب فيه الولدان، و السبب في ذلك كلّه هو إتّباع الشّهوات في موطن الغفلات، موطن التجميل و التزيين المزيَّفِ المؤدّي حتما إلى إتّباع الهوى، كما قال تعالى:- ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)[٣]﴾.

- **الأمر الثاني:** فلتعلموا أيّها الأحبة، أصحاب هذه الأسئلة، صانكم الله، أن الصّدر الأول من علماء سلفِ صالحي هذه الأمّة، من الصّحابةِ و التابعين أهلِ القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله-ﷺ-بالخيرية في قوله: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم[٤]....." [رواه الشيخان و غيرهما بغير لفظ واحد]، فهؤلاء الرّجال و من كان منهم و سار على منهاجهم

خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله! ثم قرأ:" إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت-إن الله عليم خبير". قال: ثم قام الرجل فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم -ردوه علي فالتمس فلم يجدوه! فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا!

[١] جزء من آية ٢٨ من سورة "فاطر".

[٢] جزء من آية ١٨٥ من سورة "آل عمران".

[٣] من سورة "محمد".

[٤] جزء من حديث رواه الشيخان. انظر "صحيح مسلم"، ج٣، ص:١٣٣٥، رقم: ٣٤٥١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن عبيدة عن عبد الله- رضي الله عنه-عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته! قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد؛

من أهل العلم و الصّلاح هم الذين أرادهم الله بقوله:﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، و هؤلاء هم دعائم هذه الأمّة و ركائزها و حماة دينها و حفّاظ شريعتها من الزّيغ و الضّلال و إتّباع الهوى، كما أن علومهم النّافعة و أخلاقهم الرائعة السّامية، كلّ ذلك محفوظ في كتبهم و في صدور خلفهم الصّالح من علماء و فقهاء و أدباء مربّين و وعّاظ و مرشدين.

و إذا قيل لنا: فما أمارة هؤلاء الخلف الصّالح؟ قلنا: إن مِنْ علاماتهم الإقرار بفضائل و مزايا الذين سبقوهم في هذا الشّأن، مع الشكر و الثناء على لله على ذلك، و كذا عدمُ استنقاص هؤلاء السّلف و عدم الطعنِ في أعراضهم لأنَّ الطعنَ في سلف صالحي هذه الأمّة علامة الفساد و الشّقاء، أعاذنا الله و المسلمين من ذلك، لقول إمامنا مالك–رضي الله عنه:"لن يصلُحَ آخرُ هذه الأمةِ إلاَّ بما صَلُحَ به أولها[١]".

و بعد هذه التنبيهات النّافعة إن شاء الله، نشرع بتوفيق الله و عونه في إجابة السائلين الأفاضل،حسب ترتيب الأسئلة التي أسلفنا ذكرها.

- **السؤال الأول** : هل تعظيم الرّسول–صلى الله عليه وسلم–بلفظ السّيادة و تعظيمه بالمدح مثل قول الإمام البوصيري رحمه الله:–

يا رحيما بالمؤمنين إذا ما
ذهلت عن أبنائها الرضعاءُ[٢]

---

[١] انظر كتاب:"الظاهرة القرآنية"، ج١، ص:٥٠ – موسوعة "المكتبة الشاملة".المؤلف: مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، الناشر: دار الفكر – دمشق سورية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ–٢٠٠٠م، عدد الأجزاء:١.

[٢] بيت من قصيدة للبوصيري – رحمه الله. ذكر القصيدة الدكتور محمّد سَعيد رَمضان البوطي في كتابه: "مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول–صلى الله عليه وسلم"، ج١، ص:٧–موسوعة "المكتبة الشاملة"، الناشر: دار المعرفة – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٠٨ هـ، عدد الأجزاء: ١. و هاك نصيبا مما قاله في هذه القصيدة–رحمه الله: "ثم انظر إلى شعر البوصيري، على سبيل المثال، وقارن بينه إذ كان يمدح به أمراء عصره، طمعا في مغنم أو انتجاعا لرزق، وبينه إذ اتجه به إلى مدح رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم، تجد هناك التكلف الممجوج، والمعاني المفتعلة المصنّعة، وتجد هنا الرّقاء والرّصانة العجيبين، حتى لكأنّ شعره ينتشي ويطرب من ذاته، ثم تجد نفسك مأخوذا بمشاعر اللوعة الصادقة تسري في سائر جمله وكلماته! .. اصغ إليه وهو يقول: –
يا رحيما بالمؤمنين إذا ما ... ذهلت عن أبنائها الرّحماء

و قولـه:-

يا أكـرم الخـلـق مـا لي من ألـوذ بـه
سواك عنـد حلـول الحادث العمم

بدعة و شرك و ضلالة؟

- **الجواب:**

إنه يخطئ كثير من النَّاس في فهم حقيقةِ التعظيم و حقيقةِ العبادةِ فيخلطون بينهما خلطا بيّنًا و يعتبرون أنّ أي نوعٍ من أنواع التعظيم هو عبادة، و العبادةُ لا تكون إلاّ لله وحده، فتعظيمُ النبيّ-ﷺ-بسيّدنا و مولانا و الوقـوفُ أمامَه في الزّيارة بأدب و وقار و إجلالٍ و تعظيمٌ-ﷺ-بأيِّ نوع كان من المدح، كل ذلك يُعتبرُ عند هؤلاء شركا و ضلالا.

و هذا في الحقيقة جهلٌ و تعنّتٌ لا يرضاه الله و لا رسوله، و هو في نفس الوقت خطأٌ كبيرٌ في فهم نصوص الكتاب و السّنة، و من خطئِهم أنّهم جرَّدُوا النبي-ﷺ-من خصائصِه التي اختصَّهُ الله بها و وصفوه بمحضِ البشريةِ و قالوا بتسويته مع عامَّة البشرِ، و ذلك لقُصورِ عقولهم و ضيقِ نظرهم و سوءِ فهمهم، ونسوا أو تناسوا أنَّهُ يجب على المؤمنين أن يعظّموا من عظّمه الله و أمر بتعظيمه، كما يجب عليهم أيضا ألاّ يصفوه بشيء من صفات الرّبوبية لقوله-ﷺ: "لا تطروني كما أطرت النّصارى ابن مريم[١]". و المعنى أن الثناء عليه بما سوى ذلك هو محمود لأن النّهيَ في هذا الحديث خاصٌّ بصفات الألوهية، و ذلك واضح كل الوضوح في إطراء النصارى نبيّهم-عليه و على نبينا الصلاة و السلام-حيث قالوا: "المسيح هو الله"؛ و قالوا:"ابن الله"؛ و قالوا:"ثالث ثلاثة". و هذه الألفاظ كلّها كفرٌ جليٌّ لا يحتاج إلى تأويل أو توضيح، و في هذا المعنى قال الشيخ البوصيري-رحمه الله: -

دع مـا ادعـتـه النَّصـارى في نبـيّـهم
و احكم بما شئت مدحا فيه و احتكم

١- فصل في تشريف الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه-ﷺ:

و من تشريف الله تعالى و تكريمه لنبيّه-ﷺ-أن مَنَحه من أسمائه الحسنى و سمّاه بها فقال عزَّ

[١] جزء من حديث صحيح؛ رواه البخاري،باب "و اذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها"،ج٣، ص:١٢٧١، رقم الحديث:٣٢٦١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".نص الحديث: عن ابن عباس-سمع عمر، رضي الله عنه، يقول على المنبر سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله".

من قائل: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ (١٢٨)[١]﴾ -و جعل طاعته- ﷺ -طاعةً لله- جل جلاله؛ فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ[٢]﴾، و من ذلك قسمه- سبحانه وتعالى -بمُدة حياته- ﷺ -فقال عز وجل: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ (٧٢)[٣]﴾؛ اتفق أهل التفسير في هذا أنّه قسم من الله بعُمُر نبيّه محمد- ﷺ -و معناه: و حياتك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون، و هذا منتهى التعظيم و غايةُ البرّ و التشريفِ، و لذلك قال العلماءُ: ما أقسم الله بحياة أحدٍ غير حياة سيّدنا محمد- ﷺ -لأنّه أكرم البريّة عندَه، و من الآيات الدالّة على تعظيمه و سموّ منزلته قوله جل جلاله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ (٤)[٤]﴾. و في معناهُ قالت أمنا عائشة-رضي الله تعالى عنها: "كان- ﷺ -خلقه القرآن[٥]". فالقرآنُ الكريم مستفاضٌ بمزايا سيّدنا محمد- ﷺ -و بخصائص نبوّته، التي رفعه الله بها عن البشرية العادية و فضّله تفضيلا، و من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا[٦]﴾، أي لا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضًا-و لكن عظّموه و وقّروه و نادوه بأشرف ما يحبّ أن ينادَى به: "يا رسول الله"؛ "يا نبي الله"، و الآية نزلت في جماعة أتوا النّبي- ﷺ -فنادوه "يا محمد أخرج إلينا"، فَذَمَّهُم الله تعالى بالجهل و وصفهم بأنّ أكثرهم لا يعقلون كما جاء في الآية التي في "النور".

و من خصائصه عليه الصّلاة و السّلام أنّ الله تعالى خاطب أنبياءه و رسله عليهم الصلاة و السلام بأسمائهم و لم يخاطب الحبيبَ المصطفى سيّدنا محمدًا- ﷺ - إلا بِ "يا أيّها النّبي"؛ أو "يا أيّها الرّسول" إظهارا لفضيلته- ﷺ.
إذن فمن خلال ما ذكرناه من النّصوص الصّريحة الواضحة في تعظيم الله لنبيّه- ﷺ -يكون قد تبيّن

---

[١] جزء من آية ١٢٨ من سورة التوبة.

[٢] جزء من آية ٨٠ من سورة النساء.

[٣] الحجر.

[٤] القلم.

[٥] "مسند الإمام أحمد بن حنبل"؛ حديث صحيح لغيره. رقم الحديث في موسوعة "جوامع الكلم" : ٢٤٧٧٤، ج٦، ص:١٦٣. نص الحديث: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني عن خلق رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقالت: كان خلقه القرآن.

[٦] جزء من الآية ٦٣ من سورة "النور".

للسائلين الأكارم بكل وضوح، أن تعظيم الرسول-ﷺ-واجبٌ على كل مؤمن سليم العقلِ، طاهرِ القلبِ، جيّدِ الفهم، خالٍ من التعصُّب و الأنانية، لكن بشرط أن يكون هذا التَعظيمُ في حدود ما يقتضيه مقامُ المخلوق و صفاتُه المحدودة و لله درّ الإمام البوصيري حيث يقول:-

دع مـا ادعتـه النَّصارى في نبـــيّـهم

و احكم بما شئت مدحا فيه و احتكم

هذا جاء مصداقا لقوله-ﷺ:"لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم[١]" حيث أنّهم وصفُوه بصفات الإله و مدحُوه بها، و ذلك كفر جليٌّ و شرك واضحٌ لا يخفى على أحدٍ من عامة المسلمين.

٢-فصل في حكم من يستنقص من قدر المصطفى وكذا جميع الأنبياء و المرسلين عليهم صلوات الله أجمعين:

بعدمـا تكلّمنا عن التعظيم الأدبي الذي معناه التوقير و الاحترام و الطاعة لمنِ جعلهُ الله مطاعا و أمر بطاعته، و بيّنا أن حُكمَه الوجوبُ عند أهل السّنة و الجماعة، ننبّه الإخوانَ السّائلينِ و غيرَهم ممَّن يطّلع على هذه الرِسالة إلى جانبٍ آخرَ لا يقلُّ خطورةً عن درجة الكفر أو الشّرك ألاَ و هو الاحتقارُ و الاستنقاصُ لمنزلة و مكانة الأنبياء و المرسلين الذين اصطفاهم الله على النّاس أجمعين، فالذي يقول بعدم التعظيم قد يقول بالضّد من حيث لا يشعر، و ذلك كفرٌ عقابُه القتل إذا تمادى عليهِ صاحبهُ بعد إقراره! و لقد خصَّصَ الإمام العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام القاضي عياض[٢]-رحمه الله، في آخر كتابه "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى-ﷺ"فصلا خاصّا في هذا الشأن روى فيه الإجماعَ على قتلِ من عاب النبي-ﷺ-أو شتمه أو استنقصه، و نحن ننقل لكم من ذلك ما تدعو إليه الحاجةُ من البيانِ و التّوضيحِ في إثبات عقوبةِ من يؤذي النّبي-ﷺ؛ قال فضيلة الشيخ العلامة القاضي عياض-رحمه الله:- "اعلم وفقنا الله و إيّاك أن جميعَ من سبّ النبي-ﷺ-أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عَرَّضَ به أو شبَّهَـهُ بشيء على طريق السبِّ له أو الذّم له و الازدراء به

[١] سبق تخريجه.

[٢] القاضي عياض (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ - ١١٤٩ م): عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة و توفي بمراكش. من تصانيفه؛ "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"؛ و "الغنية" في ذكر مشيخته؛ و "ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك"-أربعة أجزاء وخامس للفهارس؛ و "شرح صحيح مسلم"؛ و "مشارق الأنوار"-مجلدان في الحديث؛ و "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع " في مصطلح الحديث؛ وكتاب في "التاريخ". وجمع المقري سيرته وأخباره في كتاب "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"-ثلاثة مجلدات من أربعة و"الإعلام بحدود قواعد الإسلام "-نقلا، بتصرف بسيط، عن: "الأعلام" للزركلي.

أو التصغير لشأنه أو الغضّ منه و العيب له فهو سابٌّ له و الحكم فيه حكمُ السَّابِ يقتلُ، كما نبيّنه و لا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد و لا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا، و كذلك من لَعَنَهُ أو دعا عليه أو تمنّى مضرّة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذّم أو عبث في جهته العزيزة بسُخْفٍ من الكلام و هُجْرٍ و منكرٍ من القول و زور أو عيَّره بشيءٍ ممّا جرى من البلاء و المحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشريّة الجائزة و المعهودة لديه، و هذا كلّه إجماع من العلماء و أئمّة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هَلُمَّ جَرًّا. قال أبو بكر بن المنذر[١]: أجمع أهل العلم على أن من سبّ النبيّ -ﷺ- يُقْتَلُ و ممّن قال ذلك مالك بن أنس و الليث و أحمد و إسحاق، و هو مذهب الشّافعي، قال القاضي أبو الفضل: و هو مقتضى قول أبي بكر الصديق -رضي الله عنه، و لا تُقْبَلُ توبته عند هؤلاء، و بمثله قال أبو حنيفة و أصحابُه و الثوري و أهل الكوفة، و الأوزاعي في المسلمين -لكنهم قالوا:- هي رِدّةٌ، و روى مثله الوليد بن مسلم عن مالك و حكى الطبري مثله عن أبي حنيفة و أصحابه فيمن تنقصه -ﷺ، أو برئ منه، أو كذّبه، و قال سحنون فيمن سبّه ذلك ردَّةٌ كالزندقة و على هذا وقع الخلاف في استتابته و تكفيره، و هل قتله حدٌّ أو كفر .... و لا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار و سلف الأمّة .... قال محمد بن سحنون أجمع العلماء أن شاتم النّبي -ﷺ- المتنقّصَ له كافرٌ و الوعيد جارٍ عليه بعذابِ الله و حكمُه عند الأمة القتل و من شكّ في كفره و عذابه كَفَر، و احْتجّ إبراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي -ﷺ- صاحبكم، و عن أبي المصعب و ابن أبي أويس قالا: سمعنا مالكا يقول: من سبّ رسول الله -ﷺ، أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا و لا يستتاب[٢]" -انتهى كلام القاضي عياض رحمه الله.

و فيما نقلناه هنا، من الأدلّة الفقهية و إجماع علماء الأمة على كفر و زندقة من يؤذي الرسول -ﷺ- -بأي طريقة كانت و كيفما كانت الإذاية باعتبارها إنتهاكا لحرمات الله و تعدّياً لحدوده؛ ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَالِمُونَ (٢٢٩)[٣]﴾. و في هذا كلِه إذن كفايةٌ لمن أراد أن يتذكّر أو أراد شكوراً.

---

[١] ابو بكر بن المنذر هو الامام الأوحد ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري الثقة الحجة إمام عصره، وشيخ الحرم، توفي بمكة سنة تسع او عشرة وثلاثمئة؛ نقلا عن "الشفا بتعريف حقوق المصطفى-محذوف الأسانيد"، ج٢، ص١٤٣. الناشر: دار الفيحاء-عمان، الطبعة الثانية: ١٤٠٧ هـ.

[٢] الكتاب: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"، ج٢، ص:٤٧٣، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفيحاء عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

[٣] جزء من الأية من سورة "البقرة".

٣- فصل في ثبوت السّيادة و المخاطبة بها للإنسانية عامة و جوازها في الإسلام خاصة و الدّليل من الكتاب و السّنة:

و أمّا مسألة السّيادة للمخلوق فهي مسألةٌ إنسانيةٌ بحتة في مستوى من الآدابِ و الأخلاقِ السَّامية،أي الرّفيعة المستوى، و من هنا فإن استعمال لفظ السّيادة في المخاطبة أو التخاطب يعدّ من مُقوّمات الشّخصيات المحترمة ذاتِ المروءةِ و المكانة المعتبرة في المجتمعات الحضارية الزّاخرة بالقيم و الأخلاقِ الفاضلةِ، فلا ينكرُها و لا يقولُ بنفيهَا إلا جاهلٌ بالعواملِ و العناصرِ الأساسية للحياة الطيّبة و العيش الرَّغد في ظلّ التّراحمِ و التعاطفِ و التعاونِ على الخيرِ و منابذةِ الشَّرِ. هذا بالنّسبة للإنسانية كافةً أو عامة.

و أمّا مخاطبةُ المخلوقِ بِ "يا سيّدي" في الإسلامِ فحُكْمها الجوازُ للشخصيَّات الموقَّرة مثلَ الأخِ الكبيرِ بين إخوتهِ، و العالم، و الإمام بين قومهِ، و كبيرِ الجماعة، جماعةِ الخير، و كـذا ذوي المناصبِ العاليةِ ما لم يكونوا عُصَاة لله أو فَاسقين، و إلاّ فلا تجوزُ مخاطَبتُهم بذلك لأنّ فيه دعما للفسق و المعصية و الله لا يُحِبُّ التعاونَ على الإثم و العدوان.

و أما دليلنا على جواز مخاطبة بعض المخلوقين بالسيادة هو ما جاء في الكتاب و السنة الصحيحة؛أما من الكتاب فقوله تعالى في حق نبيّه يحي-عليه السلام:﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصالِحِين [١](٣٩)﴾، و هذا لم يأت على سبيل الذّم بل هو مدحٌ لنبيّه يحي عليه السّلام، و قال تعالى عن نبيّه يوسف-عليه السّلام-و امرأة العزيز إخبارا بأنّ الخطاب بهذا اللفظ كان موجودا في زمانهما: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ[٢]﴾؛ و قال عن الكفار ﴿إِنا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا[٣]﴾.

و أما من السّنة المطهرة فقد تواترت أحاديث في ذلك تواترًا لا شبهة فيه؛ و من ذلك: عن أبي هريرة-رضي الله عنه-أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال:﴿لا يقولن أحدكم عبدي و أمتي، و لا يقولنّ المملوك: ربّي و ربتي؛ ليقل المالك: فتاي و فتاتي؛ و ليقل المملوك: سيّدي و سيّدتي، فإنّهم المملوكون، و الرّب

---

[١] جزء من الآية ٣٩ من "آل عمران".

[٢] جزء من الآية ٢٥ من سورة "يوسف".

[٣] جزء من الآية ٦٧ من سورة "الأحزاب".

الله عزَّ و جل[١]۞. و في هذا تعليم منه-ﷺ-لأمّته كيفية المخاطبة فيا بينهم و في نفس الوقت هو دليل واضح على جواز إطلاق لفظ السيادة على بعض المخلوقين. و روى أبو داود مثله، و عن أبي سعيد-رضي الله عنه-أن رسول الله-ﷺ-أرسل إلى سعد بن معاذ، فلما جاء سعد قال رسول الله-ﷺ-للأنصار: "قوموا إلى سيّدكم[٢]". و هذا الحديث حجّة دامغة على منكري السّيادة للنبي-ﷺ. و عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال:كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب فسلّم علينا فرددنا عليه السّلام و لم يعلم به أبو هريرة؛ فقلنا يا أبا هريرة هذا الحسن بن علي قد سلّم علينا، فلحِقَه و قال و عليك السلام يا سيّدي، ثم قال سمعت رسول الله-ﷺ-يقول: "إنه سيّد[٣]". و هذا الأثر يفيد أنّ هذا اللّفظ كان مستعملا في زمن الصّحابة رضوان الله عليهم. و عن الحسن-رضي الله عنه-قال:-ولقد سمعت أبا بكرَة يقول رأيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: ۞إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[٤]۞

و إذ أنّه قد ثبت من هذه الأحاديث إطلاق لفظ السيِّد على أفرادٍ من هذه الأمّة فالنبيّ-ﷺ-أحقّ و أولى به من كل مخلوق بإجماع المسلمين. و عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه- قال: ۞صعد رسول الله-ﷺ-على المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: من أنا؟ قلنا:رسول الله، قال: نعم، و لكن من أنا؟ قلنا:-أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال: أنا سيِّدُ ولد آدم و لا فخر[٥]۞ قال العلماء: فقوله-ﷺ:"أنا سيّد ولدِ آدمَ و لا فخر[٦]" عقب قولهم أنت محمد بن عبد الله، هو نص

---

[١] حديث صحيح لغيره. "مسند أحمد بن حنبل"، رقم الحديث:٩٢٤٥- موسوعة "جوامع الكلم".

[٢] جزء من حديث صحيح. "سنن أبي داود"، ج٤، ص٣٥٥-انظر؛ "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".نص الحديث: عن أبي سعيد الخدري أن أهل قريظة لما نزلوا على حكم سعد أرسل إليه النبي- صلى الله عليه وسلم- فجاء على حمار أقمر؛ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: " قوموا إلى سيدكم، أو إلى خيركم، فجاء حتى قعد إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم."

[٣] قال الحاكم النيسابوري في "المستدرك على الصحيحين": هذا حديث صحيح. راجع ج٤، ص١٦١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". و رواه الطبراني في "المعجم الكبير" - رقم الحديث: في "جوامع الكلم"(ر/م): ٢٥٩٦/٢٥٣٠.

[٤] انظر "صحيح البخاري"، ج٢، ص٩٦٣، رقم الحديث:٢٥٥٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٥] انظر "المستدرك على الصحيحين" للحاكم النيسابوري، ص:١٥٥١،رقم الحديث(ر/م): ٤١٢٠/٢:٦٠٣ - "موسوعة جوامع الكلم". و روى كذلك جابر بن عبد الله-قال: قال رسول الله:"أنا سيِّد المرسلين و لا فخر و أنا خاتمُ النَّبيِّين و لا فخر و أولُ شافعٍ و مشفَّعٍ و لا فخر". حديث صحيح. انظر "الأوئل لابن أبي عاصم"،رقم الحديث(ر/م):٨٥/٨٧.

[٦] روى في "المعجم الأوسط" للإمام و المحدث أبو القاسم الطبراني (المتوفي: ٣٦٠هـ - ٩٧١م)، محقق الكتاب: طارق

جليٌّ على حسب العرف في الأمرِ بالسّيادة و الانتقادِ على عدم ذكرها فكأنه يقول لم لا تقولوا سيّدنا محمد فإنّه سيّد ولد آدم[١] و لا فخر، يؤيّد ذلك و يزيده وضوحا أن الله تعالى نهانا أن نناديه باسمه المجرد عن التعظيم فقال تعالى:﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا[٢]﴾. قال ابن عباس-رضي الله عنه-في هذه الآية: كانوا يقولون يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك إعظاما لنبيّه-صلى الله عليه وسلم، قال، فقالوا: يا نبيّ الله، يا رسول الله. و عن قتادة في قوله تعالى:﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾؛ قال: أمرهم أن يفخّموه و يشرّفوه[٣]. و عن قتادة أيضا قال: أمر الله أن يُهابَ

بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، ج٥، ص٢٠٢ - و الحديث صحيح-راجع حكم المتن في موسوعة "جوامع الكلم"،حديث رقم الصفحة؛١٥٤٤:عن جابر بن عبد الله قال: كان لآل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-خادم تخدمهم، يقال لها: برة، فلقيها رجل، فقال لها: يا برة غطي شعيفاتِك، فإن محمدا لن يغني عنك من الله شيئا، فأخبرت النبي-صلى الله عليه وسلم، فخرج يجر رداءه محمرة وجنتاه-وكنا معشر الأنصار نعرف غضبه بجر ردائه، وحمرة وجنتيه فأخذنا السلاح، ثم أتيناه فقلنا: يا رسول الله، مرنا بما شئت، فوالذي بعثك بالحق لو أمرتنا بأمهاتنا وآبائنا وأولادنا لأمضينا قولك فيهم، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: ﴿ من أنا؟ فقلنا: أنت رسول الله. قال: نعم ولكن من أنا؟ فقلنا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، و أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر، وأول داخل الجنة ولا فخر، ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا تنفع، ليس كما زعموا، إني لأشفع، وأشفع حتى إن من أشفع له ليشفع فيشفع، حتى إن إبليس ليتطاول في الشفاعة﴾.

[١] انظر "المستدرك على الصحيحين" للحاكم النيسابوري، ص:١٥٥١، رقم الحديث(ر/م): ٦٠٣:٢/٤١٢٠ - "موسوعة جوامع الكلم". و روى كذلك جابر بن عبد الله-قال: قال رسول الله:"أنا سيِّد المرسلين و لا فخر و أنا خاتمُ النَّبيِّين و لا فخر و أوّل شافعٍ و مشفَّعٍ و لا فخر". حديث صحيح. انظر "الأوئل لابن أبي عاصم"،رقم الحديث(ر/م):٨٧/٨٥.

[٢] من الآية ٦٣ من سورة "النور".جاء في "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس"، ص ٢٩٩-الوسوعة؛ "المكتبة الشاملة" في تفسير الآية : ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾؛ أي لا تدعوا الرسول باسمه ؛ يا محمد-﴿كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾.

[٣] جاء في "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس"، ص ٢٩٩-الموسوعة؛ "المكتبة الشاملة" في تفسير الآية :- ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾؛ أي لا تدعوا الرسول باسمه ؛ يا محمد-﴿كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾.جاء في تفسير هذه الآية في "غريب القرآن" لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى:-٢٧٦هـ)-محقق الكتاب:أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية-سنة طبع الكتاب:١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ج١، ص٣٠٩ ما نصه: "يعني: فخِّموه وشرِّفوه، وقولوا: يا رسول الله، ويا نبيَّ الله، ونحوَ هذا. ولا تقولوا؛"يامحمدُ"، كما يدعو بعضكم بعضًا بالأسماء".كما جاء كذلك في شرح هذه الآية في "أحكام القرآن" لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)،

نَبِيُّه و أن يبجَّلَ و أنِ يعظَّمِ و أن يسود. و هذا المعنى هو الذيِ اتفق عليه أئمة الإسلام و فقهاء المذاهب في الأمّة المحمدَّية فنصُّوا على تحريم ندائه-ﷺ-باسمه أخذا من هذه الآية الشريفة [١]-انتهى.

٤-فصل في تعظيم الصّحابة-رضي الله عنهم-للنبي-ﷺ-و تبركهم به و مدحهم له و الأحاديث و الآثار الواردة في ذلك:

و أمّا تعظيم الصحابة له-ﷺ-المتمثل في محبتهم له و مدحهم إيّاه بالأشعار و تبركهم به و بآثاره الطيبة و تفانيهم في محبّته، فحدِّث عنِ البحر الزَّاخر و لا حرج، إذ هم أقرب النّاس إليه-ﷺ-و أعرفهم بخصائصه، و هم المثلُ الأعلى لِخَلَفِهِم الصَّالح و القدوةُ الحسنةُ لمن أراد التأسِّي بهم في محبّة وِ تعظيمِ النبيّ-ﷺ؛ إذ بذلك يتحقّق للمؤمنِ الإتباع التَّام لما جاء به-ﷺ- ظاهراً و باطناً. قلنا ظاهراً و باطنا لأنّ الإقتداء بالظاهر فقط هو مجال للغرور و صاحبه قد يكون إمَّعة، و الرسول-ﷺ-نهى المؤمنين أن يكون أحدهم إمَّعة؛ قال-ﷺ: ﴿لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا[٢]﴾، كما يخشى عليه أيضا أن تصيبه شائبة من شوائب النّفاق أعاذنا الله و المسلمين من ذلك؛ آمين.

لقد كان الصحابة-رضي الله عنهم-يستغيثون به-ﷺ-ويستعينون به ويطلبون الشفاعة منه ويشكون حالهم إليه من الفقر و المرض والبلاء و الدَّين و العجز و يفزعون إليه عند الشدائد و يطلبون منه ويسألونه معتقدين أنه-ﷺ-ليس إلاّ وسيلةً و سببًا في تحقيق النَّفع وكشف الضَّر و أنَّ الفاعلَ حقيقةً هو اللّه، و من حكمة الله البالغة-أي النَّافذة-في كل شيءِ بإذنه تعالى و مشيئته أنَّه جعل لكل شيءِ سبباً، فلا بُدَّ من الأسباب و هي، أي الأسباب، سُنَّة الله في مخلوقاته، كما لا يستطيع

محقق الكتاب:عبد السلام محمد علي شاهين، ناشر الكتاب: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٣، ص٤٣٥-ما نصه: روي عن ابن عباس قال: "يعني احذروا إذا أسخطتموه دعاءه عليكم فإن دعاءه مجاب ليس كدعاء غيره". وقال مجاهد وقتادة: "ادعوه بالخضوع والتعظيم نحو يا رسول الله، يا نبي الله، ولا تقولوا: يا محمد كما يقول بعضكم لبعض".

[١] جاء في "الدر المنثور" لجلال الدين السيوطي (المتوفي:٩١١ هـ)، ناشر الكتاب: دار الفكر-بيروت، ج٦، ص٢٣١ ما نصه: عن قتادة في الآية قال: أمر الله أن يهاب نبيه وأن يبجل وأن يعظم وأن يفخم ويشرف. وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة في الآية قال: لا تقولوا يا محمد، ولكن قولوا: يا رسول الله"-إنتهى.

[٢] أخرجه الترمذي في سننه في باب "ما جاء في الإحسان و العفو"،ج٤، ص:٣٢٠، حديث رقم ٢٠٠٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب" - و هو حديث صحيح.عن حذيفة- قال، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: "لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا".

أحد من الخلق إنكارَها و لا الاستغناءَ عنها، ذلك لأنّها سُنَّةُ الله في مُلكه، كما قال تعالى:﴿سُنَّةَ اللهِ التي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا(٢٣)﴾[١]. و ها هم الصحابة-رضي الله عنهم-يعظّمون النبيَّ-صلى الله عليه وسلم-و يتبركون بآثاره الشّريفة؛ روى الإمام البخاري في صحيحه أنّ عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبيّ-صلى الله عليه وسلم-بعينيه قال: فو الله ما تنخّم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه و جلده،و إذا أمرهم ابتدروا أمـره، و إذا توضّأ كادوا يقتَتِلون على وَضُوئه، و إذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، و ما يحدُّون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم! و الله لقد وفدت على الملوك و وفدت على قيصر و كسرى و النّجاشي، و الله إن رأيت [أي ما رأيت] ملكا قطّ يعظّمه أصحابه كما يعظّم أصحاب محمّد-صلى الله عليه وسلم-محمّدا، و الله ما يتنخّم نخامة إلا وقعت في كفّ رجلٍ منهم فدلك بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم ابتدروا أمره، و إذا توضّأ كادوا يقتَتِلون على وَضُوئه و إذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، و ما يحدّون إليه النظر تعظيما له[٢]".

إن لهذا الحديث فوائد كثيرة؛ فمنها على سبيل المثال:-

• إقراره-صلى الله عليه وسلم-أي إثباته لتعظيم الصَّحابة له بعملهم هذا، و أنّ في هذا الإثبات دليلاً واضحا على جواز التعظيم للرّسول-صلى الله عليه وسلم-و التبرُّكِ بآثاره في حدودهما المشروعة. و من ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه أنّ النبيّ-صلى الله عليه وسلم-أتى منىً فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى و نحر، و قال للحلّاق خذ، فبدأ بالشق الأيمن فوزّعه الشّعرة و الشّعرتين بين النّاس، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك[٣]. و هل فِعْل النبيّ-صلى الله عليه وسلم-لهذا العمل كان عبثا ؟ كلّا! فحاشاه-صلى الله عليه وسلم-أن يصدر منه شيء عبثا فإنّه لا يصدرُ منه إلا الحقُّ في جميع أحواله و في كلِّ أحيانِه، فهو-صلى الله عليه وسلم-مصدر للخير لا غير. و لا أظُنُّ أنّ أحداً من عامّة المسلمين يعتقد أو يقول غير هذا، و الأحاديث الصَّالحة للعمل في هذا الباب كثيرة، و نكتفي بالحديثين الصحيحين السّابقَيْن؛ عملاً بالمثل القائل: أنفع الكلام ما قلَّ و دلَّ.

---

[١] الفتح.

[٢] جزء من حديث صحيح ذكره الإمام البخاري في صحيحه، ج٢، ص٩٧٤، حديث رقم-٢٥٨٣.راجع "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٣] "صحيح مسلم"، ج٢، ص:٩٤٧، رقم الحديث: ١٣٠٥-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

و أمّا امتداحهُ بالشعر–ﷺ– فها هو ذا شاعرهُ حسَّان بن ثابت[١]–رضي الله عنه– يقول:–

يا ركنَ معتمدٍ و عصمةَ لائذٍ   و مَلاذَ مُنتجعٍ و جَارَ مُجاوِرِ
يا من تخيَّرهُ الإلهُ لخلْقِه   فحبَاهُ بالخُلقِ الزكي الطاهرِ
أنتَ النَّبيُّ و خير عصبة آدم   يا من يجود كفيضِ بحرٍ زاخرِ
مِكَالُ معْك و جبريلُ كلاهما   مددٌ لنصرك من عزيزٍ قادرِ

و هذا سواد بن قارب يقول بين يدي رسول الله–ﷺ :–

فأشهد أنَّ الله لا ربَّ غيرهُ   و أنّك مأمونٌ على كل غائبِ
و أنّك أدنى المرسلين وسيلة   إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايبِ

إلى أن قال:

وكُنْ لي شفيعاً يوم لا ذو شفَاعةٍ   بِمغنٍ فتيلاً عن سوادِ بن قاربِ[٢]

و هذا مازن بن الغضُوبَةِ أيضا يطلب منه الشفاعة لمَّا جاء مسلما و أنشد يقول:–

إليكَ رسول الله خبَّت مطيَّتي   تجوب الفَيَافي من عُمانَ إلى العَرْجِ
لتشفع لي يا خير من وطىء الحصى   فيغفرَ لي ربِّي فأرجعَ بالفَلجِ[٣]

[١] حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي–صلى الله عليه وسلم– وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة.نقلاً عن "الأعلام للزركلي".

[٢] "دلائل النبوة" لأبي نعيم الأصبهاني(المتوفي:٤٣٠هـ)، ج٧،ص٢٧٦. حقق الكتاب: محمد حسين شمس الدين. الناشر: دار الكتب العملية. الطبعة الأولى–١٤١٩هـ. كذلك الأبيات مذكورة في "المستدرك على الصحيحين" للحاكم النيسابوري، ج٤، ص ٧٩٩؛ "التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد" لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ج١٧، ص٤٣٩–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٣] "دلائل النبوة" للبيهقي (المتوفي:٤٥٨هـ)، ج٢، ص٢٥٧، الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى:١٤٠٥هـ. و جاء في كتاب "مجمع الزوائد و منبع الفوائد" لعبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (المتوفى: ٤٠٧هـ)، ج٨، ص:٢٤٨–"المكتبة الشاملة"– في قصة إسلام مازن بن الغضُوبَةِ–رضي الله عنه–ما نصه:–

كسرت ناجزا جذاذاً وكان لنا   ربا نَطيفُ به عُميا بضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا   ولم يكن دِينُه منّي على بالِ

كلام سواد بن قارب رواه البيهقي في "دلائل النبوة"، و ذكره الحافظ بن حجر في "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، و أقرَّه رسول الله-ﷺ-و لم ينكر طلب الشفاعة منه و كذلك لم ينكر من مازن بن الغَضُوبَةِ، و قصة مازن رواها أبو نعيم في "دلائل النبوة".

و لقد جاء أيضا في القصة المشهورة عن العُتبيّ-قال: كنت عند قبر النبي-ﷺ-فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ

".... وركبت راحلتي فقدمت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فشرح لي الإسلام فأسلمت وقلت:-

يا راكبا بلـغن عـمـرا وإخـوته أني لمن قـــال ربي بَـاجِرُ قَـالِ

يعني عمرو بن الصلت وإخوته بني خطامة، قال مازن: فقلت: يا رسول الله، إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والهلوك – قال ابن الكلبي: – والهلوك الفاجرة من النساء – وألحت علينا السنون، فأذهبت الأموال وأهزلت الذراري، وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد، و يأتيني بالحياء ويهب لي ولدا، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم: " اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وبالعهر عفة الفرج، وبالخمر ريا لا إثم فيه، وآتهم بالحيا، وهب له ولدا "، قال مازن: فأذهب الله عني ما كنت أجد و وهب الله لي حبار بن مازنٍ، وأنشأ يقول:-

إليـك رسـول الله خبَّت مطيَّتي تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى فيـغـفـر لي ربي فأرجع بالفَـلَـجِ
إلى معشرٍ خـالفتُ في الله دينَـهم فلا رأيهـم رأيي ولا شرجُهم شرجِي
وكنت امرءا بالعُهر والخمر مُولَعًا شَبابِي حتى آذَنَ الجِســمُ بالنَّهَجِ
فبدَّلني بالخمر خـوفا وخشيةً وبالعُهر إحصانا فَأحـصَنَ لِي فرجِي
فأصبحت همي في الجهاد و نيتي فلله ما صـــومي و لله ما حـجي

– إنتهى بتصرف.

جاء في كتاب "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" لشهاب الدين بن محمد الزرقاني (المتوفي: ١١٢٢هـ)، ج١٢، ص:٤٠ في شرح القصيدة ما نصه:" والفلج -بضم الفاء وسكون اللام وجيم:الفوز، وتجوب -بجيم وموحدة: - تقطع، وخبت بخاء معجمة وموحدة: سارت سيرًا شديدًا، ويروى: جئت-بمهملة مضمومة ومثلثة مبني للمفعول "قلت: يا رسول الله، إني امرؤ مولع متعلّق بالطرب- الخفة واللعب والميل إلى اللهو وشرب الخمر والنساء، وألحت دامت علينا السنون؛ القحط والجدب "فأذهبنَّ الأموال وأهزلنَّ؛ من الهزال -بالزاي- ضد السمن-إنتهى بتصرف بسيط.

الرسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوابًا رَحِيمًا(٦٤)[١]﴾، و قد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشد يقول:-

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكــنه فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

قال العتبي: ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي-ﷺ-في النوم فقال: الحق الأعرابي فَبَشّرْهُ أنّ الله قد غفرَ له".فهذه القصّة رواها الإمام النّووي في كتابه "الإيضاح" و رواها أيضا الحافظ عماد الدّين بن كثير في تفسيره الشهير[٢] عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، و هذه الأبيات مكتوبة بفضل الله على المواجهة النبوية الشريفة في العمود الذي بين شباك الحجرة النبويّة يراها القريب و البعيد.

و الخلاصة: نقول للسائلين الأفاضل و لكل من يطَّلِعُ على هذه الرسالة أن تعظيم رسول الله-ﷺ-واجبٌ على الأمَّة المحمَّدية بإجماع جمهور المسلمين وقد تقدَّم الدَّليل على ذلك، و أما في حق غيره-ﷺ-فحكمه الجواز، و قد تقدم أيضا الدليل عليه. و الله و رسوله أعلم، و ما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت و إليه أنيب-انتهى الجواب عن السؤال الأوَّل.

- **السؤال الثاني**: ما هو الحكم الشَّرعي في زيارة القبور و قراءة القرآن عند القبر؟

[١] جزء من الآية ٦٤ من سورة "النساء".

[٢] "تفسير ابن كثير"؛ ج٢، ص٣٠٦-"المكتبة الشاملة". بطاقة الكتاب: كتاب: "تفسير القرآن العظيم"-ابن كثير، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون-بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ. و القصة مذكورة كذلك في كتاب: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" الكتاب: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"،المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي-الجزائري (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ. الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".

الجواب:

بسم الله الكريم الوهّاب و به أستعين و عليه أتوكّل و منه أستلهم الإجابة و الصواب، فأقول و بالله التوفيق: إنَّ زيارة القبور بشروطها و آدابها هي مستحبةٌ أي سنّةٌ استحبابيةٌ مشروعة في ديننا الحنيف، لما رواه الإمام مسلم– رحمه الله– في صحيحه عن بريدة–رضي الله عنه– قال؛ قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ﴿نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها[١]﴾، و في رواية أخرى في نفس المصدر ﴿فزوروها فإنها تذكركم الموت[٢]﴾، و في رواية أحمد بن حنبل و النّسائي ﴿فزوروها و لا تقولوا هُجْرًا[٣]﴾ يعني القبيح من الكلام، و هذا الأخير من شروط زيارة القبور.

فصل في آداب زيارة القبور:

أ) زيارة القبور للرجال:

و من أداب الزيارة المطلوبة من الزائر أن يستدبر القبلة و يستقبل القبر، فيدعو للميِّت و لنفسه و لجميع المسلمين الأحياء منهم و الأموات، و قد عَلّمَ رسول الله–صلى الله عليه وسلم–السيدة عائشة –رضي الله عنها–دعاء الزيارة، فقد ثبت عنها أنها قالت:"كيف أقول يا رسول الله –تعني إذا زُرْتُ القبور؟ قال–صلى الله عليه وسلم–:﴿قولي السلام على أهل الدّيار من المؤمنين و المسلمين، و يرحم الله المستقدمين منّا و المستأخرين، و إنَّا إن شاء الله بكم لاحقون[٤]﴾. رواه الإمام مسلم، رحمه الله تعالى، هذا فيما يتعلق

---

[١] جزء من حديث مذكور في "الآثار لمحمد بن الحسن"،ج٢، ص:٣١٣–"المكتبة الشاملة"، المؤلف: الامام الحافظ ابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (١٣١ – ١٨٩ هـ– ٧٤٨ – ٨٠٤ م)، المحقق: أبو الوفا الأفغاني، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٢. نص الحديث: عن ابن بريدة الأسلمي، عن أبيه، رضي الله عنه، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال:– " نهيناكم عن زيارة القبور فزوروها، ولا تقولوا هُجْرًا ؛ فقد أُذِنَ لمحمدٍ في زيارة قبر أمِّه، وعن لحم الأضاحي أن تمسكوه فوق ثلاثة أيام، فأمسكوه ما بدا لكم، وتزودوا فإنا إنما نهيناكم ليتسع موسعكم على فقيركم، وعن النبيذ في الدباء والحنتم والمزفت، فانتبذوا في كل ظرف فإن ظرفا لا يحل شيئا ولا يحرمه، ولا تشربوا المسكر ". قال محمدٌ: وبهذا كله نأخذ، لا بأس بزيارة القبور للدعاء للميت ولذكر الآخرة، وهو قول أبي حنيفة–رضي الله عنه.

[٢] "شرح النووي على مسلم"، ج٧، ص:٣٩، حديث رقم:٩٧٦–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب". نص الحديث: عن أبي هريرة قال : زار النبي–صلى الله عليه وسلم– قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال :– استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت".

[٣] جزء من حديث موجود في "مسند الإمام أحمد"، ج٥،ص:٣٦١، رقم الحديث:٢٢٥٤٣.انظر "موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٤] جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه؛ ج٢، ص ٦٦٩، رقم الحديث: ٩٧٤– نفس المصدر أعلاه. نص الحديث: عن عائشة أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان

بزيارة الّرجال، و قد اختصرناه اختصارا شديدا، و ذلك لعدم وجود الخلاف فيه بين العلماء.

ب) زيارة القبور للنساء:

و أما زيارة النساءِ للقبور فإنها مسألة خِلافية، فمنهم من حرَّمها، و منهم من جعلها مكروهةً و شدَّد في كراهيتها، و القَوامُ و الاعتدالُ في هذه المسألة هو ما قاله الإمام النّووي–رحمه الله–في كتابه الكبير "شرح المهذّب"؛ قال رحمه الله: "و الذي قطع به الجمهور أنها مكروهة لهنّ كراهة تنزيه، و الأصحُّ عندي هو الجواز إذا أُمِنَ الافتتانُ و خَلَتِ الزّيارةُ من ارتكاب المحظورات و فعل المنكرات، و إلا فإنّهن يُمنعنَ من الزّيارة، و ممّا يدلّ على أنّ زيارتهن ليست حرامًا حديثُ أنس رحمه الله أن النبيّ–ﷺ– مرَّ بامرأة تبكي عند قبر فقال:﴿اتقي الله و اصبري–رواه البخاري و مسلم رحمهما الله، و موضع الدّلالة أنّه–ﷺ لم ينْهَها عن الزيارة؛و عن عائشة –رضي الله عنها–قالت: "كيف أقول يا رسول الله –يعني إذا زُرْتُ القبور– قال: ﴿قولي السلام على أهل الدّيار من المؤمنين و المسلمين و يرحم الله المستقدمين منّا و المستأخرين، و إنّا إن شاء الله بكم للاحقون[١]﴾رواه مسلم–انتهى كلام الإمام النووي–رحمه الله. و كفى به دلالة على جواز زيارة القبور للّنساء بآدابها و شروطها الشرعية–و الله و رسوله أعلم.

فصل في جواز و استحباب قراءة القرآن عند القبر:

و أما قراءة القرآن عند القبر فهي أيضا مسألّةُ خلافية، اختلف فيها العلماء مثل سابقتِها، أي زيارة القبور، و الصحيح فيها الجواز، و إنها مستحبة لما يأتي من التوضيحات حول هذه المسألة.

- **الأمر الأول:** إنّه لا يوجد في حقّها نهي إطلاقا، لا من الكتاب العزيز و لا من السُّنة المطهرة، و هذا ممّا يَـــدُلّ بكل وضوح على أنها جائزة.
- **الأمر الثاني:** دليل استحبابها ما جاء في الحثِّ عليها، أعني قراءة القرآن على الموتى، من أحاديث نبوّية صالحة للعمل بها في الترغيب و الترهيب و نوافل الأعمال، و كذا ما تواتر به العمل من الصَّحابة و السَّلف الصَّالح لهذه الأمَّة من علماء و فقهاء إلى يومنا هذا؛ و من تلك الأحاديث ما ذكره الحافظ جلال الدين السُّيوطي في كتاب "شرح الصُّدور[٢]"، حيث قال:"أخرج الطبراني و البيهقي في "الشعب" عن ابن عمر–رضي الله عنهما–قال سمعت رسول الله–ﷺ–يقول:﴿ إذا مات أحدكم

ليلتها من رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: ﴿ السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ﴾.

[١] "المجموع شرح المهذب"–مع تكملة السبكي والمطيعي، ج٥، ص:٣١١، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر، طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي–"المكتبة الشاملة".

[٢] " شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور" لأبي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).

فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب۞- و لفظ البيهقي: "فاتحة البقرة عند رأسه و عند رجليه بخاتمة سورة البقرة في قبره[١]". و عن معقل بن يسار أن رسول الله-ﷺ- قال:۞يس قلب القرآن و لا يقرؤها رجل يريد الله تبارك و تعالى و الآخرة إلا غفر له، و اقرءوها على موتاكم[٢]۞، و عنه-رضي الله عنه- قال، قال رسول الله-ﷺ:۞اقرءوا "يس" على موتاكم[٣]۞. و عن أنس-رضي الله عنه-مرفوعا أن رسول الله-ﷺ- قال: ۞من دخل المقابر فقرأ فيها "يس" خفف عنهم يومئذ و كان له بقدرهم حسنات۞-أورده الإمام شمس الدّين محمد بن مفلح في كتابه "المبدع[٤]"؛ و في نفس المصدر قال: و صحَّ عن ابن عمر-رضي الله عنه- أنَّه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة و خاتمتها، و لهذا رجع الإمام أحمد عن الكراهة، و قصة رجوع الإمام أحمد رواها الخلال في كتابه "الجامع"-باب القراءة عند القبور- قال: أخبرني الحسن بن أحمد الورَّاق، حدّثنا علي بن موسى الحدّاد، و كان صدوقا، قال: كنت مع أحمد بن حنبل و محمد بن قدامة الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال

[١] نفس المصدر أعلاه، ج١، ص١٠٩. محقق الكتاب: عبد المجيد طعمة حلبي. الناشر: دار المعرفة – لبنان، الطبعة:- الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١.

[٢] "مسند أحمد بن حنبل". حديث صحيح، ج٥، ص:٢٦، رقم الحديث: ١٩٧٨٩. راجع "موسوعة الحديث- إسلام ويب".نص الحديث:عن معقل بن يسار أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-قال:"البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستُخرِجَت " لا إله إلا هو الحي القيوم " من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة "البقرة"، و "يس" قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله تبارك وتعالى والدار الآخرة إلا غفر له-واقرءوها على موتاكم".

[٣] "سنن أبي داود"، ج٣، ص:١٩١، رقم الحديث: ٣١٢١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٤] الكتاب": المبدع في شرح المقنع" لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: -٨٨٤هـ).كان-رحمه الله-من قضاة الحنابلة. من كتبه:"المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الامام أحمد"؛ و"المبدع بشرح المقنع"- فقه، أربعة مجلدات، طبع الاول منها؛ و"مرقاة الوصول إلى علم الاصول". من أعظم شروحه كتاب"المبدع" للإمام ابن مفلح، وقد سلك المؤلف في شرحه هذا مسلك المجتهدين في تحرير مسائله وذكر الأدلة من الكتاب والسنة ووجوه الاستنباط المتعددة مع تخريج موجز للأحاديث ونقل أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وتحرير المفتى به في المذهب، مع ذكر مختلف الروايات عن الإمام أحمد وأقوال علماء المذهب حتى عصر ابن تيمية، كل ذلك مع التحرير والتحقيق والتنقيح، فكان بحق من أهم شروح المذهب الحنبلي-نقلا عن موسوعة "المكتبة الشاملة". جاء في كتاب "المبدع بشرح المقنع" ج٢، ص٢٨٠ بعد ذكر الحديث أعلاه الذي ذكره أستاذنا سيدي الحاج أحمد حبيب-حفظه الله-ما نصه: "وصح عن ابن عمر أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها، ولهذا رجع أحمد عن الكراهة، قاله أبو بكر، وأصلها أنه مر على ضرير يقرأ عند قبر، فنهاه عنها، فقال له محمد بن قدامة الجوهري: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؛ قال: ثقة فقال: أخبرني مبشر عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر أوصى بذلك. فقال أحمد عند ذلك: ارجع فقل للرجل يقرأ"-إنتهى.

له أحمد: يا هذا ! إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل:- يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال ثقة، قال كتبت عنه شيئا؟ قال نعم، قال: أخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة و خاتمتها، و قال سمعت عبد الله بن عمر-رضي الله عنه-يوصي بذلك فقال له أحمد؛ فارجع و قل للرجل يقرأ[١]"-إنتهى. و قال الإمام النووي في كتابه "شرح المهذَّب" : "يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسَّر من القرآن و يدعو لهم عقبها"، نصّ عليه الشّافعي و اتّفق عليه الأصحاب، و قال في موضع آخر من شرح المهذّب: "و إن ختموا القرآن على القبر كان أفضل[٢]". و قال ابن مفلح في كتابه "الفروع": "لا تكره القراءة على القبر و في المقبرة[٣]" نصَّ عليه و اختاره أبو بكر و القاضي و جماعة، و هو المذهب ..." إلى أن قال: "و في شرح مسلم أن العلماء استحبوا القراءة عند القبر لحديث الجريدة لأنه إذا رجا التخفيف لتسبيحها فالقراءة أولى[٤]"-انتهى كلام ابن مفلح. و كلام العلماء في هذا الموضوع كثير جدًّا؛ فمن أراد أن يراجع ذلك فليراجعه في كتبهم الفقهية و موسوعاتهم العلمية، فإنّها متوفّرة لمن يطلبها، و لله الحمد-انتهى الجواب عن السؤال الثاني.

- **السؤال الثالث: ما حكم النذر بالذبائح عند أضرحة الصالحين؟ و هل لحم تلك الذبائح حلال يؤكل؟**

---

[١] جاء في "تحفة الأحوذي"، ج٣، ص٢٧٤-باب من دخل المقابر و قرأ سورة "يس"- تعقيبا لحديث؛ ۞من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات۞ ؛ و ها هو نصه:"وهذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلاً وأن المسلمين ما زالوا في كل مصر وعصر يجتمعون ويقرءون لموتاهم من غير نكير فكان ذلك إجماعا ، ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي في جزء ألفه في المسألة . انتهى ما في المرقاة بتقديم وتأخير"-إنتهى بتصرف.

[٢] "المجموع شرح المهذب"، ج٥، ص٢٩٤، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ).

[٣] الكتاب: "كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع" لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي. النص أعلاه موجود في ج٣، ص٤١٩– "المكتبة الشاملة"المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

[٤] نفس المصدر أعلاه؛ ج٣، ص٤٢٢ .

الجواب: اعلموا أيها السائلون الكرام أن النَّذر هو ما يوجبه الإنسان على نفسه و يكون إمَّا قربة لله عزَّ و جلَّ و إمَّا لأجلِ قضاء حاجة من الحوائج عند الله تعالى، فالوفاء بالنذر واجب لقوله تعالى:- ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧)[١]﴾-باستثناء عدم الاستطاعة و النذر بمعصية أو حرام لقوله-ﷺ: "فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، و لا فيما لا يملك ابن آدم[٢]". و أما المكان الذي يتم فيه النَّذر فهو غير محدَّد، بل هو موكول إلى أصحاب النَّذر أنفسِهم ما لم يكن في ذلك الموضعِ ما يغضبُ الله من المعاصي و المناكر.

فصل في شروط النّذر:

و للنّذرِ شروط لا بدَّ منها: أوَّلها أن يكونَ النَّذرُ خالصًا لوجه الله، سواءً كان ذبحا أو إطعاما أو صياما أو صدقةً؛ و الثّاني أن لا يكون في معصية؛ و الثالث أن يكون في حدود الاستطاعة لقوله تعالى:- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[٣]﴾؛ و لحديث النبي-ﷺ-الذي سبق؛ "فإنّه لا وفاء لنذر في معصية الله و لا فيما لا يملك ابن آدم". و أمَّا قولنا بعدم تحديد المكان الذي يتم فيه النَّذر و أنَّ هذا الأخير موكولٌ لأصحابه، فدَلِيلُنا على ذلكِ ما رواه أبو داود في سننه عن ثابت بن الضحاك؛ قال نذر رجل على عهد رسول الله -ﷺ-أن ينحر إبلاً ببوانة فأتى النبيَّ-ﷺ-فقال إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة فقال النبي-ﷺ: ﴿هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا! قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا! قال رسول الله -ﷺ: أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم﴾. و عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت النبي-ﷺ- فقالت يا رسول الله إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا-مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية، قال: لصنم؟ قالت لا، قال: لوثن؟ قالت لا، قال: أوفي بنذرك[٤]﴾.

---

[١] الإنسان.

[٢] "سنن أبي داود"، ج٣، ص:٢٣٨، حديث رقم:٣٣١٣، و النص المذكور أعلاه جزء من حديث و هو حديث صحيح. نص الحديث: عن يحيى بن أبي كثير قال حدثني أبو قلابة قال حدثني ثابت بن الضحاك قال نذر رجل على عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أن ينحر إبلا ببوانة فأتى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا! قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا لا! قال: رسول الله- صلى الله عليه وسلم:" أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم".

[٣] جزء من الآية ٢٨٦-سورة "البقرة".

[٤] ذكر أستاذنا - أحمد حبيب-رعاه الله- جزءا من الحديث و هو مذكور في "عون المعبود" لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، ج٩، ص:١٠٨، رقم الحديث:٣٣١٢-راجع "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".نص الحديث:- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالت يا رسول الله إني نذرت أن أضرب

و فيما أوردناه من النصوص الواضحة الجليّة في هذه القضية كفاية لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكورا. و موضع الدّلالة هنا هو أنّ النبيّ -ﷺ- أقرّ الرّجل الذي نذر أن يذبح إبلا على نيّته و إرادته بعد استفساره عن حال المكان فقال له "أوف بنذرك"؛ و قال للمرأة "أوفي بنذرك" و لم يعقب على إرادتهما؛ أي لم يقل لهما: لم لا تذبحان في منزليكما، أو في أهليكما؟ كما يفعله بعض المغرضين في زمننا، هدانا الله و إيّاهم إلى سبيل الحكمة و الرّشاد، آمين.

فصل في شروط تحلّة الذبائح التي تذبح عند مقامات الصّالحين:

و أمّا مسألة لحوم الذبائح التي تذبح عند مقامات الصَّالحين -هل هي حلال تؤكل؟ نقول للسائلين الميامين بعدما بيَّنا و أوضحنا لهم أن المكان في الوفاء بالنَّذر غيرُ مشروطٍ أو محدَّدٍ، بقي لنا الآن أن نعرف شروط الذبح، فنذكر منها ما يتعلق بالنَّذر، و أمّا كيفية الذَّبح فإنّها مبسَّطة في كتب الفقه. إذن للذبح المتعلق بالنذر شرطان؛ الأول أن يهل به صحبه لله وحده لا غير، أي يريد بذبيحته وجه الله؛ و الثاني أن يذكر عليه اسم الله لقوله تعالى: -﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ[١]﴾، و على هذا الأساس فإن توفر الشَّرطان فاللّحم حلالٌ طيّب -أينما كان و حيثما وجد و لا حرج فيه و لا على آكله. انتهى الجواب عن السؤال الثالث.

- **السؤال الرابع:**

و أما السؤال الرّابع المتعلّق بالتوسُّل بالنبي -ﷺ- و بعباد الله الصَّالحين من هذه الأمة، فنقول لإخواننا الأفاضل أننا تطرقنا لهذه المسألة الجليلة في "رسالة اليقين" مفصَّلَةً و بأدلَّةٍ واضحة و كافية شافية من الكتاب و السُّنة، فمن أراد الإطلاع عليها فليطلبها هنالك، و الرّسالةُ متوفرةٌ لدينا و تُهدى لمن يطلبها مجّانا، و الله لا يضيع أجر المحسنين.

انتهت بحمد الله و عونه الإجابة عن أسئلة إخواننا في العقيدة و الإيمان،و ما الفضل إلاّ من عند الله الكريم المنّان -و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و من والاه.

حررت في يوم ٢١ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - الموافق لـ ٢٨ يونيو ٢٠٠٥ م.

عبد ربه أحمد حبيب

على رأسك بالدف قال أوفي بنذرك! قالت إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا؛ مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية، قال: - لصنم؟ قالت لا! قال: لوثن؟ قالت: لا! قال: قال أوفي بنذرك!"

[١] جزء من الآية ١١٨ من سورة "الأنعام".

البَابُ السَّادِسُ:

رسالة القول المعروف لمن أنكر التصوف الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ[١]﴾، و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد السراج المنير الهادي إلى صراط الله المستقيم و على آل بيته الطاهرين و صحابته الميامين و سلم تسليما إلى يوم الدين.

من عبد ربِّه الحاج أحمد حبيب، صانه الله و سدد خطاه-آمين، إلى كافة إخواننا لله و في اللَّه من الذاكرين الشاكرين في جميع أنحاء المعمورة، السلام عليكم جميعا و رحمة الله و بركاته و أحيا الله قلوبنا و قلوبكم بنور معرفته و سر توحيده حتى نعرفه حق معرفته، و لا أماتها حتى يميت أجسامنا و قلوبُنا حيّة، و جعلنا الله و إياكم ممن يشترون نفوسهم بكل شيء و لا يبيعونها بشيء، و نسأله تعالى أن يعلمنا و إياكم من لدنه علما نافعا و أن يفهمنا عنه فهما واسعا و أن يفقهنا في الدين، إنه ولِّيُ المؤمنين و هو يتولى الصالحين.

إشتغال العامة بالقدح في عباد الله الذاكرين:

و بعد، اعلموا إخواني الأفاضل، وفقكم الله إلى قربه و رضاه أن معظم الناس من أمة الإسلام، و خصوصا في عصرنا الحاضر، قد خاضوا في التصوف الإسلامي خوضا لا يليق بالإسلَّام و لا بالمسلمين، فصاروا يشوِّهونه و يقبِّحون أهله بأباطيل مفتعلة ليس لها من الصحة شيء و إنَّما هي مجرد أهواء نفسانية و نزغات شيطانية ممقوتة عند الله و عند رسوله-ﷺ-و عند ذوي العقول السَّليمة من المؤمنين، قد زيَّنها الشيطان لضعفاء الإيمان ليزرع من خلالهم العداوة و البغضاء و النزاع بين المسلمين فيفسد عليهم أخوتهم الإيمانية-التي أنعم الله بها عليهم-و عزتهم و كرامتهم و مجدهم، و لكن مع الأسف الشَّديد، إنَّ الشَّيطان تسرَّب إلأفكار و ضمائر فئة من رجال الدّين فوجد أبوابها مفتوحة و دون حرس؛ و أعني بالأبواب هنا؛ أبواب القلوب؛ و أعني بالحرس، ذكر الله عز و جل. فالقلوب الخالية من ذكر الله هي مرتع لوسوسة الشيطان و تزيينه و إغرائه و تحريشه بين المسلمين؛ كما جاء في الحديث عن النبي-ﷺ-أنه قال: إن الشيطان يئس أن يعبد في أرض الإسلام، و لكنه لم ييأس من التحريش[٢] بين المسلمين[٣]- أو كما قال-ﷺ-و في حديث آخر قال: "إن الشيطان واضع

---

[١] جزء من الآية ٥٣ من سورة "فصلت".

[٢] التحريش: الإغراء و تحريض البعض ضد الآخر.

[٣] هذا معنى الحديث. و الحديث رواه مسلم، ج٤، ص:٢١٦٧، رقم الحديث: ٢٨١٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"؛ نصر الحديث: عن أبي سفيان عن جابر قال سمعت النبي- صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن الشيطان قد

خطمه-أي فمه-على قلب ابن آدم فإن ذَكَرَ الله خنس و إن نسي التقم قلبه[١]"؛ يعني استولى عليه. كما قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ[٢]﴾-ثم دخل بهم ميدان الغفلة و النسيان، و هناك يزين لهم سوء أحوالهم و أعمالهم و يدلهم على عورات الغير و عيوبهم، فينطلقون في ذلك متكالبين على هتك حرمات المسلمين و الوقوع في أعراضهم بغير حق، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! فعن مثل هذه التصرفات السيئة و الأعمال الرديئة نشأ الخلاف و النزاع الممزق لشمل أمة الإسلام، المشتت لوحدتها المشوَه لصورة الأخوة، أخوة الإسلام التي أعطاها رسول الله -ﷺ- اهتماما كبيرًا و اعتنى بها عناية عظيمة لا مزيدٍ عليها، فقال -ﷺ: ﴿ إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا[٣]﴾. و قال كذلك:"المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يخذله و لا يحقره، التقوى ها هنا-و أشار إلى صدره ثلاث مرات-بحسب إمرىء من الشّر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله و عرضه[٤]"-رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه.فإن من موجبات هذا الحديث المتضمن حماية و حفظ جميع حقوق الأخوة في

أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم". جاء في "شرح النووي على مسلم"، ج١٧، ص٢٩١ - "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب" في شرح هذا الحديث: قوله-صلى الله عليه وسلم : "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم"-هذا الحديث من معجزات النبوة، وقد سبق بيان جزيرة العرب، ومعناه:- أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ، ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها. إنتهى. و جاء كذلك في "مجمع الزوائد و منبع الفوائد"، ج٣، ص:٢٦٦-نفس الموسوعة-ما نصه:" ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون، ولكنه في التحريش بينكم..."إنتهى بتصرف.

[١] جاء في "فتح الباري شرح صحيح البخاري"لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي-رضي الله عنه، ج٦،ص:٦٤٨- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب" ما نصه: عن أنس عند أبي يعلى وابن عدي ولفظه:" إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم"-الحديث ، وأورد ابن أبي داود في " كتاب الشريعة " من طريق عروة بن رويم- " أن عيسى عليه السلام سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم ، قال فإذا برأسه مثل الحية واضع رأسه على ثمرة القلب ، فإذا ذكر العبد ربه خنس ، وإذا غفل وسوس."

[٢] جزء من الآية ١٩ من سورة "المجادلة".

[٣] "صحيح البخاري"، ج٥، ص: ٢٢٥٣، رقم الحديث: ٥٧١٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٤] عن أبي هريرة قال؛ قال- رسول الله-صلى الله عليه وسلم:" لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا-ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"-صحيح مسلم، ج٤، ص:١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٥٦٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

الله أن يسعى كل مسلم يؤمن بالله و اليوم الآخر جادّا في إصلاح هذه الأخوة و تقوية أواصرها من ألفة، و محبة، و مودة، و إصلاح ذات البين التي هي أفضل من درجة نوافل العبادات، مثل الصلاة و الصوم و الصدقات، لكن الناس نيام ساهون غافلون عن سعادتهم، قد أعماهم حب الظهور و الغلبة و الانتصار على من سواهم من أفراد و جماعات من أهل الخير من المؤمنين، و نسوا بل تناسوا أن الواجب المؤكد المطلوب في مثل هذه الحالات هو الفرح و السرور و الاعتزاز بمن يسارع في الخيرات من عباد الله الصالحين مع التماس محبتهم و مودتهم للفوز معهم و لنيل الفضل و الشرف عند الله، و لو مع العجز عن إدراك منازلهم العالية، لما جاء في الأثر أن أحد الصحابة –رضوان الله عليهم–و أظنه أبا ذر الغفاري–جاء إلى رسول الله –ﷺ– فقال يا رسول الله إن الرجل يحب القوم و لم يقدر أن يعمل أعمالهم فقال له –ﷺ–:أنت مع من أحببت أو قال المرء مع من أحب[٥]!

انتبهوا أيها الإخوان و تفطنوا إلى ما في هذا الأثر الشريف من فوائد و منافع، فإن من مزايا هذا الأثر أنه من أحب الصالحين و هو ضعيف الحال قليل العمل فإن الله–جل جلاله–يلحقه بمنازلهم و يحشره معهم يوم القيامة بفضل محبتهم لقوله لهذا الصحابي "أنت مع من أحببت"، و لحديث الأعرابي الصحيح الذي سأل فيه عن قيام الساعة، فقال له رسول الله –ﷺ–:ماذا أعددت لها ؟ فقال الأعرابي ما أعددت لها من صلاة ولا صيام و لكنّي أحبُّ الله و رسوله، فقال له رسول الله–ﷺ–المرء مع من أحب! فقال راوي الحديث، أنس بن مالك–رضي الله عنه–: ما فرحنا بعد فرحة الإسلام بشيء أشد من فرحنا بهذا الحديث،ثم قال: إنّي أحب الله و رسوله و أبا بكر و عمر و أرجو أن أكون معهم[٦]!

---

[٥] انظر "مسند الإمام أحمد"، ج٤، ص٣٩٨، رقم الحديث: ١٩٠٦١–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب". نص الحديث: عن أبي موسى–قال جاء رجل إلى النبي– صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: المرء مع من أحب!" جاء في "صحيح البخاري"، ج٤، ص:٢٢٨٣–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب" ما نصه: قال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه– جاء رجل إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب!

[٦] "صحيح البخاري"، ج٣، ص:١٣٤٩–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".نص الحديث: عن أنس–رضي الله عنه–أن رجلا سأل النبي– صلى الله عليه وسلم– عن الساعة؛ فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله– صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت مع من أحببت! قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي–صلى الله عليه وسلم–أنت مع من أحببت! قال أنس: فأنا أحب–النبي صلى الله عليه وسلم– وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

من أسباب إنحراف الأمة عن صراط الأولين:

و أما الذي نراه الآن في مجتمعنا الإسلامي من فساد و انحراف و انحطاط و تنازع فيما بين الأفراد و الجماعات؛ فالسبب في ذلك كله، هو الخروج عن الأصل و الابتعاد عنه؛ و أعني بالأصل هنا ما جاء به الحبيب المصطفى-ﷺ-من عند الله-عز و جل-من الدِّين الخالص الذي ألّف به بين طائفتين عظيمتين-ألا و هما الأوس و الخزرج، فأصبح أهل الطائفتين بنعمة الإيمان إخوانا متحابين، متوادين؛ كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى.

فإذا نظرنا إلى تلك الحياة الطيبة، حياة العزة و الكرامة الزاخرة بمحاسن الأخلاق و الخصال الحميدة و المستفيضة بجميع أنواع البر و الإحسان و الاستقرار النفسي و السَّكينة و الاطمئنان ، وجدنا أنها كانت حقًّا حياة الصحابة التي عاشوها مع الحبيب المصطفى-ﷺ-و بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كانوا هم الرجال الذين قال الله تعالى في حقهم:﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**(٣٢)[١]﴾؛ فهم الأصفياء الأتقياء و هم صفوة الله من خلقه بعد أنبيائه و رسله، الذين ربَّاهم سيِّد ولد آدم-ﷺ-في مدرسته الربانيّة، مدرسة النبوّة، فكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يؤمنون بالله. ثم ظهر هذا الصفاء في التابعين الذين أخذوا عن الصحابة و تربّوا على أيديهم و سلكوا مسلكهم السليم، فالصحابة أخذوا عن رسول الله-ﷺ-و التابعون أخذوا عن الصحابة، و ذلك عملا بقوله ﷺ -:"عليكم بسنتي و سنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي-عضوا عليها بالنواجذ[٢]."

من هم الصوفية؟

إن التابعين الذين أخذوا علومهم و تربيتهم و آدابهم عن الصحابة و سلكوا على أيديهم هُمُ الصوفيةُ حقّا، سواء ظهر عليهم اسم التصوف أو لم يظهر؛ فإنهم أخذوا الصفاء من أصله أي من الأصفياء الذين ما بدَّلوا و ما غيَّروا؛ و بعبارة أخرى، إن الصحابة لم يأخذوا عن أفكارهم و لا عن

---

[١] الأحزاب.

[٢] عن العرباض بن سارية ، قال : صلى لنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-صلاة الصبح ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا! قال: " أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة"-انظر "المستدرك على الصحيحين" لأبي عبدالله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ج١، ص:٢٨٨، رقم الحديث: ٣٣٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب."

عقولهم و إنَّما أخذوا بقلوبهم من مشكاة النبوة مباشرة، و لما كانوا على مستوى عالٍ من الطهارة الكاملة و الصفاء التام فإنهم لم يكدروا و لم يشوبوا ما أخذوه من مشكاة النبوة بشيء من أنفسهم بل أبقوه على أصله، فكان أخذ التابعين عن الصحابة أخذا من الأصل، فكأنهم أخذوا عن النبي-ﷺ! صاروا هم كذلك أصلا و أعطوا ذلك الصفاء لتابعي التابعين صافيا وافيا، ثم إن هذا الصفاء بعد عصر الصحابة اشتهر في التابعين و تابعي التابعين فسُمُّوا صوفية لشدة صفاء قلوبهم مع الله-جَلَّ جَلَالُهُ-و هكذا جرت سنة الله في خلقه أن ينتقل ذلك الصفاء و يسري في عباد الله المؤمنين من سلف إلى خلف إلى يوم الدين-فالصوفية الأصليون هم من الصحابة من حيث أنهم يتمتعون بما كان عليه الصحابة-رضي الله عنهم-من الصدق مع الله و الإخلاص لوجه الله و الوفاء بعهده و الزهد في الدنيا و فيما في أيدي الناس؛ فبذلك أحبهم الله و أحبهم الناس. و لست أعني بالزهد ترك الدنيا، و إنما أعني به إخراج محبتها من القلب، و أما قولي؛ الصوفية الأصليون هم من جملة الصحابة، فإني أعني بذلك معنى قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ -أي من الصحابة-﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ[1]﴾ أي لم يأتوا بعد؛ فإن التابعين لم يلحقوا بالصحابة وقت نزول الآية، إنما لحقوا بهم فيما بعد، و هكذا يبقى معنى الآية في أهل الحق مشرقا يشع نوره من خلال أعمالهم الخالصة و معاملاتهم الحسنة و هم ثابتون على الحق لا يضرهم منٍ عاداهم إلى يوم الدين. فالتصوف عندنا هو ذلك الدِّين الخالص الباقي على أصله في قلوب العلماء بالله و الربَّانيين من عباد الله الذين ذكرهم في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ[2]﴾. فهؤلاء هم الصوفية و أحوالهم الزكية المرضية هي التصوف المبني على العلم النافع في الباطن، و على العمل الصالح في الظاهر، فالصوفي هو الجامع بين هذين الركنين العظيمين، كما قال بعضهم:- "التصوف هو علم نافع في القلب و عمل صالح على ظاهر العبد". فالعلم النافع هو العلم اللّدني و يسمى بعلم القلوب و كذا بالموهوب و موضعه القلب و علامة وجوده الخشوع الحقيقي الذي جعله الله تعالى صفة و نعتا للعلماء بالله فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ[3]﴾. هكذا ميَّز الله عباده العلماء عن غيرهم من علماء الدنيا و قد شرح ذلك و بين معناه أحسن تبيين ابن عطاء الله-رحمه الله-في حكمه حيث يقول:- "الخشوع الحقيقي هو ما كان ناشئاً عن شهود عظمته و تجلي صفاته". و أما الخشوع غير الحقيقي

---

[1] جزء من الآية ٣ من سورة "الجمعة". الآية: "وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)".

[2] جزء من الآية ٧٩ من سورة "آل عمران".

[3] جزء من الآية ٢٨ من سورة "فاطر".

فهو خشوع التَّصنع الذي قال في حقه الصحابي الجليل أبو هريرة-رضي الله تعالى عنه و أرضاه-"أعوذ بالله من خشوع النفاق[١]"، و علامته المبالغة في لين الكلام و إظهار التَّخشع و التماوت في المشي. فهذه المظاهر كلها لا تليق بالمؤمن القوي في إيمانه و لا تصلح له، و ذلك لأن الخشوع موضعه القلب و خاص بالرب عز و جّل، كما عرفه أحد العلماء فقال:و قال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى:- ﴿وَ عِبَادُ الرحْمَانِ الذينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا(٦٣) [٢]﴾-أي يمشون من غير استكبار و لا مرح و لا أشر و لا بطر. و ليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعا؛ و قد روي عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-أنه رأى شابا يمشي بتضعّف فقال:- ما بالك أأنت مريض؟-قال: لا يا أمير المؤمنين، فَعَلاَهُ بِالدِّرَّةِ[٣] و أمره أن يمشي بقوة"-إنتهى.

الأعمال بين صفاء و كدر:

و ليعلم الإخوان أن كل شيء يصدر من الإنسان في ظاهره و باطنه لا يخلو أبدا من أن يكون إما صافيا و إما كدرا مشوبا، و يكون ذلك حسب طهارة و صفاء نفس الإنسان، لأنه ما من شيء يأتي من عند الله إلا و يأتي صافيا محضا و بعد دخوله على الإنسان إما أن يبقى خالصا و إما أن يتغير بطاهر أو بنجس:-

---

[١] عن أبي الدرداء أنه قال : تعوذوا بالله من خشوع النفاق ، قال : قيل : يا أبا الدرداء ، وما خشوع النفاق ؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع. أنظر "مصنف ابن أبي شيبة"، ج٨، ص:٣٢٠، حديث رقم:١٩٠. "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".و جاء كذلك في " نوادر الأصول في أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم" للحكيم الترمذي (المتوفى نحو٣٢٠هـ)، ج٣، ص:٢١٠ ، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل-بيروت (و الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة" الرقمية) ما نصه:"عن مَالك بن أنس-رضي الله عنه-قال خطبنا أبو بكر الصّديق رضي الله عنه-فقال؛ قال رسول الله-صلى الله عليهِ وسلم: تعوذوا بِاللَّه من خشوع النِّفَاق! قيل يَا رَسُول الله؛ وَمَا خشوع النِّفَاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق الْقلب. و عَن أبي هريرة رَضِي الله عَنهُ أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-رأى رجلا يعبث بلحيته فِي الصَّلَاة-فقال :"لَو خشع قلبه لخشعت جوارحه". قال أبو عبد الله: فخشوع الْقلب من الْمعرفة فكلما كان أوفر حظا من الْعلم بِاللَّه والمعرفة بآلائه كان أخشع فأثقال الْمعرفَة حلت بالقلب فأدت الْقلب إلى ثلاث: خشعة وخضعة وذلة؛ فالذلة، الحذر؛ والخضعة، اللين؛ والخشعة، الانكسار والانحناء. فهذه صفة الْقلب وأما صفة النفس تحت أثقال الْقلب فلهَا الخمود مَكَان ذلة القلب والانثناء مكان الخضعة والتهافت والتهاتر كالرمل مكان الخشعة كما وصف الله تعالى فِي كِتَابه الْجبَال؛ فقال: "وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مهيلًا"-أي رملا ينهار ويتساقط."-إنتهى.

[٢] الفرقان.

[٣] القصة مذكورة في "تفسير ابن كثير"، ج٦، ص:١١٠-"المكتبة الشاملة". الكتاب: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين،الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون-بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

- أ) أما الطاهر فهو عبارة عن الشهوات النفسية و الحظوظ البشرية و حب الاستمتاع بزهرة الحياة الدنيا في غير إثم و لا معصية مع الغفلة عن ذكر الله و التقرب إليه بالنوافل؛ فإن هذا القسم ينتفع به في الدنيا فقط كمثل الماء الطهور إذا اختلط بطاهر فإنه يصلح للعادة مثل الطبخ و الشرب و لا يصلح للعبادة مثل الوضوء و الغسل من الجنابة اللذان هما من شروط آداء الصلاة التي هي أفضل عمل يتقرب به العبد إلى الله، فإذا تغير بذلك الطاهر فلا يصلح للعبادة و إن لم يتغير فإنه يجوز استعماله للعادة و للعبادة؛

- ب) و أما إذا اختلط الماء بنجاسة، و أعني بالنجاسة هنا المعاصي و الآثام و الفسوق، فإن هذا القسم لا ينتفع به في الدنيا و لا في الآخرة و يكون مآله الخسران المبين، إلا من تاب و آمن و عمل صالحا فإن الله غفور رحيم، و ذلك كمثل الماء الطهور إذا اختلط بنجس و تغير به فإنه لا يصلح لا للعادة و لا للعبادة، فإن الحق عز و جل ما حرم المعاصي و الآثام و جعلها ممقوتة إلا لمضارها المادية و المعنوية على السواء، فإن لم يمس الضرر البدن و العقل مامس حتما أحدهما.

و أما قولنا كل شيء يأتي من عند الله يأتي طاهرًا محضا؛ فإننا نعني بذلك نعمه و فضله و إحسانه، و الحقيقة أن جميع ما عند الإنسان من الخير هو من عند الله، لقوله تعالى:﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾. و لقد حذرنا الله تعالى من تغيير نعمته و توعدنا بالعذاب الشديد فقال-جل جلاله:- ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ[١]﴾.

العناية بوحدة المسلمين في زمن الصحابة و اهتمامهم بطهارة القلوب:

إنَّ من فوائد الأثر السابق أن الصدر الأول من صُلَّاح هذه الأمة و هم الصحابة-رضي الله عنهم-بلا شك و لا خلاف، قد كانت لهم عناية كبيرة و حرص و اهتمام شديدين على تقوية أواصر وحدة الأمة مع المحافظة على أسسها القوية المتينة و ذلك بما كانوا يتمتعون به من أخوة صادقة و بذل و إيثار و تعظيم فيما بينهم، و كيف لا يكون فيهم ذلك التعظيم و هم الذين نقلوا إلينا بالسند الصحيح قوله-صلى الله عليه وسلم: "بحسب امرىء من الشَّر أن يحقر أخاه المسلم[٢]!"

---

[١] جزء من الآية ٢١١ من سورة "البقرة".

[٢] جزء من حديث صحيح رواه مسلم. انظر "صحيح مسلم"، ج٤، ص١٩٨٧، رقم الحديث:٢٥٦٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

تنبيه: الحديث في الصفحة التالية: ذكر الأستاذ هنا معنى الحديث. و الحديث رواه الإمام البخاري-رضي الله عنه-في صحيحه.انظر "صحيح البخاري"، ج١، ص:٢٩، رقم الحديث:٥٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن عامر قال :سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله-صلى الله

و اعلموا أيها الأحباب في الله أن الذي ذكرناه لكم في هذا الفصل من هذه الرسالة إنما هو ثمار الإيمان و التقوى اللذين موضعهما القلب و بهما فقط تصلح القلوب لا بغيرهما. فإذا صلحت القلوب صلح المجتمع كله، لقوله-ﷺ:"إذا صلح القلب صلح الجسد كله[١]"، و كذلك أنه:"لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها[٢]".

الخشوع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته و تجلي صفاته:

الخشوع هو تذلل القلوب لعلام الغيوب-سبحانه وتعالى-فإن النعمة كلها من عند الله و موضع ظهورها و استعمالها هو الإنسان. فإن كان هذا الأخير نظيفا طاهرًا من كل وصفٍ مذموم فإنَّه يكون مثل الزجاج الأبيض الأصلي الشفاف يعطي كل شيء حلَّ فيه أو قابله وصفه الحقيقي بلا لونٍ و لا زيادة و لا نقصان. إذن فالصوفي لشدة طهارة قلبه و زكاة نفسه و صفاء حاله مع ربه، صار مظهرًا صرفًا لنعم الله و فضله و إحسانه، و بهذا يكون دالا على الله بحاله و مقاله و عمله؛ و هذا هو العبد الصالح حقا الذي ليس للشيطان إليه سبيل، و لا له عليه سلطان، و ذلك لأن هذا العبد الصالح قد تطهر طهارة كاملة شاملة من جميع مطامع الشيطان، و مطامع الشيطان هي أحوال الإنسان النفسانية مثل الشهوات، و الإنسان بين أمرين؛ إما أن يكون ربانيا؛ و إما نفسانيا. فإن كان ربانيا فلا سلطان للشيطان عليه؛ و إن كان نفسانيا كان عرضة لسهام إبليس التي لا نجاة للمؤمن منها إلا بالفرار إلى الله و التحصّن بذكره جلَّ ثناؤه، كما جاء في الصحيح عن النبي-ﷺ-أنه قال: "إن الله أوحى إلى يحي بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن و أن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن"-و نقتصر هنا على الكلمة الخامسة و هي:".....و أمركم بذكر الله كثيرا، و مثل ذلك كرجل طلبه العدو سراعا في أثره حتى أتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه، و كذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله تعالى[٣]....."-رواه أصحاب السنن و قالوا صحيح على شرط البخاري و مسلم -رحمهما الله.

عليه وسلم:"يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس؛ فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه! ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه! ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله-ألا وهي القلب!"

[٢] سبق تخريجه و الكلام منسوب للإمام مالك بن أنس-رضي الله عنه. انظر"شرح الطحاوية لسفر الحوالي"، ج١، ص:٩. الكتاب:"شرح العقيدة الطحاوية"-المؤلف: سفر بن عبد الرحمن الحوالي-"المكتبة الشاملة".

[٣] انظر "صحيح ابن خزيمة"، ج٢، ص:٩١٥-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن الحارث الأشعري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال : " إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأتاه عيسى-فقال : إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن، ويأمر بني إسرائ يل أن يعملوا بهن ، فإما أن تخبرهم ، وإما أن أخبرهم-فقال : يا أخي، لا تفعل، فإني أخاف أن تسبقني بهن أن يخسف بي،

فإن من تروَّى في شأن هذا الحديث و تأمل فيه جيداً؛ فإنه بلا شك يجد ضالته، أي نجاته التي بها سعادته و الفوز برضوان الله في جنة الخلد، و اعلموا أيها الأحباب أن حقيقة السعادة لا تحصل إلا بالأمن و الاطمئنان و راحة البال و هذه الأمور لا تتحقق إلا بذكر الله الكثير، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ[1]﴾، و في الحديث الذي تقدم ذكره؛ "العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله تعالى". وكذلك لا يستقر ضمير العبد و لا يهدأ باله إلا بالخروج من أماكن الظلمات و مواضع الخوف و الوحشة و الابتعاد عنها، و هذا أيضا لا يتحقق إلا بذكر الله ﷻ -لقوله عزَّ من قائل:- ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)هو الَّذِي يُصَلِّي عليكُم وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(٤٣)[2]﴾.

من فوائد الذكر:

فإننا من خلال هذه الآيات و الأحاديث الواردة في فضل الذكر و مزاياه، ندرك تمام الإدراك أن الحياة في عالم النور هي الحياة السعيدة التي لا شقاء فيها و لا بعدها؛ ما دام صاحبها ذاكرا لله شاكرا لأنعمه و أن للذكر فوائد كثيرة جدًا لا يمكن ذكرها كاملة في هذه الرسالة المختصرة،

أو أعذب . قال : فجمع بني إسرائيل ببيت المقدس ، حتى امتلأ المسجد ، وقعدوا على الشرفات، ثم خطبهم فقال : إن الله أوحى إلي بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن؛ أولهن: أن لا تشركوا بالله شيئا–فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله ، بذهب أو ورق ، ثم أسكنه دارا، فقال : اعمل وارفع إلي، فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ فإن الله خلقكم ورزقكم، فلا تشركوا به شيئا، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا–فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت؛ وآمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك، كلهم يحب أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك؛ وآمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقربوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول : هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه؛ وآمركم بذكر الله كثيرا، ومثل ذكر الله كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره، حتى أتى حصنا حصينا، فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله " قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– : " وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن : ١) الجماعة؛ ٢) والسمع؛ ٣) والطاعة؛ ٤) والهجرة؛ ٥) والجهاد في سبيل الله، ومن فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإيمان والإسلام من رأسه ، إلا أن يراجع ، ومن ادعى دعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم!" قيل : يا رسول الله ، وإن صام وصلى؟ قال :"وإن صام وصلى، تداعوا بدعوى الله الذي سماكم بها المؤمنين المسلمين عباد الله " .

[1] جزء من الآية ٢٨ من سورة "الرعد".

[2] "الأحزاب".

و نظرًا لمسيس الحاجة إليها نذكر البعض منـها ترغيبا و تشويقا للإخوان عسى أن يفوزوا بقرب من الرحمن:-

لقد ذكـر الشيخ ابن القيم الجوزية[١]-رحمه الله في كتابه؛ "الوابل الصيب من الكلم الطيب" أُكثر من مائة فائدة و أنا أذكر لكم منها جملة مفيدة إن شاء الله لتكونوا من الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات؛ قال-رحمه الله: "الذكر يرضي الرحمن، و يطرد الشيطان، و يزيل الهم، و يجلب السرور، و ينور القـلب و الوجه، و يورث محبة الله تعالى التي هي روح الإسلام، و يورث المعرفة و الإنابة و القرب و حياة القلب، و ذكر الله للعبد، و هـو قوت القلب و روحه، و يحط الخطايا، و يرفع الدرجات، يحدث الأنس، و يزيل الوحشة، و ينجي من عذاب الله، و يسعد الذاكر، و يسعد به جليسه، و هو أيسر العبادات و أفضلها، و هو نور للعبد في دنياه و في قبره و يوم الحشر، و به تخرج أعمال العبد و أقواله و لها نور، و هو رأس الولاية و طريقها، و ينبه القلب من نومه و يثمر المعارف و الأحوال الجليـلة، و الذاكر قريب من مذكوره، و الله معه و أكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله، و يوجب صلاة الله و ملائكته على الذاكر، و مجالس الذكر هي مجالس الملائـكة و رياض الجنة، و جـميع الأعمال إنما شرعت لإقامة ذكر الله تعالى[٢]" –انتهى ما تيسر ذكره من كلام ابن القيم–رحمه الله.

و إننا إذ نقلنا هذه الفوائد عن ابن القيم و لم ننقلها عن علمـاء التصوف مع أن كتبهم زاخرة بمعاني الذكر و أسراره و منافعه و فضائله الكثيرة؛ إنما فعلناه لأمرين اثنين:-

- أ) ليعلم الإخوان و غيرهم ممن يطلع على هذه الرسالة أن ذكر الله واجب على كل مسلم يشهد أن لا له إلا الله و أن محمداً رسول الله؛ و هو مشروع بالقرآن الكريم و السنة المطهرة الصحيحة و لا يوجد أي خلاف بين المسلمين في مشروعيـته و يستحب العمل به في جميع حالات المؤمن التي يتحول

---

[١] ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (٦٩١ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. وهو الّذي هذب كتب ابن تيمية ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. وألّف تصانيف كثيرة منها؛ "إعلام الموقعين – ط"؛ و "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية – ط"؛ و "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – ط"؛ و"كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء – خ"-إنتهى بتصرف من "الأعلام للزركلي"–"المكتبة الشاملة".

[٢] الكتاب:"الوابل الصيب من الكلم الطيب"، ج١، ص:٤١، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م–"المكتبة الشاملة" الرقمية.

فيها أو يتقلب فيها من قيام و قعود و مشي و اضطجاع و سر و جهر و جماعة وانفرادٍ إلى آخر حالات العبد المؤمن، و ذلك لأن الشرع الكريم لم يقيد الذكر بحالات خاصة، بل جعله مطلقا و أمر بالإكثار منه على كل حال و أن كل طاعة لله-عَزَّوَجَلَّ-تدخل ضمن الذكر؛ لقوله-ﷺ -:﴿من أطاع الله فقد ذكره و إن قلت صلاته و صومه و تلاوته[١]﴾، و أما الذي ذهب إليه بعض أهل العلم من تقسيم الذكر إلى قسمين؛ إلى ذكر مشروع؛ و ذكر غير مشروع و تقييده، أي الذكر، بالسر دون الجهر و بالإفراد دون الجماعة، فهذا من الأمور الاجتهادية و هم قد تأولوها بأفكارهم و بما أوتوا من علم و دراية، و من حقهم أن يلتزموا بها، فإن أصابوا فلهم و إن أخطأوا فعليهم، و لكن ليس لهم الحق أن يلزموا غيرهم بها أو يجبروهم عليها. هذا هو الإنصاف و الاعتدال في الأمر، و غيره يكون جورًا و تعسفًا.

- ب) قد فعلنا ذلك أيضا سدا للذريعة على وسوسة الشيطان لئلا يتسرب الوسواس الخناس إلى عقول و أفكار ضعفاء الإيمان فيقول لهم لو كانت هذه الفوائد صحيحة لذكرها خصوم الصوفية من أهل العلم في كتبهم، و إنما ذكرها الصوفية في كتبهم لأجل أن يجلبوا الناس إلى مذهبهم و لتكثير أتباعهم و لتحقيق أغراضهم، و قس على ذلك من التلبيس و التشكيك في صالح الأعمال، نعوذ بالله من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة و الناس.

منهج الصوفية:

و أما الصوفية الحقيقيون-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-فإنهم أقبلوا على الله في بدء الأمر بالتعلم لأنهم علموا يقينا أن الله لا يعبد بدون علم و بعدما تعلموا أقبلوا علي قلوبهم بتطهيرها و تخليصها مما يفسد عليهم العمل و يغضب عليهم الرقيب؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا[٢]﴾- أي مطلعا على السرائر و الظواهر فأيما قلب يراه مؤثرا له حفظه من طوارىء المحن و مضلات الفتن؛ قال رسول الله -ﷺ: ﴿إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، و لكن ينظر إلى قلوبكم[٣]﴾-رواه مسلم-رحمه الله. فإن الصوفي الذاكر المستهتر بذكر الله عز

[١] جزء من حديث؛ و الحديث مذكور في " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"ج٢، ص٢٥٨، رقم الحديث: ٣٥٥٩، المؤلف- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، موضوع المرجع: متون الحديث، عدد الأجزاء: عشرة أجزاء، الناشر: مكتبة القدسي-انظر "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٢] جزء من الآية رقم ١- من سورة "النساء".

[٣] جزء من حديث صحيح؛ انظر "شرح النووي على مسلم"، ج١٦، ص:٣٩-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

وجل، أي المولع به ينظر إلى الله بعين قلبه كأنه يراه لشدة قربه منه و لصفاء سريرته أو بصيرته، قال رسول الله -ﷺ: ﴿اعبد الله كأنك تراه[١]﴾، و في حديث آخر: "المؤمن ينظر بنور الله[٢]" و لا يصل أحد إلى هذا السمو الإيماني و الصفاء الروحي و القرب الوجداني الذوقي إلا بالتربية الصحيحة و السلوك السليم الخالي من الأغراض الدنيوية و الحظوظ النفسانية و الأطماع المادية؛ فإن الصوفية قد سلكوا طريق الذكر بمعناه الواسع الشامل لجميع ما جاء به النبي-ﷺ-من عند الله من توحيد و برٍّ و تقوى إلى آخره، و لازموا ذلك السلوك الجيد المستقيم بجدٍ و صدق تقربا إلى الله عز و جل و رغبة فيما أعدَّه لعباده الصالحين مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، حتى وصلوا بمنه تعالى و كرمه إلى الحياة بالله، حياة القلوب، حياة الذوق و الوجدان و الشهود و العيان، حياة الخروج من الظلمات إلى النور، حياة الذكر الدائم؛ ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ[٣]﴾؛ ﴿مثل الذي يذكر ربه و الذي لا يذكر ربه مثل الحي و الميت[٤]﴾ -حديث شريف؛ و قال تعالى:- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ (٧٣)[٥]﴾؛ يعني قلبا حيا منيبا، أوَّابا يفهم عن الله الخطاب؛ و قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(٣٤)[٦]﴾ .و أما أصحاب القلوب الغافلة عن الله القاسية من ذكره فهؤلاء أضل سبيلا من الأنعام،

و روى كذلك الطبراني في "المعجم الكبير"، ج٣، ص: ٢٩٧، رقم الحديث: ٣٤٥٦-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"، الحديث: عن أبي مالك ، قال ؛ قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أحسابكم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إلي أتقاكم".

[١] جزء من حديث صحيح؛ رواه الإمام أحمد؛ "مسند الإمام أحمد"، ج٢، ص:١٣٢، رقم الحديث: ٦١٢١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"،نص الحديث: عن عبد الله بن عمر قال أخذ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ببعض جسدي فقال: اعبد الله كأنك تراه وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل".

[٢] جزء من حديث مذكور في "سنن الترمذي"، ج٥، ص: ٢٧٩، رقم الحديث: ٣١٢٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب": عن أبي سعيد الخدري قال؛ قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله-ثم قرأ؛ "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ" .

[٣] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

[٤] "صحيح البخاري"، ج٥، ص:٢٣٥٣-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٥] من سورة "ق".

[٦] "الأحزاب".

قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)[١]﴾-فمعناه يقتضي أن الذاكرين الله هم على عكس ذلك، فهم يفقهون و يسمعون و يبصرون و يفعلون ما يؤمرون؛ و ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ[٢]﴾، و هذا الشطر الأخير من الآية السابقة ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾؛ إنما هو حال الذاكرين، فكان وصفهم التذكر لأنهم في حضرة الذكر و غفلتهم فيها خفيفة لا تحجبهم عن عظمة المذكور-جَلَّ جَلاله، و هكذا المؤمن التقي يعيش في حضرة القرب ذاكرا شاكرا مرتاح البال في حصن حصين أمين من وسوسة الشيطان و إغوائه أو غوايته، و ذلك من حيث أن حضرة القرب تقتضي دوام شهود آيات الحق و الشعور بمعيته المطلقة المنزهة عما يظنه الجاهلون الغافلون، و لما كان حال المقربين صفاء محضا كانوا هم الأصفياء الأتقياء و قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة؛ أي من كل فتنة، و هؤلاء هم السعداء حقا لقوله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:﴿إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواهاً[٣]﴾.

التنبيه إلى خطر الفتنة في الدِّين على المؤمن:

فليعلم الإخوان الصوفية علما يقينا أن الفتنة هي أشد ضرراً بالمؤمن من أي شيء و من أي عدو مهما كان خطره؛ و لست أعني بالفتنة هاهنا فتنة الرجل في ماله و أهله و جاره،و لكن أعني فتنة الاختلاف في الدِّين، كما أنني لا أعني الاختلاف في الدِّين؛ الاختلاف الاجتهادي في المسائل الفقهية أو الأحكام الشرعية؛ و إنما أعني الاختلاف المسموم الذي يبطش بوحدة أمة الإسلام فيهلكها، أو قل يمزِّقها و يشتتها ثم يزرع في قلوب أفرادها سُمَّ العداوة و البغضاء، ذلك السُّم القاتلَ للرّوح الإيمانية التي هي أصل حياة المؤمن أو قل جذر حياته السعيدة، فإذا تمكّن هذا الداء العضال من جسم الأمّة الإسلامية و فشا في جلّ أفرادها فحينئذ يصيبها الفشل و تذهب ريحها أي قوّتها فتصبح كغثاء السّيل لا وزن لها بين الأمم و المجتمعات المتقدمة ذات السيادة؛ و مع الأسف الشديد، قد وقع المحظور-نسأل الله السلامة و العافية. و هذا لا يعني بأي حال نفاد أهل الحقّ من الوجود، بل هم باقون ثابتون

---

[١] من سورة "الأعراف".

[٢] جزء من الآية ٢٠١ من سورة "الأعراف".

[٣] حديث حسن. "سنن أبي داود"،ج٤، ص:١٠٢، حديث رقم: ٤٢٦٣-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

على الحق إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، فلا تضرّهم فتنةٌ ما دامت السّموات و الأرض، كما جاء في صحيح الحديث، و لمزيد الفائدة؛ أنقل لكم البعض من الأحاديث الواردة في الفتنة، فعن حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-قال، كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلّكم تعنون فتنة الرجل في أهله و ماله و جاره؟ قالوا: أجـل، قال تلك تكفّرها الصّلاة و الصّيام و الصّدقة، و لكن أيّكم سمع النبي-صلى الله عليه وسلم-يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القـومُ، فقلت: أنا! قال: لله أبوك! قال حذيفة: سمعت رسـول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول:"تعرض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيضَ مثلِ الصَّفَا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَادًّا كَالْكوزِ مُجَخِّيًا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أُشرِب من هواه[١]"- إلى آخر الحديث.

إذن، فبعد تأمُّل هذا الحديث و فهم معانيه، فلا عجب و لا غرابة من وجود المتعصّبين لفتنتهم المؤيدين لها بتـأويل بعض الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية كما قال عبد الله بن عمر-رضي الله عنه-في رؤوس الفتنة-"الخوارج"-، أنهم ذهبوا إلى آيات من كتـاب الله نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين[٢]، و قولنا رؤوس الفتنـة: أي أصولها؛ كما أخبرنا عن ذلك من لا ينطق عن الهوى-صلى الله عليه وسلم- فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه-أن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان يقسم مـغانم فجاء رجل كثّ اللحية مشرف الوجنتين

---

[١] جزء من حديث في "صحيح مسلم"، ج١، ص:١٢٨-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث:- عن حذيفة؛ قال كنا عند عمر فقال أيكم سمع رسول الله-صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن؟ فقال قوم نحن سمعناه فقال لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره! قالو:ا أجل! قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. ولكن أيكم سمع النبي-صلى الله عليه وسلم- يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم؛ فقلت: أنا! قال: أنت لله أبوك! قال حذيفة:- سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه! قال حذيفة:- وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر! قال عمر أكسرا؟ لا أبا لك! فلو أنه فتح لعله كان يعاد! قلت لا بل يكسر! وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثا ليس بالأغاليط قال أبو خالد: فقلت لسعد يا أبا مالك ما أسود مربادا؟ قال: شدة البياض في سواد. قال قلت: فما الكوز مجخيا؟ قال: منكوسا. وحدثني ابن أبي عمر حدثنا مروان الفزاري حدثنا أبو مالك الأشجعي عن ربعي؛ قال لما قدم حذيفة من عند عمر جلس فحدثنا فقال: إن أمير المؤمنين أمس لما جلست إليه سأل أصحابه أيكم يحفظ قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في الفتن-وساق الحديث بمثل حديث أبي خالد.-إنتهى.

[٢] جاء في كتاب:"التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، ج٢٣، ص٣١٩، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله

غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله-ﷺ:- فمن يطيع الله إن عصيته!! أيأمنني على أهل الأرض و لا تأمنوني!! فقال خالد بن الوليد: ألا أضرب عنقه يا رسول الله؟ قال: لعله أن يكون يصلي، ثم نظر إليه و هو مُقَفٍّ -أي ذاهب- فقال: "إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله لينا رطبا لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان، يخرجون من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد[١]". و معنى يخرج من ضئضئ هذا: يعني من أصله لا من نسله، و صدق رسول الله؛"قوله يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان!". لقد قاتلوا المسلمين في زمن الصحابة-رضوان الله عليهم، فقاتلهم الإمام علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-قتالا عنيفا-و قد نصره الله عليهم نصرا عزيزا، إلا أن هؤلاء و برغم فشلهم في الحرب القتالية و انهزامهم هزيمة شنعاء لا مثيل لها لم يستطيعوا النهوض بعدها، رغم ذلك كله، لم يكفّوا ولم يرجعوا عن فكرتهم العدوانية للمؤمنين، أهل السنّة و الجماعة، و ظلّوا يفكرون و يتدبّرون في أمرهم فلم يجدوا غير سبيل تتبّع عورات المؤمنين الصَّالحين من هذه الأمَّة فرموهم بالعظائم، مثل

بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢٤ - انظر "المكتبة الشاملة" ما نصه: "... وإذا نهي المسلم عن أذى أخيه المسلم في عمل البر ، وتلاوة الكتاب ، فأذاه في غير ذلك أشد تحريما ، وقد نظر عبد الله بن عمرو إلى الكعبة ، فقال: والله إن لك لحرمة ، ولكن المومن عند الله أعظم حرمة منك، حرم منه عرضه، ودمه، وماله، وأن لا يظن به إلا خير. و في نفس المصدر، ص:٣٣٥: " حدثني بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعا: كيف كان رأي ابن عمر في الخوارج؟ فقال: كان يقول: هم شرار الخلق ، انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار ، فجعلوها على المؤمنين."

[١] جاء في "صحيح مسلم"، ج٢، ص:٧٤١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب" ما نصه: عن أبي سعيد الخدري؛ قال بعث علي-رضي الله عنه- وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقسمها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس الحنظلي، و عيينة بن بدر الفزاري، وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان. قال: فغضبت قريش؛ فقالوا أتعطي صناديد نجد وتدعنا؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم:- إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم فجاء رجل كث اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس- فقال:اتق الله يا محمد. قال؛ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: فمن يطع الله إن عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني! قال: ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله-يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: إن من ضئضئ هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد!"

البدعة و الشرك و الضلال، كما سبق في أثر ابن عمر-رضي الله عنه؛ "إنهم انطلقوا إلى آيات من كتاب الله نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين". و لم يكتفوا بهذا المكر السيء بل ذهبوا إلى أسوء من ذلك، فإنّهم سَبُّوا الصحابة-رضي الله عنهم-و شتموهم و قبّحوهم و استنقصوهم، و لكن بقوة الإيمان، أي الصادق وكثرة المؤمنين الثابتين الراسخين لم يجدوا في الصدر الأول من هذه الأمة آذانا صاغية لأبواقهم المسمومة و لا محالاً قابلة لأفكارهم المشؤومة، و أما الآن؛ و قد مضت على المسلمين أربعة عشرة قرنا بأحداثها و وقائعها و أحزانها و آلامها مما لسنا بصدده-فإن الوباء قد عم و انتشر في جميع أنحاء المعمورة و بين فئات المسلمين كافة، و القلوب في هذه الحال كما تعلمون قد أصابها الوهن و أنهكها كثرة الاعتناء بالحظوظ و الأغراض المادية-﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[١]﴾؛ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ[٢]﴾ و قد حذرنا الله-جل جلاله-من الاغترار فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(٥)[٣]﴾.

التنبيه إلى خطر الغرور بالله و بيان لكيفية علاجه:

لقد أخبر الله-جلَّ شأنه-عباده المؤمنين في هذه الآيات أن في الحياة الدّنيا متاعا و المتاع- هنا هو؛ الانتفاع و التلذذ بزهرة الحياة الدّنيا و زخرفها، و لكن هذا المتاع ممزوج -مزجا محكما-لا يتفطن له الكثير من الناس إلا القليل منهم و هم ذوو القلوب السّليمة الذين طهَّر الله سرائرَهم و نوَّر لهم بصائرهم جعل لهم نورًا يمشون به في النّاس أي في جميع مجالات الحياة ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ[٤]﴾ . و إن الغرور بالله في الحقيقة لسُّمٌّ قاتلٌ شديدُ الخطورة، و لهذا فإن الحق- عز وجل-حين أخبر بهذا الغرور

---

[١] جزء من الآية ١٤ من سورة "آل عمران".

[٢] جزء من الآية ١٨٥ من سورة "آل عمران".

[٣] فاطر.

[٤] جزء من الآية ٤٠ من سورة "النور".

بقوله –جل جلاله–: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ[١]﴾ أعقبه بالنهي عن الوقوع في مراتعه المسمومة و بالتحذير من الغفلة عن أساليبه المعسولة فقال عز من قائل: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ[٢]﴾، فالغرور بالله داء عضال، و قبل التطرق إلى علاجه، لا بد من معرفة جذوره التي ينشأ منها و يتفرع عنها:–

- **الجذر الأول:** و هو أشدّها ضررا، الغفلة عن الله و نسيان ذكره تعالى؛ قال –جل جلاله–:– ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ[٣]﴾ ؛ و قال عز و جل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)[٤]﴾.

- **الجذر الثاني:** تزيين حب الشهوات؛ قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾؛ إلى قوله:– ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ[٥]﴾.

- **الجذر الثالث:** الاستمتاع بزينة الحياة الدنيا المزخرفة التي ما هي إلا مجال للغفلة و اللّهو؛ و التكاثر؛ و التفاخر؛ و التباغض؛ و التحاسد، كما أخبر بذلك سبحانه و تعالى بقوله: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) [٦]﴾؛ و قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا

---

[١] سبق تخريجها.

[٢] جزء من الآية ٣٣ من سورة "لقمان".

[٣] جزء من الآية ١٩ من سورة "المجادلة".

[٤] الحشر.

[٥] جزء من الآية ١٤ من سورة "آل عمران".

[٦] التكاثر.

الحيَاةُ الدنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ[١]﴾-إلى آخر الآية. و أمّا علاج هذا الخطر الجسيم و الشرّ المستطير، فإنّه موجود و لكنّه لمن طلبه و اضطر إليه، و إنّما اشترط الاضطرار هنا لقطع موانع اللامبالاة و التقاعس و التسويف عن الطّالب الرّاغب في النجاة، و بما أنّ الغرور هو داء من جملة الأدواء[٢] فعلاجه و الوقاية منه أمر ممكن، لقوله-ﷺ:"إن الله عز و جل لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاءً[٣]"، علمه من علمه و جهله من جهله ، فالعلاج الناجع و الدواء النافع للخلاص من هذا الداء و النجاة منه يتمثل أولا في التصديق، و هو الإيمان القوي الثابت بصدق الله في قوله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى[٤]﴾؛ و قوله:﴿وَمَا الحَيَاةُ الدنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ[٥]﴾، فإذا تمكن في التصديق و رسخت فيه الثقة بالله و بما وعد به عباده المؤمنين من فضله و نعمه في الدنيا و الآخرة-فإنه يَسْهُل عليه الأمر و يُقْبِل على الله بالتقوى فيتقي جميع أنواع الغرور و هو كله ثقة بما وعد الله المتقين في قوله-جل و علا:﴿وَمَنْ يَتقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢)

---

[١] جزء من الآية ٢٠ من سورة "الحديد".

[٢] الدَّاء: المرض. جمع: أدواء. القاموس المحيط، الكتاب: "القاموس المحيط"، ج١، ص:٤٠، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء:١.

[٣] "صحيح البخاري"، ج٥، ص: ٢١٥٠، رقم الحديث:٥٣٥٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". وجدنا الحديث بهذه الصيغة: عن أبي هريرة-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال:"ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاءً".

[٤] جزء من الآية ٣٦ من سورة "الشورى".

[٥] جزء من الآية ١٨٥ من سورة "آل عمران".

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُه (٣)[١]﴾، أي كَفِيُّهُ، فإذا أحكم العبد أمور الإيمان و مسائل التقوى فإنه يكون قد وضع قدما في طريق التقرب إلى الله عز و جل متحليا في ذلك بصدق التوجه إلى الله و حسن الإقبال عليه مع المواظبة على ذكر الله تعالى في سره و علانيته، و لا يتم استئصال هذا الدّاء من جذوره إلا بالزهد في الدنيا و فيما في أيدي الناس؛ لقوله-ﷺ: ﴿ازهد في الدنيا يحبّك الله و ازهد فيما في أيدي الناس يحبّك الناس[٢]﴾. و ليس المراد بالزهد من هذا الحديث ترك الدنيا و التقاعس عن العمل، و إنّما المراد به إخراج محبة الدنيا من القلب، كما أن الزهد فيما عند الناس معناه إزالة الطمع مما في أيديهم من متاع، و بهذه الخصال الحميدة و السجايا الطيّبة الزكيّة يستطيع المؤمن أن يتحصّن بالله من الشرّ و أهله، و من الشيطان الرَّجيم و حزبه و ينجو من الغرور بإذن الله تعالى.

ضرورة صحبة قدوة صالحة في سلوك طريق الحق:

- كما أنه لا بد لمريد السلوك، سلوك طريق التقرب و المناجاة، طريق الصديقين، من صحبة أناس صالحين يأخذ عنهم تربيته و آدابه و كيفية السُّلوك السَّليم-فصحبة هؤلاء شرط ضروري في النجاة من مكائد الشيطان و وساوسه لقوله-ﷺ:"...فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية[٣]" فالذئب هو الشّيطان و الغنم هي جماعة المؤمنين الصالحين أهل السُّنَة و الجماعة، فكل من خرج عنهم فهو من سهم الشيطان، إلا من أدركه الله بسابق عنايته و جمع شمله بأهل الحق الموجودين في بلده و بيئته-فإنهم حصن حصين لمن صحبهم و اقتدى بهم كما جاء في الحديث الصحيح: "...

---

[١] من سورة "الطلاق".

[٢] حديث صحيح. مذكور في "المعجم الكبير" للطبراني، ص:١٧٦٣ رقم الحديث:٥٨٣٣، رقم الحديث في المطبوع:٥٩٧٢-"موسوعة جوامع الكلم".

[٣] جزء من حديث "حسن". انظر "سنن النسائي الصغرى"، ص:٢١٧، رقم الحديث: (ر/م):-٨٤٧/٨٣٨-موسوعة "جوامع الكلم". نص الحديث:عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: قال لي أبو الدرداء أين مسكنك؟ قلت في قرية دوين حمص-فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم يقول: ما من ثلاثة في قرية ولا بد ولا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان؛ فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية!"

هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[١]" و معنى الجلوس هنا الصحبة و التربية–و الله و رسوله أعلم، ففي معنى هذا الحديث قال بعضهم: "و الله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح[٢]"، و في الحديث:– ﴿المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل[٣] ﴾، فإنّ في هذا الحديث فائدتين عظيمتين:–

- **الفائدة الأولى:** التحذير من صحبة الأشرار، ذلك لأنّها سبب في الشقاء و الخسران يوم القيامة و كذا ما ينجر عنها من الويلات.

- **الفائدة الثانية:** الترغيب في صحبة الأخيار و الحثّ عليها و ذلك لأنّها مفتاح عظيم لسعادة الدّارين؛ "هم القوم لا يشقى بهم جليسهم"، و خصوصا في عصرنا الحاضر الذي عَمَّ فيه الفساد و انتشر فيه الوباء، و النّاس في غفلة عن استعمال الوقاية و الدّواء، فالوباء هو حبّ الاستمتاع بظاهر الحياة

[١] جزء من حديث صحيح رواه مسلم، ص:١٨٣٧، رقم الحديث (ر/م):٤٨٦٠/٢٦٩١– موسوعة "جوامع الكلم".

[٢] جاء في كتاب "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، ج١، ص:٥٢٧ –"المكتبة الشاملة"، المؤلف: – أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق:– أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي–القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ؛ ما نصه:– أ) ج١، ص١٧٣:"قلت: والله ما رأينا الفلاح والخسران إلا من الخلطة. قال بعضهم: والله ما أفلح مَن أفلح إلا بصحبة مَن أفلح، ولا سيما صحبة العارفين فساعة معهم تعدل عبادة سنين بالصيام والقيام وأنواع المجاهدة، ولله در الجيلاني «١»– رضي الله عنه– حيث قال:–

فَشَـمِّرْ ولُذْ بالأَوْلِـيَـاءِ فَإنَّهُمْ ... لَـهُمْ مِنْ كِتَابِ الله تِلْكَ الوقَـائِعُ
هُمُ الذُّخْرُ لِلمَلهُوفِ والكَنْزُ لِلرَّجَا ... وَمِنْهُمْ يَنَـالُ الصَّبُّ مَا هوَ طَامِعُ
بِهِم يَهْتَدي للعينِ مَن ضَلَّ فِي العَمَى ... بِهِم يُجْذَبُ العُشَّاقُ والرَّبْعُ شَاسِـعُ
هُم الناسُ فالزمْ إنْ عَرَفْتَ جَـنَابَهُمْ ... فَـفِيهِم لِضُـــرِّ العـالمين منافع**

**) البيت الأخير جاء فى ديوان الجيلي، ص: ٨٩، مسبوقا ببيت هو:–

هم القصد والمطتتلوب السّؤل والمنى ... واسْمُهُم لِلصَّبِّ فِي الحـبِّ شَافِعُ

ب) ج١، ص:٥٢٧:"فإن يد الله مع الجماعة" ، فالصحبة عند الصوفية شرط مؤكد وأمر محتم. "والله ما أفلح مَن أفلح إلا بصحبة مَن أفلح"، فالنفس الحية لا تموت مع الأحياء، وإنما تموت مع الأموات، فهي كالحوت ما دامت في البحر مع الحيتان لا تموت أبدًا، فإذا أخرجتها وعزلتها عن أبناء جنسها ماتت سريعًا."

[٣] حديث حسن–"مسند الإمام أحمد"،ص:٢٠٦٧ رقم الحديث(ر/م):٨٢١٦/٨٢١٢–"جوامع الكلم".

الدّنيا و زينتها–و من خطورة هذا الوباء أن صاحبه لا يحس و لا يشعر بالألم، بل هو عكس ذلك، فإن له حلاوة و شهيّة تدعو إلى المزيد منه، و إن من خصائص هذا الوباء الخطير أنه يغذي المظهر و يهلك الجوهر. و إنّي أعني بالمظهر كل شيء يحب الإنسان أن يتظاهر به و يتباهى به، و أما الجوهر فأعني به القلب، و القلب هو موضع الأمانة أو قل هو موضع الإيمان لكون الأمانة و الإيمان شيئا واحدا، و الدليل على ذلك قوله–ﷺ "....نزلت الأمانة في جَذرِ قلوب الرجال[١].." إلى آخر الحديث، و قوله–ﷺ–: "...لا إيمان لمن لا أمانة له[٢]..."، و قد ترفع الأمانة و يرفع الإيمان من القلوب و الناس نيام–لا يشعرون؛ و علامة ذلك اختفاء الصدق و ذهاب الثقة ما بين معظم أفراد و جماعات المجتمع الإسلامي على جميع مراتبهم و مقاماتهم كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم–رحمه الله–في باب رفع الأمانة و الإيمان من بعض القلوب، فعن حذيفة–رضي الله عنه–قال حدثنا رسول الله عن رفع الأمانة؛ فقال:".... ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط–فتراه منتبرا وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال إن في بني فلان رجلا أمينا ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان! ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما رده علي الإسلام وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا[٣]".و معنى هذا الحديث كما جاء في شرح الإمام النّووي–رحمه الله–قال: "إن الأمانة تزول عن القلوب شيئا فشيئا فإذا زال جزءٌ منها زال نورها و خَلَفَتْهُ ظلمة كالوكت و هو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله فإذا زال شيء آخر صار كالمجل و هو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، و هذه الظلمة

---

[١] جزء من حديث رواه البخاري؛ "صحيح البخاري"،ج٥، ص:٢٣٨٣، رقم الحديث: ٦١٣٢–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".نص الحديث: عن زيد بن وهب حدثنا حذيفة قال: "حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر؛ حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم عَلِمُوا من القرآن ثم عَلِمُوا من السنة، وحدثنا عن رفعها؛ قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكتِ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل الـمَجْلِ كجمر دَحْرَجْتَهُ على رِجلِكَ فَنَفِطَ فتراه مُنْتَبِرًا وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة؛ فيقال إن في بني فلان رجلا أمينا، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان! ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت؛ لئن كان مسلما رده علي الإسلام؛ وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا."

[٢] جزء من حديث "صحيح"؛ "مسند أحمد بن حنبل"،ص:٢٩٨٥، حديث رقم (ر/م):١٢١٥٥/١١٩٧٥–"جوامع الكلم".

[٣] انظر أعلاه.

فوق التي قبلها، ثم شبَّه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب و خروجه بعد استقراره فيه و اعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر و يبقى التنفط[1]...."-انتهى

كيفية المحافظة على رسوخ الإيمان بلزوم المحاسبة و المراقبة:

إن لهذا الحديث عبرا و عظات يجب على المؤمن اقتباسها و الاتعاظ بها لتدوم سلامة إيمانه و أمانته، فإنه يجب على كل مؤمن ذي فطنة أن يكون دائم الحرص على ما يتقوى به إيمانه و يحفظ له أمانته من العطب و ذلك يكون بأمرين:-

- بالمراقبة لله عز و جل؛
- و بالمحاسبة للنفس.

فمن راقب الله فقد أطاعه و من حاسب نفسه قوَّم اعوجاجها و أصلح فسادها و قادها إلى الفلاح؛ كما قال تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا () وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَاهَا(١٠)[2]﴾، و في الحديث:- ﴿الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللَّه[3]﴾. فإذا كان هنالك من يسأل عن كيفية عمل المراقبة، نقول له: فبعد امتثال أمر الله و اجتناب نهيه، يشرع المؤمن الصالح في عمل المراقبة، و لَمَّا كانت المراقبة لله-جَلَّ جَلَالُهُ-من أعمال القلوب، فإن أول ما يقوم به أن يُشْعِرَ قلبه و يُحِسَّ نفسه بمعيّة الله و باطّلاعه التّام على سِرِّه و علانيته ثم يرتقي إلى التفكر في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار، بل يتفكر في جميع المخلوقات، كما جاء في

---

[1] "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، ج٢، ص:١٦٩، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

[2] من سورة "الشمس". جاء في معنى "و قد خاب من دساها" في كتاب "حدائق الروح و الريحان"، ج٢، ص:٤٤-"المكتبة الشاملة"، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٣٣ (٣٢ ومجلد للمقدمة)- ما نصه: " والمعنى: أقسمت بهذه لأمور العظام المذكورة على أنه قد فاز بكل مطلوب، ونجا من كل مكروه، من أنمى النفس وأعلاها بالتقوى؛ أي: رفعها وأظهرها وشهرها بها، فأهل الصلاح يظهرودن [تنبيه: هكذا وجدت الكلمة:"يظهرودن"-و قد تكون خطأً في الطباعة و قد تكون في الأصل:"يظهرون"] ويشهرونها بما سطع من أنوار تقواهم إلى الملأ الأعلى، وبملازمتهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات، بخلاف أهل الفسق، فإنهم يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية، لا يلوح عليهم سيما سعادة..."-إنتهى بتصرف بسيط.

[3] "جامع الترمذي"،ص:٩١١، رقم الحديث(ر/م): ٢٤٥٩/٢٣٩٦-"جوامع الكلم".

القرآن الكريم، ثم يرتقي بسرِّ إيمانه و بفضل الله و رحمته إلى شهود دقائق و حقائق معرفة الحق جل و علا، فإذا دخل فضاء الشهود و أشرق عليه نور الوجود، قال بلسان الحال و المقال: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ[١]﴾- و هنالك يتحقّق العبد باطّلاع الحق عليه على الدوام، و هو معه حيثما كان، فيفقه معنى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ[٢]﴾، فلا يجد موضعا و لا وجهة و لا مكانا يعصي فيه الحق تعالى باستثناء ما يقتضيه وصف وجوده الحدوثيّ من غفلة و نسيان و خطأ و كذا من باب: - ﴿كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التَّوَّابُونَ[٣]﴾، فصدور المخالفة في حقه جائز ممكن-و لكن بفضل الله و عفوه لا تضره تلك المخالفة إن شاء الله تعالى ما دام العبد توابا إلى الله تعالى لقوله عزّ و جل:- ﴿إن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين[٤]﴾، و قوله-ﷺ: ﴿التائب من الذنب كمن لا ذنب له[٥]﴾؛ فإن التّوّاب الحقيقي هو المؤمن الكامل الإيمان، الذي انعدم من قلبه تأثير غير الله عز و جل، و أعني بالتأثير هنا حقيقة الضّر و النّفع، فصار لا يرجو إلا الله و لا يخاف إلا من الله، فإذا صدر منه ذنب لا يفزع إلا إليه لعدم وجود غيره، و هذا الوصف لا يوجد إلا للعارفين بالله؛ لقول ابن عطاء الله-رحمه الله:- "العارف بالله لا يزول اضطراره و لا يكون مع غير الله قراره". و إن هذه المنزلة العالية إنما هي منزلة المقرّبين في مقام "كأنك تراه"؛ بل في منتهى مقام الإحسان ضمن قوله- ﷺ:"فإنّه يراك" من حديث الإسلام و الإيمان و الإحسان المشهور في صحيح الشيخين و عند غيرهما؛ فهذا الجزء الأخير من الحديث يتضمن رسوخ المعرفة بالله و دوام المراقبة له تعالى، و المراقبة عند أهل العلم بالله هي دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى. قاله الإمام القشيري رحمه الله في "الرسالة القشيرية"، و قال آخرون: "المراقبة هي علم العبد باطّلاع الربّ سبحانه و تعالى عليه[٦]"-في سرّه و علانيته؛ فالمراقبة إذن هي من أعمال القلوب الطاهرة، و لا

---

[١] جزء من الآية ١٩١ من سورة "آل عمران".

[٢] جزء من الآية ١١٥ من سورة "البقرة".

[٣] "سنن الدارمي"، ج٢، ص:١٢٦١، رقم الحديث: ٤٢٥١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٤] جزء من الآية ٢٢٢ من سورة "البقرة".

[٥] حديث "صحيح"؛ "سنن ابن ماجة"،ج٢،ص:١٢٦١، حديث رقم: ٤٢٥٠-"جوامع الكلم".

[٦] "الرسالة القشيرية"-موسوعة "المكتبة الشاملة"، ج١، ص:٣٢٩، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.

يكاد العبد يصل إلى كنه المراقبة إلا بعد الفراغ من المحاسبة، و إنّنا إذا تصفحنا سيرة الصوفية الحقيقيين و تربيتهم و سلوكهم نجدهم قد بَنَوْا أمرهم في هذه المسائل الثلاث على هاتين الدِّعامتين العظيمتين:-

- المحاسبة؛
- و المراقبة؛

لأنّهم أدركوا جيّدا أن الأعمال بدون هذين الأمرين هي كالأشجار من غير ثمار، تورق و تخضّر و لا تثمر، و في هذا المعنى قال بعضهم: "ليس المراد من نزول الأمطار وجود الاخضرار، و إنّما المراد من نزولها وجود الثّمار". و حقيقةً إذا أمعنّا النظر في هذه المسألة و تناولناها و تأمّلناها باهتمام فإنّنا نجد أن الصّدق و الإخلاص و التقوى لا ينفعون صاحبهم إذا خلا من المحاسبة و المراقبة[١]، و ذلك لسبب بسيط هو اللّهو و الغفلة عن ذكر الله، و في هذه الحال لا مناصّ من أن يُتْبِعَ العبدُ نفْسَهُ هَواهَا و يتمنّى على الله الأماني. و في نهاية المطاف يجد نفسه من المفلسين الذين يأتون يوم القيامة بأعمال صالحة فيأخذها ذوو الحقوق من المظلومين، و ذلك هو الخسران المبين، فبالمحاسبة و المراقبة فقط قد يفوز المرء مع الفائزين يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الصدق مع الله أساس الدين:

أما العِبْرةُ الأخرى من حديث رفع الأمانة من القلوب فهي اجتناب الفتن و الأسباب التي تؤدي إليها مع الابتعاد الكامل أو الكلي عن الفتّانين، زرّاع الفتنة، فإنه يجب في هذه المسألة اليقظةُ و الحذر، لأنّ الفتن تعرض على القلوب كالحصير عودا عودا، و مِن غُرورها أنّها تعرض مزيّنةً بزينةٍ جذّابةٍ، كمثل الحيّة، ناعم لمسُها، قاتلٌ سُمُّها، و ضربنا المثل هنا بنعومة اللمس لأنّ الغافل الغارق في سراب أحلامه و تحلِية أمانيه كالأعمى، لا يدرك الأشياء و لا يميّزها إلا باللمس، و من العبر المثمرة المفيدة النافعة في هذا المجال التفكرُ الجادّ مع شدَّة الاهتمام في البحث عن وجود مخرج سليم من هذا النفق المظلم المخيف، أو قل من هذا السبات العميق المفلس، فإن نحن اعتنينا بهذا الموضوع و أعطيناه حقّه من الاعتناء و الاهتمام، لا شك أننا نصلُ في نهاية البحث إلى الرجوع الاضطراري إلى الله و ذلك ما يسمّى بالتوبة النّصوح التي ذكرها الله في القرآن الكريم في حقّ سيّدنا كعب بن مالك و صاحبيه-رضي الله عنهم-و الاضطرار هو أن تُسَدَّ الأبوابُ، كلُّ الأبوابِ في وجه المشرف على الهلاك، كما جاء في القرآن الكريم في أواخر سورة التوبة قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ

---

[١] المقصود: "مقام الإحسان"، و الثمار هي ثمار المعرفة بالله.

وَظَنوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُم تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِن اللهَ هُوَ التوابُ الرحِيمُ (١١٨)[١]﴾، و هذا الذي صدر من هؤلاء الثلاثة هو حقيقة الصّدق الخالص مع الله-جَلَّ جَلَالُهُ، او ذلك لأن المخلّفين كانوا كثيرين و قد قدموا معاذيرهم إلى رسول الله-ﷺ-فقبلها منهم إلا الثلاثَة؛ كعبا و صاحبيه-رضي الله عنهم-لجؤوا إلى الصدق مع الله و ذلك لشدة صفاء حالهم و كمال طهارة قلوبهم، قال كعب بن مالك-رضي الله عنه:"فلما رجع رسول الله-ﷺ-من غزوة تبوك و جلس للناس جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه و يحلفون له و كانوا بضعة و ثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله-ﷺ-علانيتهم و بايعهم و استغفر لهم و وكّل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلمّا سلَّمْتُ تبسَّم تبسُّمَ المُغْضَب-ثم قال ما خلّفك؟ فقلت يا رسول الله إنّي و الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر و لقد أعطيت جدلا و لكني علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكنّ الله أن يسخطك علي و لئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، و الله ما كان لي عذر و الله ما كنت قط أقوى و لا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله-ﷺ:أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله عز و جل فيك[٢]" إلى آخر الحديث؛ فالحديث طويل و من أراد مطالعته فليراجعه في صحيح الإمام مسلم-رحمه الله- (باب التوبة).

إننا أوردنا هذه القصة من أجل إظهار فضيلة الاضطرار إلى الله عز و جل و فائدة الصدق مع الله تعالى، و ليعلم الإخوان، جماعة الإخوان الصوفية، أنّ الدّين كلّه ينبني على الصدق، و لذلك أمر الله عباده المؤمنين أن يتقوه و أن يكونوا مع الصادقين؛ فقال عزّ من قائل:- ﴿يَاأَيهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصادِقِين (١١٩)[٣]﴾، أي كونوا مع رسول الله-ﷺ-و أصحابه و من كان منهم في الصدق و الوفاء إلى يوم الدين، و أكثر المفسّرين قالوا: "الصّادقون" هم الذين صدقوا في دين الله و فيما عاهدوا عليه من الطاعة، نيّة و قولا و عملا، و قيل أي كونوا مع الثلاثة المذكورين في الصدق و الثبات عليه، و من علامات الصدق الثبات على الحق مع عدم التبديل و التغيير

[١] التوبة.

[٢] "صحيح مسلم"، ج٤، ص:٢١٢١، رقم الحديث: ٢٧٦٩-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٣] التوبة.

و الاضطراب في الأمور، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٣٢)[١]﴾؛ فالصدق طريق مأمون للوصول إلى الجنتين:-

- جنة القرب للقلـوب في الحياة الدّنيا؛
- و جنّة الخلد يوم القيامة؛

أي في الآخرة، لقوله-ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا! وإيّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا[٢]». و كان الشيخ سيّدي عبد القـادر الجيلاني-رضي الله عنه-يقـول للصادقين من أهل زمانه: "هات الصّدق و خـذ المعرفة"؛ فالمراد من كلام الشيخ، و الله و رسوله أعلم ،أن العائق عن الوصول إلى معرفة الله عز و جل هو عدم وجود الصّدق في الطلب و التوجه.

و ختاما، فما على الراغبين الذين يريدون أن يرتعوا في رياض الصدق و الصدّيقين إلاّ أن يبحثوا عن أهل الصّدق الحقيقي-لا التقليدي المزيّف، و ليبذلوا ما في وسعهم من جهد في طلب هؤلاء الرّجال لأجل الصحبة و سلوك طريق الصدّيقين، و ليبدءووا في بحثهم بمطالعة كتب سيرتهم الزاخرة بمعاني و أسرار و ثمار الصدق مع الله، و من الكتب التي أنصح الطلاب أن يطالعوها؛

---

[١] الأحزاب.

[٢] "صحيح مسلم"، ج٤، ص:٢٠١٣، رقم الحديث:٢٦٠٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

كتاب "قوت القلوب[١]" لأبي طالب المكي؛ و كتاب "حلية الأولياء و طبقات الأصفياء[٢]" لأبي نعيم الأصبهاني، رحمه الله.

و ما الفضل إلاّ من عند الله الكريم المنّان.تمَّت-بحمد الله تعالى.

---

[١] الكتاب:" قوت القلوب في معاملة المحبوب و وصف طريق المريد إلى مقام التوحيد" ، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ ه -٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٢.

[٢] الكتاب: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة-بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ١٠. نبذة عن أبي نعيم-رحمه الله: أبو نعيم الأصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ = ٩٤٨ - ١٠٣٨ م).أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، أبو نعيم:- حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية. ولد ومات في أصبهان. من تصانيفه؛ "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، عشرة أجزاء؛ و "معرفة الصحابة"- كبير، بقيت منه مخطوطة في مجلدين، عليها قراءة سنة ٥٥١ في مكتبة أحمد الثالث، بطوبقبو سراي باستنبول، الرقم: ٤٩٧- كما في "مذكرات الميمني" ؛ و "طبقات المحدثين والرواة"؛ و "دلائل النبوة"؛ و "ذكر أخبار أصبهان " ، مجلدان، وكتاب "الشعراء"-نقلا عن : الأعلام للزركلي.

البَابُ السَّابِعُ :

زبدة الرسائل في إرشاد المريد السائر على منهج أهل العلم و البصائر

الرسالة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ[١]﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ[٢]﴾-صدق الله العظيم.

الحمد لله الّذي شرح صدور عباده الصّالحين بنور ذكره، و أنّس قلوبهم بلذيذ قربه، و حلاوة مناجاته، فأغناهم به عن غيره، و صلّى الله على سيّدنا و مولانا مُحمَّدٍ قدوة الذّاكرين، ورحمة الله المهداة إلى خلقه أجمعين، و على آله وصحبه، و من والاه إلى يوم الدّين.

من عبد ربه الحاج أحمد، وكافَّة الإخوان الذَّاكرين، الشّاكرين، بناحية خميس الخشنة[٣] و بوزرّيعة[٤] صانهم الله ورعاهم، ولحضرة قدسه اجتباهم واصطفاهم، إنَّهُ نعم المولى، و نعم النَّصير و هو على كلّ شيء قدير.

إلى طيّب النشأة، صافي المودّة، الولد الصَّالح ....، أفاض الله عليك من مواهبه اللدنّية،و أسرار توحيده الخفيّة، و نفحك من نفحاته الطيّبة الزكيَّة ما يجعلك مولّعا بذكره، متلذِذا بقربه، حتّى لا تلتفت إلى سواه و غيره، فتتحقّق بحقيقة قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ[٥]﴾ و حينئذ تكون من الرِّجال الَّذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وما ذلك على الله بعزيز. و السَّلام عليكم، ورحمة الله وبركاته، وحفظه، ورضوانه، ما دمتم لله ذاكرين شاكرين، و عليه مقبلين، و إليه متوجّهين، و عن غيره معرضين و مدبرين؛ وهذا هو معنى حقيقة السلوك إلى معرفة ملك الملوك. قال الإمام الغزالي-رضي الله عنه: "الملازمة، و المخالفة. الملازمة لذكر الله تعالى، و المخالفة لما يشغل عن ذكر الله- و هذا هو السفر إلى الله[٦]"-انتهى.

---

[١] جزء من الآية ٢٢ من سورة "الزمر".

[٢] جزء من الآية ٤٠ من سورة "النور".

[٣] مدينة تقع في جنوب غرب العاصمة الجزائرية و تبعد عليها بحوالي ٥٢ كيلومتر و هي تقع قريبا من مقر زاوية أستاذنا و شيخنا أحمد حبيب-رعاه الله، صاحب هذه الرسالة.

[٤] مدينة من مدن الجزائر العاصمة.

[٥] جزء من الآية ١١٥ من سورة "البقرة".

[٦] جاء في كتاب أبي حامد الغزالي-رضي الله عنه؛ "جواهر القرآن"، ج١،ص٢٨-"المكتبة الشاملة" في تعريف طريق

وبعد:

لقد وصلتني رسالتك القيّمة الشيّقة، المليئة بصفاء الأحوال، و أطيب الأقوال، فقرأتها و أعدت قراءتها عدّة مرّات لما فيها من سرّ الصّدق و الإخلاص، كما أنّني سررت بها كثيرا، خصوصا لـمّا أخبرتنا بأنّك ملازم للذكر ومداوم عليه. فلتدم أيها الولد الصّالح لله ذاكراً، شاكراً، و في معرفته راغباً، ولفضله طالباً، واعلم أنه لاشيء تتشوق له النّفوس الطّاهرة، و القلوب النيّرة، كالقرب من الله تعالى، وأنت يا سي....... قد منّ الله عليك بصحبة عباده الذّاكرين، ثم وفّقك وهداك إلى أطيب و أعزّ شيء و هو ذكر إسمه المفرد الإسم الأعظم، فاثبت عليه، وافن فيه، ولا تصغ و لا تلتفت لما سواه، وإن بدا لك غير فامحه[١] باسم الله، ولا تخف سوء حجب ما دمت تذكر الله، كما أبشّركم، أنت وصاحبيك سي .... و سي .... بشروق الأنوار عليكم، لقد أشرقت عليكم أنوار قدسه، وطلعت عليكم بدور أنسه، وهذه الأنوار هي أنوار البداية، و هي تدل على ثبوت أنوار النهاية كما أشار إلى ذلك ابن عطاء الله–رضي الله عنه–بقوله: "من أشرقت بدايته أشرقت نهايته". إذن فهنيئًا لكم بهذا الفضل العظيم و الفوز الكبير، و ما الفضل والنّعمة إلّا من عند الله الكريم الوهّاب.

و أمّا قولك أنك كنت تنتظر من الخلوة و بعد الخلوة أن تكون هائماً في الله، غائباً عمّا سواه من قوّة التجلّي الإلهي على عبده الذّاكر إلى آخره؛ فاعلم–علّمك الله من علمه اللدنّي المكنون، أنّ الأمر ليس كما يتصوّره الإنسان في عقله أو فكره، و إنّما الأمر هو كما يريده الحكيم العليم اللطيف الخبير. و من حكمته ولطفه بعباده أنه يتجلى لهم على قدر استعدادهم و طاقتهم وذلك رحمة بهم؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ[٢]﴾. و كلّما قوي استعدادهم لتقبّل مواهب الحقّ ونفحاته–إلّا و ازدادوا ذوقًا وانشراحا واطمئنانا وهكذا يكون ارتقاء العبد الذاكر في معارج القدس شيئا فشيئا حتى يكون العبد دائما طالبا للمزيد، سالما من الإدّعاء و الملل اللّذان هما آفتان مفسدتان لحال الذّاكر؛ حيث أنّهما يشغلانه و يلهيانه عن

السلوك إلى الله تعالى ما نصه: " وذلك بالتّبتّل ؛كما قال الله تعالى "وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا"–أي انقطعْ إليه، والإنْقطاع إليه يكون بالإقبال عليه، والإعراض عن غيره، وتَرجمَتُهُ قوله:"لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا" . والإقبالُ عليه إنما يكون بملازمة الذّكر، والإعراضُ عن غيره؛ يكون بمخالفة الهوَى والتّنقّي عن كدورات الدنيا وتزكيةِ القلب عنها، والفلاحُ نتيجتها كما قال الله تعالى:" قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ" .فعُمدَةُ الطريق أمران: الملازمة؛ والمخالفة. الملازمة لِذكْرِ الله تعالى؛ والمخالفة لما يشغل عن الله–وهذا هو السفَرُ إلى الله، وليس في هذا السفرِ حركة، لا من جانب المُسافِر، ولا من جانب المُسافَرِ إليه، فإنهما معاً، أَوَمَا سمعتَ قوله تعالى وهو أصدق القائلين: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"؟

[١] فامحه: أي أزل أثره في قلبك بذكر الإسم المفرد.

[٢] جزء من الآية ٨٧١ من سورة "البقرة".

غاية مقصوده المنشود. و على هذا فالمطلوب من صاحب هذا المقام هو ما قاله شيخنا[١] –رضي الله عنه–:-

مريـــدا بادر بقلب حاضر　　　لسان ذاكر بقولك اللـــــه

جاهد تشاهد كل الفوائد　　　سرّ الأماجد في ذكرك اللّه

وكذلك قوله:-

أذكـر اللّـه يـا رفيـقـي　　　وتــوجّــــه لـــلـمــرام

واقـصـــد الحقَّ الحقيقـي　　　إنَّـما الـخـلــق عَـــدَم

و المراد من هذا الكلام هو الحثُّ على دوام الصلة بالله، و الترغيب فيما عند الله. فدوام الصلة يقتضي توالي المدد مع مزيد المواهب، و النفحات، و القربات، و أما الترغيب فيما عند الله؛ فقال تعالى:- ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ[٢]﴾؛ و معناه : أنَّ الباقي هو الّذي لازال باقيا على أصله منسوبا لله دون سواه، و أما الذي ينفذ فهو الذي ادّعاه الناس و مزجوه بصفات نفوسهم و أفكارهم وأهوائهم، فأصبح ذلك في نظرهم الوهمي العاطل ملكا لهم، و حيازة لهم و الحقيقة خلاف ذلك. و على هذا؛ فالعبد الصّالح هو الذي يرى أن جميع ما عنده من النعم، و الخير، و البركة، و الفضل، و الرحمة، وقس على ذلك ممّا لا يحصى من النِّعم–هو من الله، و يعلم يقينا أن العبد وما ملك لسيّده؛ قال تعالى:﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ[٣]﴾ وقال عز وجل: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا[٤]﴾. هذا فيما يخص الخير، و الفضل، و النّعمة لأن الخير هو شيء وجودي حقيقي، و الشرّ أو السّوء؛ هو شيء وهمي خيالي خلقه الله للابتلاء و الامتحان، قال عز و جل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[٥]﴾ وقال تعالى:﴿مَا أَصَابَكَ

[١] الشيخ أحمد العلاوي المستغانمي الجزائري–قدس الله سرَّه.

[٢] جزء من الآية ٩٦ من سورة "النحل".

[٣] جزء من الآية ٥٣ من سورة "النحل".

[٤] جزء من الآية ٧٨ من سورة "النساء".

[٥] جزء من الآية ٢ من سورة "الملك".

مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ[١]﴾. و هذا دليل واضح على أن كل السّيّئات هي من اكتساب النّاس، و الله بيده الخير و هو على كل شيء قدير، ومن يتّق الله يقيه السَّيئات ويؤتيه خيرا كثيرا.

و الّذي أوصيك به و جميع إخوانك الذّاكرين، أهل الذّكر الخاص، هو أن واصلوا الذكر، واثبتوا عليه، واصبروا مع الله فيه لأنه، أي الذكر، باب الله الأعظم، كما قال القوم:"الذكر أعظم باب أنت داخله فاجعل له الأنفاس حراسا". وإنّني لفخور بكم جدا جدا لما رأيته فيكم من طهر، وصدق، و إخلاص، وصفاء. فهنيئا لكم، طبتم وطاب مسعاكم، و أعانكم الله على مقصودكم، وبلوغ مرامكم. وبلّغ، أيها الولد الكريم، سلامنا الخالص إلى سائر الإخوان الفقراء الذّاكرين ببني صاف[٢]، و عين تموشنت، و خصوصا أخينا المحترم سي المقدم رعاه الله وثبت خطاه و بلغه من الخير ما يتمناه، و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، و دمتم في رعايته وحفظه. آميـــن.

عبد ربه الحاج أحمد حبيب في ١٩٩٩/١١/١٥م.

الرسالة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الشكر لله، على ما أنعم علينا به من نعمة الإسلام و الإيمان و الإحسان، و جعلنا في خدمته بلا حظّ و لا غرضٍ و لا علّة، و صلّى الله على سيِّد الأنام الذي أرسله الله بشيرا و نذيرا، و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا، و على آله و صحبه و سلم تسليما.

من عبد ربه الحاج أحمد و جماعة الإخوان الصوفية بناحية خميس الخشنة الجمهورية الجزائرية صانهم الله

---

[١] جزء من الآية ٧٩ من سورة "النساء".

[٢] مدينة في غرب الجزائر و قرب مدينة تلمسان.

و سدد خطاهم آمين، إلى طيّب النّشأة، خالص المودة، سيّدي......... ، و كافّة أفراد أسرته، و جميع إخوانه في الله و لله، حفظ الله الجميع، و السّلام عليكم ورحمة الله، و بركاته و رضوانه، مادمتم لله ذاكرين خاشعين، و بسنّة رسول الله–صلى الله عليه و على آله و سلم–عاملين، و لهدي سلفنا الصّالح منتهجين، و على عهد الله، و المحبّة الإلهية الربّانية محافظين و ثابتين، و الله مع الذين اتقوا و هم محسنون، و هو يتولى الصالحين، و بعد:–

لقد وصلتني رسالتك القيّمة التي ملؤها المحبّة الصّادقة، و الصّدق، و الإخلاص، و الصّفاء في إقبالكم على الله و توجّهكم إليه، وهذا من فضل الله علينا و عليكم، فلتدوموا لله ذاكرين شاكرين. و اعلموا أنّ خير أعمالكم، و أزكاها عند مليككم، هو ذكر الله عزّ وجلّ كما جاء في الحديث الشريف أنه–ﷺ؛ قال لأصحابه–رضوان الله عليهم: " ألا أنبؤكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من إنفاق الذهب و الفضة، و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم؟ قالوا ما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله[١]". و كذلك الدّوام على العمل الصّالح هو محبوب عند الله تعالى ؛ قال رسول الله–ﷺ: "... و أحبَّ الأعمال إلى الله أدومه و إن قل[٢]". هذا و لقد دعونا لك و لجميع أفراد أسرتك بكل خير، و صلاح، و سعادة الدارين، و الله لا يضيع أجر المحسنين. و اعلم أيها الأخ الكريم، علّمك الله من علمه اللّدنّي المكنون، و أمدّك بسرّه الخفيّ المصون، أن ذكر اسم الله المفرد الأعظم هو طريق ذوي الهمم العالية، و المنازل السّامية من عباد الله الصالحين، و هو أيضا السّبيل الوحيد للخروج من الظّلمات إلى النور، أي من ظلمات الغفلة عن الله إلى نور الذّكر، أو تقول من ظلمات الجهل بالله إلى نور العلم و المعرفة بالله–جل جلاله. و علامة الخروج من الظلمات إلى النور هو أن يتحقّق العبد الذّاكر من معنى قوله تعالى:– ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ[٣] ﴾ و الذّكر هنا هو الشّهود و هو بالقلب و البصيرة،

---

[١] انظر "مجمع الزوائد و منبع الفوائد"، ج١٠، ص:٣٧، رقم الحديث:١٦٧٤٤–"المكتبة الشاملة". صيغة الحديث الذي وجدناه هو: " عن معاذ بن جبل : أنه قال : قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم : " ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله " . وقال معاذ : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم، أزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم ؟ ". قالوا : بلى يا رسول الله! قال : " ذكر الله– عز وجل!" .

[٢] جزء من حديث صحيح رواه البخاري، ج٤، ص:٢٣٧٣–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب". نص الحديث: عن عائشة أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل!"

[٣] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

لا بالقالب و البصر. و معنى هذا أنّه إذا تنوّر القلب، رأى النّور شارقا على السموات و الأرض و ما فيهن، فيشاهد ذلك بنور الله، كما قال تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ[١]﴾ إلى آخر الآيات، و المراد هنا بقوله:﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ[٢]﴾؛ يعني مثل نور الله في قلب عبده المؤمن، و في آية أخرى ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ[٣]﴾. و من ههنا ندرك أن قلب المؤمن يرى بنور الله، كما هو معروف عند عامة الناس أن الإنسان يرى نور الشمس بنور البصر، فكذلك القلب يرى نور الحقّ المطلق بنور البصيرة، و بالله التّوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطّريق.

و لنرجع إلى موضوع ذكر الاسم الأعظم و فضله و شرفه، ولمزيد التّوضيح و البيان نسوق إليك قصة العالم الجليل، و الوليّ الصّالح الشّهير، الإمام أبي حامد الغزالي-رضي الله عنه-وها هو يروي قصته قائلا:- "ولقد أردت في بداية أمري سلوك هذا الطّريق بكثرة الأوراد، و الصّوم، و الصّلاة. فلما علم الله صدق نيتي، قيَّض لي وليًّا من أوليائه، قال لي: يا بنيّ إقطع من قلبك كلّ علاقة إلّا الله وحده، واخل بنفسك، و اجمع همتك، وقل الله، الله، الله! و لا تزد على ما فرض الله عليك شيئا إلا الروّاتب، وقل هذا الإسم بلسانك، و قلبك، و سرِّك، و أحضر قلبك، واجمع خاطرك، و مهما قالت نفسك ما معنى هذا، فقل لها لست مطلوبا بمعناه، و إنّما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا(٨)[٤]﴾-انتهى كلام الإمام الغزالي-رضي الله عنه.

أيّها الصديق الحميم، لقد أنعم الله عليك بصحبة الذاكرين، فأصبحت ذاكرا، و في وقت قصير وفّقك بمنّه، و كرمه إلى ذكر إسمه الأعظم. فأنت الآن، إن شاء الله، سائر على منهاج القوم الّذين لا يشقى بهم جليسهم، فاثبت على ما أنت عليه، و كن من الشّاكرين، واذكر الاسم وفقا للكيفيّة التي لقّنها لك ذلك الرجل الصالح سيدي ....، إنه من الرّجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، و كان من المربّين من سيّدنا الشّيخ رضي الله عنه و أرضاه. و بلّغ السّلام منّا إلى كافّة أفراد أسرتك الطّيّبة، و إلى جميع الإخوان في الله، وفّق الله الجميع إلى ما فيه رضاه، و أعاننا الله و إيّاكم جميعا على ذكره، و شكره، و حسن عبادته، آمين.
إلى فرصة أخرى، إن شاء الله،و دمتم في رعاية الله و حفظه.
أخوكم في الله، الحاج أحمد،يوم: ٢٠/٠٣/٢٠٠١م.

---

[١] جزء من الآية ٣٥ من سورة "النور".

[٢] جزء من الآية ٣٥ من سورة "النور".

[٣] جزء من الآية ٤٠ من سورة "النور".

[٤] المزمل.

الرسالة الثالثة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي أودع لطائف أسراره في قلوب العارفين، وجعل البيان طريقا لوصولها إلى المسترشدين، و الصّلاة و السّلام على أفصح الأنبياء لسانا، و أوضحهم بيانا، سيّدنا و مولانا محمد، و على آله، و أصحابه و من والاه إلى يوم الدين.

من عبد ربه، العبد الضعيف، الحاج أحمد حبيب، إلى طيب النشأة المحبوب سيدي ....، و كافّة أفراد أسرته الطيبين، و جميع الإخوان في الله بناحية بني صاف، كلّ واحد بإسمه الخّاص به. حبّب الله إلينا، وإليكم الإيمان، وزيّنه في قلوبنا وقلوبكم، و كرّه إلينا وإليكم الفسوق و العصيان، و أغرقنا و إيّاكم في مقام الإحسان، و الشّهود، و العيان، و الذّوق، و الوجدان، و ختم لنا ولكم بخاتمة السّعادة و الغفران، و النّظر إلى وجهه الكريم، في يوم لا ينفع فيه لا مال و لا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم وعقد صميم، إنه الوليّ الحميم، التّواب الكريم، الرّؤوف الرحيم.

و السّلام عليكم، ورحمة الله، و بركاته، ورضوانه، ما دمتم في الله متحابّين، و على الله مجتمعين، و بالشّريعة المطهّرة قائمين، و على محجّتها البيضاء سالكين وثابتين، و إن الله لمع المحسنين، القائل –جلّ جلاله–: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ[1]﴾. فتأمّلوا إخواني الكرام في هذه الآية جيّدا، وتدبّروا معناها، و أسلموا وجوهكم لله ربِّ العالمين. و اعلموا يقينا بأنّه ليس للقلب إلّا وجهة واحدة ، فمهما توجّه إليها حجب عن غيرها، و إيّاكم أن تميلوا إلى غير الحقّ فيسلبكم لذّة مناجاته، كما أقول لكم لا تيأسوا، ولا تخافوا سوء حجب، ما دمتم تذكرون الله، و اعلموا أنّكم ما دمتم مواظبين على ذكر الله –عزّ وجلّ– فأنتم مذكورون عنده، ضمن قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا[2]﴾. كما أنّنا سررنا بكم جدًّا جدًّا، حيث أنّكم قدمتم إلى الجزائر العاصمة

---

[1] جزء من الآية ١٢٥ من سورة "النساء".

[2] جزء من الآية ٣٥ من سورة "الأحزاب".

لمشاركة إخوانكم في إحياء ذكرى مولد الحبيب المصطفى-ﷺ-و لقد كنتم حقّا ممن نوّر و عطّر هذه الذّكرى الطيبة، وذلك بما قمتم به من تلاوة-مما تيسّر من كتاب الله ﷻ-و إنشادٍ للقصائد، وقراءة للهمزية في مدح شمائل خير البريَّة. و لا شكّ أنّكم قد أدركتم من خلال الخطب، و الكلمات التي ألقيت في ذلك الحفل البهيج، أنَّ هناك فرقا بين من سلك طريق الذّوق و الوجدان، والشهود و العيان، و ثبت على ذلك حتّى وصل، بإذن الله، إلى معرفة الملك الدّيان، و بين من يزعم أنّه وصل إلى المعرفة بنفسه عن طريق المطالعة لكتب القوم-رضي الله عنهم-و الممارسة لبعض العبادات و بعض الأذكار. فهذا الصّنف من المتشبِّهين بالقوم يصلون إلى نصيب من المعرفة المجازية لا الحقيقية. و أعني بالمعرفة المجازية: النَّقلية التقليديَّة أو الفكريَّة المحدودة، غير الممدودة، و المقيّدة غير المطلقة. وهؤلاء-أعني أصحاب هذه المعرفة- هم المتصوّفة المتشبّهون بالصّوفية، وهم الّذين لم يتمّ لهم الصّفاء بعد، فهم واقفون مع ما هو منهم إلى الله، و الصوفية واقفون مع ما هو من الله إليهم. إذن؛ فالصّوفية هم أصحاب الماء الطّهور أو الماء المطلق، و المتصوّفة هم أصحاب الماء المتغيّر بطاهر، أي المختلط بشيء طاهر، مثل الزّيت و اللّبن، أو المتلوّن بعصير الفواكه، مثل البرتقال. فهذا الصنف من الماء يصلح للعادة، و لا يصلح للعبادة، و أمّا الماء المطلق، فإنه يصلح للعبادة و العادة و في هذا المعنى قال بعضهم:-

فأمَّـا الخيـــام فــكخيــامـــــهـــم
و أرى نســـاء الحيِّ غـــير نسائـــهِ

و المراد بالخيام هنا، هو المظهر و الهيئة من كلام و زيّ، وقس على ذلك من العوائد التي تعيق من وقف معها من الطّلاب، و الرّاغبين الّذين لم يصحبوا ولم يقتدوا بأهل زمانهم من الواصلين المتمكنين الرّاسخين في مقام العبودية الخالصة لله ربِّ العالمين. و اعلموا أيها الأحبّة في الله بأنّي لم أتطرّق إلى هذا الموضوع ذمًّا لهؤلاءِ الأئمّة، و المثقّفين، و لا استنقاصا لشأنهم و مقامهم، بل إنّي أحترمهم، و أعظّمهم، و أقدّرهم كلَّ التّقدير-فجزاهم الله عنّا خيرا، و فتح عليهم بكلّ خير. و إنّما تناولت هذا الموضوع تنبيها للإخوان، و تحذيرا لهم من الوقوف مع ظواهر الأمور، فيقطعهم ذلك عن الوصول إلى حقيقة المأمول، أو يحرمهم من المزيد. و أعني بظواهر الأمور: العلم الظّاهر فإنه مانع للواقفين معه من النَّفاذ إلى العلم الموهوب الذي يفتح أقفال القلوب، وهذا الأخير ليس لعامة الناس، و إنّما هو للخواصّ ذوي الهمم العالية، كما صرح بذلك أبو هريرة-رضي الله عنه-في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري-رضي الله عنه-إذ يقول: عن أبي هريرة قال حفظت من رسول الله-ﷺ-وعاءَين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[١]. هذا الحديث يدل في مجمله على ثلاثة أمور:-

- **الأمر الأوّل:** هو أنّ النبيّ-ﷺ-جاء بصنفين من العلم؛ علم الشريعة لكافّة

[١] "صحيح البخاري"، ج١، ص ٥٦، رقم الحديث: ١٢٠-انظر "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

الناس؛ وعلم الحقيقة لخواصِ المؤمنين الذين آمنوا وكانوا يتقون.

- **الأمر الثّاني**: هو أنّه يجوز الإخبار عن وجود هذا العلم بلا قيد، و لا تكليف.

- **الأمر الثّالث**: هو لا يجوز إظهاره و التكلّم فيه إلا لأهله و مع ذويه، و أكمل المـؤمنين إيمانا–و هو الذي تحقق بوراثة العلمين؛ علم اللّسان؛و علم الجنان.

واعلموا إخواني، علّمكم الله، و فقّهكم في الدّين، أنّ علم القلوب يسمّى أيضا بالعلم اللَّدنّي، وكذا بالموهوب و المكنون. وكلّ هذه الأسامي هي لمسمى واحد، و هو العلم بالله. و العلم بالله ثابت بالكتاب و السنّة؛ فمن الكتاب هو ما جاء في قصّة سيّدنا موسى مع سيّدنا الخضر–عليهما السَّلام؛ و من السنّة؛ حديث أبي هريرة الذي ذكرناه آنفا. و عن الحسن–رضي الله عنه: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ﴿ العلم علمان : علم في القلب–فذاك العلم النافع ؛ وعلم على اللسان فتلك حجة الله على عباده[١] ﴾. وكما أنّه لا يصلح الجسد إلّا بصلاح القلب، فإنّه لا يصلح علم اللسان إلّا بوجود علم القلب، كما بيّن ذلك رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فيما يلي؛ إذ يقول:﴿ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله–ألا وهي القلب[٢]﴾. و بعد هذه الأحاديث الصَّحيحة، و النُّصوص الصريحة، الدالّة على أنّ السّعادة كلّ السعادة في صلاح القلوب، و تطهيرها من العيوب، فيجب على العاقل أن يعتني بصلاح قلبه، ويبذل كلّ ما في وسعه في سبيل ذلك، بل يبذل النَّفس و النَّفيس و لا يبالي، كما قال–جل جلاله: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ[٣]﴾. و بما أنَّ الله أهّلكم، أي جعلكم من الخواصّ أهل النُّور، حيث جعلكم ذَاكرين، ووفّقكم إلى صحبة الذّاكرين، وقال لكم يا عبادي ذكري عندكم و أنا معكم، فاذكروني أذكركم، و اشكروني و لا تكفرون–أي كونوا لي أكونْ لكم، و لا تكونوا لغيري فأتركّكم، و لا تنسوني فأنساكم. فالكلام هنا موجّه للقلوب، فعوّدوها التذكُّر، و التَّعلق بالله الخالق الرّازق، ليحفظها لكم من الآفات، كما قال سيدي بومدين–رضي الله عنه–في حكمه الثّمينة: "فأيّما قلب يراه مؤثرا له، حفظه من طوارئ المحن، و مضلّات الفتن". و لا أطيل الكلام عليكم، و اشكروا نعمة الله

---

[١] "مصنف أبي شيبة"، ج٨، ص:١٣١، رقم الحديث:٦٠–انظر "موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب". و راوي الحديث، الحسن، هو الحسن البصري–رضي الله عنه.

[٢] صحيح البخاري، ج١، ص:٢٩، رقم الحديث: ٥٢–"موسوعة الحديث الشريف. إسلام ويب".

[٣] جزء من الآية ٩٢ من سورة "آل عمران".

عليكم إذ نزع الغلّ من صدوركم فأصبحتم بنعمته إخوانا على سررٍ متقابلين. وبلّغوا سلامنا إلى كافّة إخواننا، و أحبابنا في الله و لله-رعاهم الله جميعا-و سدّد خطاهم. كما نخبركم أنّ إخوانكم هنا هم بدورهم يرفعون إليكم أطيب التمنّيات، راجين لكم من الله الكريم المنّان التوفيق في سائر شؤونكم، و في جميع أعمالكم، و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلت، و إليه أنيب. و دمتم في رعاية الله و حفظه-آمين .

الحاج أحمد حبيب.

الرسالة الرابعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا و ماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلت و إليه أنيب.
و صلّى الله على من هو أحرص على سعادة أمّته من أنفسهم، النبيِّ الرَّؤوف الرَّحيم، و على آله و أصحابه و عباد الله الصَّالحين.

من عبد ربه، الحاج أحمد حبيب، كان الله له ولإخوانه في كل شأن آمين، إلى الولي الصّادق، شديد الرغبة في الله، سيدي ......، وفَّقك الله، و أعانك على بلوغ مقصودك بمحض منِّه، و كرمه–آمين. و السَّلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته وحفظه ورضوانه ما دمت في الله راغبا، و لمعرفته طالبا، وقوَّى الله حزمك، و عزمك و أعانك على ذكره و شكره، و حسن عبادته.

و بعد أيها الأخ الكريم، لقد وصلتني رسالتك القيّمة، و الشيّقة في نفس الوقت، و إنّي تصفّحتها بكل اعتناء، و لقد حركت بالنا، و هزّت مشاعرنا، فالتجأنا إلى الله، و تضرّعنا إليه أن يأخذ بيدك، و ينهض بحالك إلى حضرة شهوده و نور وجوده، إنّه كريم وهاب.

أمّا استفسارك عما حيّرك، وشوّش لك بالك–و الّذي هو المصاحبة في طريق السّلوك للقدوة الحي.
اعلم يا ولي الله، ألهمك الله، أنّ لهذا الشأن العظيم، و الأمر الجسيم، ثلاثة أقسام: قسمان–الصّحبة فيهما واجبة؛ و هو في حقّ من لم يسبق له صحبة قط؛ والثّاني في حقّ من سبقت له صحبة و لكنّه لم يحصّل على شيء من المعرفة في حياة شيخه، فهذا الأخير حكمه حكم الأوّل في وجوب الصّحبة للقدوة الحي، و القسم الثّالث هي في حقّ من سبقت له صحبة صحيحة للشّيخ المربّي، و حصل له نصيب من المعرفة، و كان له قدم راسخة في الذّكر في حياة شيخه، غير أنه لم يحصل على المعرفة الكافية، فهو في حاجة إلى من يعينه، فالواجب في حقه أن يواصل السَّير، و الذِّكر، و شيخه هـو الذي يرقّيه، و لا بأس أن يستعين بأهل زمانه في بعض الأمور التي تعرض له أثناء سلوكه و لم يجد لها حلاًّ، يكون هذا مع ثباته على أمره الأوَّل من حيث أنّ هذه الاستعانة لا تقطعه و لا تعوقه عن الصّحبة الأولى. هذا ما ثبت عندنا في هذه المسألة و الله المستعان، و الأمر هنا يعود إليك فأنت أدرى بحالك، فانظر في شأنك، واعزم على مقصودك. ولقد سبق لنا أن تطرّقنا إلى هذا الموضوع من قبل، وما إعادة طرحك له من جديد إلّا دليل على حرصك، وصدق رغبتك في الوصول إلى معرفة ربك، لا أحرمنا الله وإيّاك و إخواننا من خالص معرفته آمين. كما نفيدك

علما أن جميع الإخوان هنا هم بخير و على خير، و إنهم يسلّمون عليكم سلاما كثيرا طيّبا مباركا، راجين لكم من الله، التّوفيق في سائر أعمالكم، و إلى فرصة أخرى، إن شاء الله، ودمتم في رعاية الله وحفظه.

أخوك الحاج أحمد.

الرسالة الخامسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ(١٧)﴾[١] صدق الله العظيم، وصلى الله على سيدنا و مولانا محمد، الذي كان و لم يزل يذكر الله على جميع أحيانه – صلى الله عليه و على آله و أصحابه، و من والاه إلى يوم الدين.

من عبد ربه، الحاج أحمد حبيب، و جماعة الإخوان الفقراء، الذّاكرين الشّاكرين بناحية خميس الخشنة و بوزريعة، صانهم الله و وقاهم كل سوء و مكروه، آميــن.

إلى عالي الهمّة، طاهر السّريرة، زكيّ السّلوك و السّيرة، سيّدي ....، و كافة الإخوان الفقراء المتحابين في الله و من أجل الله بيني صاف، السلام عليكم و رحمة الله وبركاته، و حفظه، ورضوانه، ما دمتم مقبلين عليه، و إليه متوجهين بأحبّ الأعمال إليه، و أزكاها لديه، ألا و هو ذكر الله تعالى، كما جاء في الصحيح عن رسول الله–ﷺ–أنه قال: ۞ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم

[١] جزء من الآية ١٧ و ١٨ من سورة "الزمر".

ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى. قال: ذكر الله تعالى[١]. فهنيئا لكم يا أحبَّائي الذاكرين بهذا الفوز الكبير، و الفضل العظيم، و كفى بالذّكر فضلا و نعمة أنه منشور الولاية. قال الشّيخ أبو عليّ الدّقاق–و هو شيخ الإمام القشيري–رضي الله عنهما:" الذكر منشور الولاية، فمن وفِق للذِّكر فقد أعطي المنشور، و من سُلب الذكر فقد عزل[٢]." و ها أنتم قد وفَّقكم الله إلى ذكره الخاص، و أنعم به عليكم، و أشرق عليكم أنواره، فلاحت عليكم بشائره، و ما ذاك إلّا سابق العناية منه و القبول، فاذكروه يذكركم، و اشكروه يزدكم من فضله، و مواهبه و نفحاته، و يرزقكم من حيث لا تحتسبون. واعلموا إخواني الذّاكرين، أن للذّكر فوائد و منافع كثيرة و متنوعة؛ ومن فوائده الكبرى، الخروج من ظلمات الغفلة والجهل إلى نور المشاهدة و المعرفة بالله، كما قال تعالى:﴿ يَاأَيهَا الذِينَ آمَنُوا اذكُروا اللَّهَ ذِكرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبحُوهُ بُكرَةً وَأَصِيلًا(٤٢) هُوَ الذِي يُصَلي عَلَيكُم وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخرِجَكُم مِنَ الظلُمَاتِ إِلَى النورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) [٣]﴾–و من رحمته تعالى بعباده الذّاكرين، أنه تعالى يتجلّى لهم على حسب طاقتهم، و على قدر إستعدادهم لتقبّل أنوار قربه. و هكذا كلّما ازداد العبد استعدادا، ازداد تقربا، و شهودا، و عيَّانا، و ذوقا، ووجدانا، و فهما عن الله فيما يسمعه و يراه، و ها هنا لا تلهيه تجارة و لا بيع عن ذكر الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، وما الهداية و التوفيق إلا من عند الله الكريم الوهّاب.

هذا و إنّني لم أنس تلك الملاقاة الخاطفة، الشيّقة، السّارة في نفس الوقت، التي جمعنا الله بها في تلمسان بمناسبة الليلة التي أقامها سي عبد الله، ولد سيدنا الشيخ–رضي الله عنه–و نفعنا الله و المسلمين بسره و بركاته، آمين. و قد اجتمعنا بالإخوان الفقراء الشبّاب، شباب بني صاف و شباب عين تموشنت، و ذلك بعد اختتام الجمع ورجوعنا إلى الزّاوية الأم للمبيت فتذاكرنا فيما يقرّبنا إلى الله و يرضينا عنده، وحيث أنّك لم تكن حاضرا معنا بجسمك، و لا شكّ في حضورك معنا بروحك، كتبت

---

[١] حديث صحيح. انظر "سنن الترمذي"، ج٥، ص:٤٢٩، رقم الحديث:٣٣٧٧–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب". و ذكر الترمذي–رضي الله عنه– بعد الحديث ما نصه: قال معاذ بن جبل–رضي الله عنه: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله!

[٢] جاء في تفسير الثعالبي: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، ج٤، ص٢٩٧–المكتبة الشاملة–ما نصه:"قال القُشَيْرِيُّ في "رسالته" : الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وهو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله سبحانه إلا بدوام الذكر، ثم الذكرُ على ضربين: ذكر باللسان، وذكْر بالقلب؛ فذكر اللسان–به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، والتأثيرُ لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه و قلبه فهو الكامل في وصفه. سمعتُ أبا علي الدقاق يقول: الذكر منشورُ الولاية، فمن وُفّقَ للذكر فقد وُفِقَ للمنشور ومن سُلِبَ الذكرَ فقد عُزِلَ، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات.

[٣] من سورة "الأحزاب".

لك هذه الرسالة ليكون حظّك أوفر و أتمّ، لأنّنا نحبّك في الله حبّا جمّا، نسأل الله تعالى أن يجعلنا، و سائر الإخوان، من المتحابّين في الله حقا و صدقا، إنه ولي التّوفيق، و هو الهادي إلى سواء الطّريق. و إذا قرأت هذه الرّسالة على الإخوان الذّاكرين اسم الله الأعظم؛ فهو حسن. و بلّغ سلامنا الخاصّ إلى والديك الكريمين-حفظهما الله ورعاهما، وبلّغ سلامنا الخالص إلى جميع الإخوان الذاكرين بدون تخصيص، و لا تنقيص، و أخصّ بالذّكر منهم السيّد المقدّم سيّدي ...... صانه الله و سدّد خطاه. كما أنّ إخوانكم الفقراء هنا بخميس الخشنة و ببوزريعة بخير وعلى خير، و في نشاط متزايد، و هم يرفعون لكم من السلام أزكاه، و أطيب التحيّات مع أجمل التمنيّات، راجين لكم من العليّ القدير، دوام الصحّة و العافية، و مزيدا من النّشاط، و التقرّب إلى الله، و السّلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و دمتم في رعاية الله و حفظه.

السيد الحاج أحمد حبيب.

الرسالة السادسة:

تعليق: ينصح الأستاذ في هذه الرسالة طالب سلوك طريق الله إذا تعرض إلى ما يصعب فهمه من أقوال العارفين إلى أن يحمله على محامل الظن الحسن و أن يجدَّ و يستمر في الذكر حتى يُفهمه الله ما قد يدق عن العقول عند فقدان نور العرفان في بداية السير إلى الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾[١]. و صلى الله على سيّدنا و مولانا، محمّد البشير النّذير،

---

[١] الأحزاب.

السِّراج المنير، الدّاعي إلى الله بإذنه – صلى الله عليه و على آله، و أزواجه، و ذريّاته، و أصحابه، و من والاه.

من عبد ربه الحاج أحمد حبيب–أعانه الله على برّه و تقواه–آمين، إلى طيّب النّشأة، خالص المودّة، أخينا في الله، و من أجل الله، السيّد ....، عمَّر الله قلبك بأسرار و حقائق الإيمان، و نهض بهمَّتك إلى مقام الاحسان، حيث الذوق و الوجدان، و الشُّهود و العيَّان، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم، و السَّلام عليكم ورحمة الله و بركاته ما دمت لله ذاكرا، شاكرا، مقبلا عليه، و متوجّها إليه، غير ملتفت عنه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا[1]﴾. و معنى حنيفا هنا أي غير مائل و لا ملتفت، كما أن الالتفات القلبي إلى غير الله سمة الغافلين الواقفين مع آرائهم و أفكارهم، و لو أنَّهم ذكروا الله ذكرا كثيرا كما أمرهم، و انشغلوا بذلك حتى يذكرهم الله كما وعدهم في قوله عز من قائل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ[2]﴾. أي اذكروني ذكرا كثيرا حتّى أخرجكم من الظّلمات إلى النُّور، أي من ظلمات الجهل بالله و الغفلة عنه، إلى نور الذّكر و المعرفة بالله، و ما ذلك إلّا علم نافع في القلب، و عمل صالح يشعُّ نوره من خلال الجوارح. فإذا تمكن و رسخ هذان؛ العلم والصلاح في العبد الصالح، يصير لا محالة من الرّجال الّذين لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله، و إقام الصلاة، و إتاء الزّكاة. و هذا هو مقام المؤمنين الكُمَّل الصّادقين في إيمانهم مع الله؛ كما قال في حقّهم مولانا عزَّ وجلَّ:– ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا[3]﴾. تنبَّه أيها الأخ الكريم و الصّديق الحميم إلى ما ذكرناه لك، و تأمّله جيدا، واسْعَ بجدٍّ في تحقيقه، تصل إن شاء الله إلى حقيقة اليقين ضمن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي

---

[1] من الآية ١٢٥ من سورة "النساء".

[2] جزء من الآية ١٥٢ من سورة "البقرة".

[3] "الأنفال".

ٱلۡأَرۡضِ[١]﴾ . قال ابن عباس –رضي الله عنه-:" الزّبد هو الشّكُّ و الرَّيب و التَّردُّد[٢]، و أمّا ما ينفع النّاس فهو اليقين يثبت في القلب ثم يعطي ثماره كالماء في الأرض الخصب". و بعدما ذكرنا لك هذه النّخبة من طيب الكلام تنبيها لك على ما هو أولى بالإهتمام به و الرَّغبةِ فيه، و على الله بلوغ المرام، إنّه و ليّ الإمتنان، نتطرَّق إلى موضوع استفسارك عن معنى بعض كلامِ الصّالحين، وقبل الشُّروع في الجواب عن استفسارك نقول لك: اعلم أيّها الأخ الكريم بأنّنا لسنا مكلَّفين، لا نحن و لا أنت، بتصويب أو تخطيء كلام الصَّالحين، و لسنا أيضا بمطالبين بتأويل وفهم كلامهم، و السَّبب في ذلك أنّهم غير مُشرِّعين، و أما الّذي أظهره الله عليهم، و أجراه على ألسنتهم من أسرار التَّوحيد، و حقائق الإيمان، ودقائق العلم اللّدني المكنون، الذي لا يطّلع عليه إل المطهَّرون من عباد الله المقرَّبين الذين انتهجوا منهاجه القويم، و سلكوا مسلكه السليم، و هو الطّريق التقرّبي، و مجاهدة النّفس والشّيطان و الهوى ضمن قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا

[١] جزء من الآية ١٧ من سورة "الرعد".

[٢] جاء في "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس"، ج١، ص: ٧٠٢-"المكتبة الشاملة"؛ بخصوص الآية ٧١ من سورة "الرعد" ما نصه:-ثل الْحق والْباطل فقال: ﴿أنزل من السمآء مآء﴾؛ يقُول أنزل جبْريل بالْقُرْآن وبين فيه الْحق والْباطل ﴿فسالت أوْدية بقدرها﴾- فاحتملت الْقُلُوب المنورة الْحق بقدر سعتها ونورها ﴿فاحْتمل السيْل﴾ الْقُلُوب الْمظْلمة ﴿زبداً رابياً﴾ باطلا كثيرا بهواها ﴿ومما يُوقدُون عليْه في النار﴾ وهذا مثل آخر يقُول ومما تطرحون في النار من الذهب والْفضة فيه حيْثُ مثل زبد الْبحْر الْملح ﴿ابْتغآء﴾ طلب ﴿حلْيةٍ﴾ تلبسونها يقُول مثل الْحق مثل الذهب والْفضة ينْتفع بهما كذلك الحق ينْتفع به صاحبه. ومثل الْباطل مثل خبث الذهب والْفضة لا ينْتفع به ؛كذلك لا ينْتفع بالْباطل صاحبه ﴿أوْ متاع﴾ أو حديد أو نُحاس ﴿زبدٌ مثْلُهُ﴾؛ يقُول يكون لهُ خبث مثله مثل زبد الماء وهذا مثل آخر يقُول مثل الْحق كمثل الْحديد والنحاس ينْتفع بهما فكذلك الْحق ينْتفع به صاحبه ومثل الباطل كمثل خبث الحديد والنحاس لا ينْتفع به كما لا ينْتفع بخبث الْحديد والنحاس ﴿كذلك يضْربُ اللّهُ﴾ يبين الله الْحق والْباطل ﴿فأما الزبد فيذْهبُ جُفآء﴾ يقُول يذهب كما جاء لا ينْتفع به فكذلك الْباطل لا ينْتفع به ﴿وأما ما ينفعُ الناس﴾ وهُو الماء الصافي والذهب والْفضة والْحديد والنحاس ﴿فيمْكُثُ في الأرْض﴾ ينْتفع به فكذلك الْحق ينْتفع به ﴿كذلك يضْربُ اللّهُ الأمْثال﴾ يبين الله أمْثال الْحق والْباطل. بطاقة الكتاب: الكتاب: "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس"؛ الكتاب ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، عدد الأجزاء: ١.

فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٦٩)﴾[١]. فبعد ترغيبهم في المجاهدة، بيّن لهم كيفية العمل و السّلوك لهذا المسلك القريب؛ فقال تعالى في الحديث القدسي الصحيح الّذي رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه:" وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه[٢]". و من خلال هذا الحديث القدسي، ذا تصفَّحته و تأمَّلت معانيه، لا شكَّ أنه يتبيَّن لك أن هناك من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ فمنهم من قضى نحبه؛ و منهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. وكذا رجال ذكروا الله حقَّ ذكره حتى أخرجهم من الظّلمات إلى النُّور، فكان هو سمعهم و بصرهم إلى آخر الحديث. وهؤلاء هم الرِّجال الذين لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله تعالى. و الفرق شاسع بين العاملين الجادِّين في عملهم التقرُّبي المقبلين على الله المشتغلين به عمَّن سواه، وبين الخائضين المتشدِّقين، الواقفين مع أوهامهم و خيالهم و يتمنَّون على الله الأماني، فكن يا سيدي .... من الصّنف الأوّل، و لا تكن من الصَّنف الثّاني، و الله يتولّى هداك و هو يتولّى الصّالحين.

ولنرجع إلى ما كنَّا بصدده من قولنا لسنا مطالبين بالتكلُّف في تأويل كلام القوم لأنَّ الذي أجراه الله على ألسنتهم إنو ثمار أعمالهم الخالصة لوجه الله الكريم و أحوالهم الصَّافية الطّاهرة، و أقوالهم الطيِّبة الزكية. و من هنا فإنَّنا مطالبون بالإقتداء بهم و اقتفاء آثارهم، وكذا الإستفسار عن كيفية العمل و السُّلوك حتى نصل بإذن الله إلى ما وصلوا إليه من قرب ورضوان من الله و فتح مبين. و أمّا قبل الوصولِ إلى غاية المقصود من الإيمان و هو مقام الإحسان فيكون الكلام في هذا الشَّأن مضيعة للوقت و اشتغالاً بما لا يعني، و هو أيضا دليل على عدم حسن إسلام من يتلبَّس بهذه الخصال؛ لقوله-ﷺ: ﴿من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[٣]﴾. فإن قلت كيف أتعامل مع كلام القوم إذا سمعته أو قرأته في الكتب؟ نقول: لك اجعل نفسك كأنَّك في بستان من الفواكه، و في ذلك البستان ثمار ناضجة و أخرى غير ناضجة، فخذ النَّاضج منها

---

[١] العنكبوت.

[٢] جزء من حديث صحيح؛ "صحيح البخاري"، ج٥، ص: ٢٣٨٥، رقم الحديث: ٦١٣٧- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن أبي هريرة قال، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته".

[٣] حديث صحيح. انظر "سنن الترمذي"، ج٤، ص: ٤٨٣، رقم الحديث: ٢٣١٧- "المكتبة الشاملة". نص الحديث: عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

و دع الآخر حتى ينضج و لا تستعجل تناول غير النَّاضج فإنَّه يعطيك ذوقا سيِّئا و طعما رديئًا. و هكذا إذا تناولت المعارف الربَّانِيّة التي هي من علوم الوهب، لا من علوم الكسب، قبل الوصول إلى مستوى النُّضج الرُّوحي أو الصَّفاء الرُّوحي الخالص، فإنّ فهمك و تعبيرك حينئذ يكون خاطئًا و في غير محلّه. إذن، خذ ما فهمته من كلام القوم، و دع ما لم تفهمه حتى يأتي أوانُه، و سلّم لهم فيما عراهم و اعلم أنّهم غابوا في الله. و أما قول الشّيخ[١]-رضي الله عنه: "لستُ سواك يا الله" لا شك أنه يريد بهذا التّعبير إحدى المعاني الواردةِ في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)[٢]﴾ و قوله-عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ[٣]﴾. فَإذا نظرت في هذه الآيات نظرة اعتبار، و تمعَّنت فيها بحثا عن صفات الوجود الحقيقي؛ لوجدت أن صفات الوجود كلِّها لله حقيقة وهي للمخلوق عارية. و من هذا المنطق فمعنى الكلام يكون-و الله و رسوله أعلم- لست سواك يا الله، أي كل ما لديَّ من صفات الوجود هي كلُّها لك وحدك، كما قال بعض الصّالحين:-

تراني كالآلة و هو محركي	أنا قلم و الأقدار أصابع[٤]

وكذا قولهم:" العبد و ما ملك لسيده". فقول الشّيخ[٥]-رحمه الله- هو اعتراف تامٌّ لله سبحانه و تعالى بنعمتي الإيجاد و الإمداد، كما قال ابن عطاء الله-رحمه الله:" أنعم عليك أوّلا بنعمة الإيجاد ثم أنعم عليك بتوالي الإمداد" و كلام الشّيخ-رحمه الله-يدلّ على محض العبودية لله، فيكون معنى الكلام : لست سوى آلتك أو صنعتك لا وجود لي إلا بك و لا حركة لي و لا سكون إلّا بك.

[١] يعني الشيخ أحمد العلاوي المستغانمي-قدس الله سره-شيخ شيخ الأستاذ أحمد حبيب بن عبد القادر.

[٢] الأنعام.

[٣] جزء من الآية ٥٣ من سورة "النحل".

[٤] ذكر ابن عجيبة مثله في كتابه؛ "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، ج٢، ص:٥١٠-"المكتبة الشاملة". قال-رحمه الله: "قال القائل: آرَانِي كالآلات وَهو مُحرِكي ... أَنَا قَلَمٌ، والاقتِدارُ أَصَابِعُ". و ينسب هذا البيت إلى الشيخ عبد الكريم الجيلي-رحمه الله.

[٥] يعني الشيخ أحمد العلاوي المستغانمي-قدس الله سره-شيخ شيخ الأستاذ أحمد حبيب بن عبد القادر.

أو بعبارة أخرى؛ أنا لست سوى نورك أو سرّك أو روحك كما جاء في سورة "ص"[١] أن الله خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه فهو روح الله، وكذا جاء في محكم التنزيل أن عيسى–عليه و على نبينا السلام–أنَّه روح الله[٢]. و لهذا أيُّها الأخ الكريم فالمطلوب منك إذا أشكل عليك من كلام القوم فاحمله على محامل الظنِّ الحسن فهو أنجى لك و أسلم، و اشتغل بطهارة قلبك و نظافة عقلك. و اعلم أنه قد أفلح من تزكى و ذكر اسم ربه فصلى، و تنبه لقوله–ﷺ: " إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد و جلاؤها ذكر الله عز وجل[٣]". و أمّا قولك أنّ الإخوان تهرَّبوا من الجواب، فقولك هذا خطأ محض، و ليس هو من الصواب في شيء، و الدّليل على ذلك أنّ الكلام ليس كلامهم و إنّما هم يذكرونه على سبيل التبرُّك و التَّذكير لأنفسهم بأنَّ هناك مقاما في الإيمان و التّوحيد هو أسمى و أعلى مما هم فيه ليجدّوا و يجتهدوا في السّير. فكان عدم إجابتهم لك تجنّبا للخوض و الفتنة لا غير. و أمّا قولهم لك أذكر الله تعرف، فذاك هو الجواب والنّصيحة الخالصة لوجه الله الكريم، و ذلك أنّ لفظ التوحيد معروف عند جمهور المسلمين، و سرّ التوحيد لا يحتمله الكلام. و الدليل على هذا ما جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري–رحمه الله–عن أبي هريرة –رضي الله عنه–أنه قال: –"أخذت عن رسول الله –صلى الله عليه و سلم –جرابين، أي وعاءين من العلم؛ فأمّا أحدهما، فهذا الذي بثثته فيكم؛ و أما الآخر لو بثثته قطع هذا البلعوم" و أشار إلى عنقه،

[١] يشير الأستاذ إلى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾.

[٢] جاء في سورة "النساء"، الآية ١٧١– ما نصه: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾.

[٣] وجدت الحديث بهذه الصيغة: عن ابن عمر–رضي الله عنه، قال، قال رسول الله: " القلب يصدأ كما يصدأ الحديد ".قيل: يا رسول الله، وما جلاؤه؟ قال: " تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى "؛ انظر "الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين"، ص: ٧٠–"المكتبة الشاملة". بطاقة الكتاب الرقمية: الكتاب:"الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين"، المؤلف: مسافر بن محمد بن حاجي الدمشقي (المتوفى: ٤٢٠هـ). الكتاب مرقم آليا.

و إلى هذا المعنى أشار الشّيخ سيدي العلاوي[١] إذ يقول:-

جـئنا بعلم رقــيق لا يحتمـله الكــلام إلا لـذوي التصديق، جاءهــم و حي إلهام[٢]

---

[١] شيخ زمانه و العارف بالله الأستاذ أحمد العلاوي المستغانمي الجزائري، المتوفي في سنة ١٩٣٤ ميلادية في مستغانم-غرب الجزائر.

[٢] الحديث في "صحيح البخاري"، ج١، ص:٥٦، رقم الحديث: ١٢٠. نص الحديث: عن سعيدالْمَقْبُرِيِّ عن أبي هريرة-قال:"حفظت من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم". تعليق: يجد الباحث في شأن و معنى" أما الآخر لو بثثته قطع هذا البلعوم" في تراث علمائنا-علماء الأمة المحمدية- أن منهم من حمله على "علم الفتن" الذي علمه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أبا هريرة-رضي الله عنه-؛ و انفرد العارفون بالله-أهل التصوف الإسلامي-بأنه إشارة إلى علم الحقيقة الذي لا يحتمله الكلام. و لتعزيز هذا الموقف؛ "جاء في كتاب "حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي" المسماة "عناية القاضي و كفاية الراضي على تفسير البيضاوي" لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر-بيروت، عدد الأجزاء: ٨، ج٣، ص:٢٦٢-٢٦٣ (الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة") مانصه: "وأما ما خص به-صلى الله عليه وسلم- من الأسرار كما روى البخاري عن أبي هريرة-رضي الله تعالى عنه أنه قال: حفظت من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وعاءين أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم أي عنقه، وأصل معناه مجرى الطعام، واليه أشار الحسن-رضي الله تعالى عنه بقوله: "يارب جوهرعلم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا-وهو علم الحقيقة، والحكمة المسكوت عنها، وقد أشار إلى هذا المصنف رحمه الله تعالى، وهو يفهم من لفظ الرسالة فإنّ الرسالة ما يرسل إلى الغير، وهذا مذهب الصوفية رحمهم الله تعالى....". و جاء في الجزء الثاني، ص: ٧١٥؛ في كتاب"شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ "الكاشف عن حقائق السنن"، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق:- د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢، ومجلد للفهارس) (في ترقيم مسلسل واحد)-الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ما نصه ": الحديث الثاني والعشرون عن أبي هريرة: قوله: "وعائين" شبه نوعي العلم بالظرفين لاحتواء كل منهما ما لم يحتويه الآخر، ولعل المراد بالأول علم الأحكام والأخلاق، وبالثاني علم الأسرار المصون عن الأغيار، المختص بالعلماء بالله من أهل العرفان. وأنشد الشيخ أبو حامد لزين العابدين في المنهاج: يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا ولا ستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا. قال بعض العارفين: العلم المكنون والسر المصون علم هذه الطائفة، وهو نتيجة الخدمة، وثمرة الحكمة، لا يظفر به إلا الغواصون في بحار المجاهدات، ولا يسعد به إلا المصطفون بأنوار المشاهدات، إذ هو أسرار متمكنة في القلوب، لا يظهر إلا بالرياضة، وأنوار ملمعة في العيون لا تنكشف إلا للقلوب المرتاضة، وأهل الغرة بالله لها منكرون، وعنها مدبرون. قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردي-قدس الله سره:- علومهم كلها إنباء عن وجدان. وإغراء إلى عرفان، وذوق محقق بصدق الحال، ولم يف بنطق المقال، فاستعصت نكتها على الإشارة، وطفحت على العبارة، وتهاديها الأرواح بدلالة الالتئام والائتلاف، وكرعت حقائقها من حر الألطاف، وقد اندرس كثير من دقيق

فعليك بالتّصديق إن كنت تريد حقًّا الوصول إلى التّحقيق. فالتَّصديق في هذا الشَّأن شرط ضروري في الإنتفاع، فلا تدع الفرصة تضيع من بين يديك، والله يحميك من الصُّدود، و يقيك شرَّ الحسود. و أما قول ....، سامحه الله: " أنّ نشاط الإخوان بهذا القصيد هو أثقال فوق طاقتهم، و قوله هم لا ينطقون بأحوالهم و لكن يتجرّؤون على الأحوال، فهذا حكم تعسّفي، حيث أنه حكّم رأيه في أشياء غيبيَّة لا يعلم حكمها إلّا الله وحده، و هذا الحكم مخالف للسنّة لقوله –ﷺ– "أمرت أن أحكم بالظاهر و الله ولى السرائر[١]" و معروف عند الخاصِّ و العام أنَّ الأحوال مصدرها القلب، و أمَّا الكلام الذي تنشّط به الإخوان فهو ليس كلامهم، و إنّما هو قول القوم–رضي الله عنهم–و أمَّا الإخوان فإنّهم يذكرونه تبركا و إطلاق اللّسان في مثل ما قاله ...... هو تعدٍّ لحدود الأخوَّة واعتداء على حرمة الإخوان ووقوع في عرضهم المعنوي؛ فكان من الواجب عليه في الجواب عن استفسارك ألاَّ يخرج عن أمرين اثنين؛ الأمر الأول أن يشرح لك المسألة و يفهّمك الأمر، وذلك إذا كان من أهل المقام؛ و الأمر الثّاني أن يقول لا أدري!

و الآن أيّها الشَّاب التَّقيُّ الوفيُّ الصفيُّ أنصحك بأن تشتغل و تهتمّ بطهارة قلبك من جميع الصِّفات المذمومة، وتتحلَّى بصفات التَّقوى ما استطعت لتكون من المقبولين؛ لقوله تعالى:–

علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم. وقد قال الجنيد–رحمه الله: علمنا هذا طوى بساطه منذ كذا سنة، ونحن نتكلم في حواشيه. وروى الشيخ أبو طالب المكي عنه أنه قال: لو أن العلم الذي أتكلم به من عندي لفنى وانقطع، ولكنه من حق بدا، وإلى حق يعود." نبذة عن صاحب كتاب: " الكاشف عن حقائق السنن"، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفي:– ٧٤٣هـ): الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الردّ على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر. من كتبه: "التبيان في المعاني والبيان"؛ "الخلاصة في معرفة الحديث"؛ "شرح الكشاف"، أربعة مجلدات ضخمة في التفسير، سماه "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب"– في الخزانة الأزهرية، ومنه مجلد في الرباط – نقلا عن "الأعلام للزركلي"–بتصرف بسيط.

[١] جاء في كتاب: "المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة" ج١، ص:١٦٢ لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة:– الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ١، ما نصه:"... وفي المتفق عليه من حديث أم سلمة؛"إنكم تختصمون إليَّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذ منه شيئا"؛ قال ابن كثير: إنه يؤخذ معناه منه، وقد ترجم له النسائي في سننه"باب الحكم بالظاهر"، وقال إمامنا ناصر السنة أبو عبد الله الشافعي–رحمه الله– عقب إيراده في كتاب الأم: فأخبرهم–صلى الله عليه و سلم–أنه إنما يقضي بالظاهر، وأن أمر السرائر إلى الله.."–إنتهى.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ[١]﴾. كما أنّه إذا طهَّرت قلبك و عمَّرته بالتَّقوى فإنَّ حقيقة الذِّكر و الَّتي هي سرُّ التوحيد تتمكن من قلبك؛ و إلا فلا! كما قال الإمام الغزالي-رحمه الله و رضي الله عنه:- " حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارته بالتقوى، وتطهيره من الصفات المذمومة، وإلا فيكون الذكر حديث نفس، ولا سلطان له على القلب، ولا يدفع الشيطان[٢]"-انتهى.

و فيما ذكرناه كفاية لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكورا، و بلغ سلامنا الخالص من أعماق قلوبنا لِ .... و إلى سائر الإخوان في الله بناحية عين تموشنت[٣]، حفظ الله الجميع من آفات و سوء الإلتفات، إنّه سميع مجيب الدّعوات، و السّلام عليكم و رحمة الله، و دمتم في رعاية الله و حفظه. آميـــن.

الحاج أحمد حبيب.

الرسالة السابعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الصَّلاة و السّلام على رسول الله وعلى آله و صحبه و كلِّ من والاه. من عبد ربّه الحاج أحمد حبيب، و من معه من الإخوان الفقراء، إلى طيِّب النَّشأة صادق المودَّة، أخينا في الله السيد.......، و كافَّة أفراد أسرته، صانكم الله و رعاكم، ما دمتم لله ذاكرين شاكرين، و السّلام عليكم و رحمة

---

[١] جزء من الآية ٢٧ من سورة "المائدة".

[٢] "جواهر القرآن"،ج١، ص:١١، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. (الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".)

[٣] مدينة في غرب الجزائر و شمال شرق مدينة و عروس الغرب الجزائري، تلمسان.

الله و بركاته، و حقَّقنا و إيَّاكم بحقائق الرّضا و الرّضوان، و المَّن و الامتنان ضمن قوله تعالى:-﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)[١]﴾.

و بعد،

لقد أخبرنا أخونا الكريم سي .... عن رغبتك في ملاقاتنا بعد الإحتفال بالمولد النَّبوي الشَّريف، على صاحبه أفضل الصلاة و التسليم، ولكنَّنا رجعنا إلى أهلنا مباشرة بعد حضورنا حفل الزّفاف لأحد الإخوان الفقراء بعين الطلبة، و هو سي .... ، بارك الله له في هذا الزَّواج، وجمع بينهما على الصَّلاح و الفلاح، آمين. كما أنه أخبرنا كذلك على دوام رغبتك في الذِّكر الخاصّ، وهو ذكر إسم الله الأعظم، وفقك الله إلى بلوغ مقصودك، و نهض بحالك وهمَّتك إلى حضرة شهوده- و نور وجوده، إنه كريم وهّاب. و اعلم أيَّها الأخ الكريم، و الوليّ الحميم، أنه لا شيء تتشوَّق له النَّفس الطّاهرة، و القلوب النيِّرة كتشوِّقها للقرب من الله تعالى. و إنَّه ما بعثك على هذه الرَّغبة إلّا سابق العناية من الله -عَجَلّ-و البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه. وأمّا مسألة الذّكر الخاصّ، فإنَّ لهذا الشَّأن العظيم شروطا لابدَّ منها في حالة السُّلوك، و هي سهلة ميسَّرة على من يسَّرها الله عليه، و هي كما يلي:-

- **الشَّرط الأوَّل**: هو الإستعداد للذّكر، و معناه العزم على مواصلة الذِّكر و الدَّوام عليه.

- **و الشَّرط الثّاني**: هو الإنقطاع إلى الله بالذِّكر، قال تعالى:﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا[٢]﴾ أي انقطع إليه. و الإنقطاع إليه يكون بالإقبال عليه، و الإعراض عن غيره، قال عَجَلّ:﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا[٣]﴾، إذن، فعمدة السُّلوك الخاصّ أمران: الملازمة؛ و المخالفة. الملازمة لذكر الله تعالَى؛ والمخالفة لما يشغل عن الله. ومعناه أنّ الذّاكر عندما يشرع في الذِّكر يكفُّ عن مخالطة النَّاس، سواء كانوا عوامًّا أو خواصًا، ويكفُّ عن الخوض في الكلام، و يكفُّ كذلك عن الإهتمام بالخلق و أحوالهم، وذلك بأن يقطع عن قلبه جميع علائق الغير و السّوى، ويشتغل بالذكر سرا و جهرا، حسبما تقتضيه الظّروف، و يحرص على حضور

---

[١] الأنفال.

[٢] جزء من الآية ٨ من سورة "المزمل".

[٣] جزء من الآية ٩ من سورة "المزمل".

القلب مع المذكور، كما قال-صلى الله عليه وسلم: "أعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[١]". ومعناه إذا لم يحصل لك معنى الحضور من أنس وذوق ووجدان، فاعلم أنَّه معك يسمعك و يراك، فكن له يكن لك، وتقرَّب إليه بترك الغير، تجده أقرب إليك من كل شيء. فافهم تغنم، و الله وليّ التّوفيق.

أيّها الأخ الكريم: إنّنا ذكرنا لك البعض من شروط السُّلوك الخاصّ باختصار شديد، تسهيلا على السَّالك و الرَّاغب في ذلك.

تنبيـــه: إنّ ما ذكرناه من الشُّروط، مثل ترك المخالطة، وترك الخوض في الكلام، و ترك الإهتمام بالغير، يكون هذا فيما زاد عن الحاجة، و أمّا ما يحتاج إليه الإنسان في معاشه، وتدبير شؤون أسرته، أو ما تفرضه عليه واجبات العمل في عمله إلى غير ذلك، فهذه الحالات كلُّها لاتضرُّه إذا كان القلب دائم التعلّق بالله-جل جلاله. و أدنى درجات التعلُّق بالله هو دوام الشُّعور بمعيَّة الله و إحاطته بكلّ شيء، والمراد من هذا هو أنَّ التعلّق بالله مع كثرة الذّكر ينفي الغير عن القلب، وكلَّما انتفى الغير عن القلب إلّا و أشرقت عليه أنوار القرب-ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم.

و بعدما ذكرنا لك ما هو مطلوب في هذا الشَّأن المرغوب، وشرحنا لك الأمر حسب ما جاد به الأوان، و الله المستعان، نقول لك: إن كنت عازما على مقصودك، فكاتبنا في هذا الموضوع، أي أكتب لنا رسالة و نحن-إن شاء الله-نبعث لك بكيفية العمل. هذا إذا كان يلائمك الذّكر في منزلك أو في الزَّاوية الأمّ، و إنّه من الأحسن أن يكون ذلك في منزلك. كما نحيطك علما أن الظّروف و الأوضاع الرّاهنة لا تسمح أن يكون ذلك عندنا بالزّاوية، كما ننصحك بالعزم على مقصودك و أن تسارع إليه، و إيَّاك و المماطلة أو التسويف فإن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

ملاحظة: إنه بلغنا أن أخانا في الله، سيدي .... وفقه الله و سدد خطاه-أنه يُذَكِّر الإسم الأعظم. فإن كان هذا الخبر صحيحا، وظهر على يده الخير و انتشر، فإنه لا بأس أن تذهب إليه و تسلك الطّريق على يده. و على الله بلوغ المرام، و السّلام عليكم ورحمة الله و بركاته، و إلى فرصة أخرى إن شاء الله، ودمتم في رعاية الله في عزٍ و احترام.
أخوكم في الله الحاج أحمد.

[١] يشير الأستاذ إلى حديث جبريل-عليه السلام-الذي رواه البخاري: عن أبي هريرة قال كان النبي-صلى الله عليه وسلم-بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك-"صحيح البخاري"، حديث رقم ٥٠، جزء ١، ص:٢٨، رقم الحديث: ٢٨. انظر "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

الرسالة الثامنة:

بسم الله الرحمن الرحيم

و ما النّعمة و الفضل إلاَّ من عند الله، اللهمَّ صلِّ وسلِّم و بارك على سيِّدنا و مولانا محمَّد النُّور الذَّاتي، و السِّرِّ السَّاري في سائر الأسماء و الصِّفات، و على آله وصحبه و سلّم.

من عبد ربّه خديم النّسبة الربّانية، و الطّريقة الديلميّة، الحاج أحمد حبيب، كان الله له ولإخوانه، و أحبابه في كل شأن–آمين. إلى صافي المودَّة، جناب الصَّادق المخلص السَّيِّد..... أسعدك الله و سدَّد خطاك، و على ذكره و شكره و حسن عبادته أعانك وقوّاك، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، و أمدّك الله بروح من عنده، و أسبغ نعمه عليك، وشرح صدرك، و أنار باطنك، ورطّب لسانك بذكره، و ما التّوفيق إلّا من عنده.

وبعد:–

أيّها الأخ الكريم و الوليّ الحميم، لقد وصلتنا رسالتك الشيّقة التي طالما انتظرناها، وفور وصولها قرأناها بكلّ عناية و اهتمام، ومن خلالها أدركنا مدى تأثّرك بوفاة مقدّم الطّريقة الهبرية–رحمه الله– و أسكنه فسيح جنانه، ورزق أهله و أولاده الصَّبر و السَّلوان؛ إنّا لله و إنّا إليه راجعون. نسأل الله الثّبات على العهد و المحبّة، و أن يتوفانا و إياكم على حسن الخاتمة إنه حنّان منّان. و لا شكّ أن المقدّم المتوفّى –رحمه الله–من أهل الخير و من الصَّالحين، حسب ما ذكرت لنا في رسالتك، غير أنه ليس الشَّأن عند القوم أن يصل الإنسان إلى الخير و أن يكون من أهل الخير فقط، و إنَّما الشَّأن عندهم أن يصل العبد إلى الله و أن يكون من أهل معرفة الله. و المعرفة بالله هي أساس الدّين، لما جاء في الحديث عن رسول الله–ﷺ–أنه قال: " إنَّ دِعَامة البيت أساسه، ودِعَامة الدِّين المعرفة بالله و اليقين و العقل القامع[١]".

---

[١] جزء من حديث مذكور في "الرسالة القشيرية"، المؤلف: القشيري(المتوفي:٤٦٥ هـ)، ترقيم الحديث في "جوامع الكلم":(ر/م):٧٤/١٦٨. تمام الحديث: عن القاسم بن محمدٍ، عن عائشة–رضي الله عنها، أن النبي–صلى الله عليه و سلم– قال:"إن دِعَامةَ البيت أساسه، ودِعامة الدِّين المعرفةُ بالله تعالى واليقين والعقل القامع.فقلت: بأبي أنت وأمي، ما العقل القامع؟ قال:–الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله عز و جل". ذكر أبو نعيم الأصبهاني (المتوفي:٤٣٠ هـ) حديثا صحيحا لغيره في كتابه–"الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية لأبي نعيم الأصبهاني"، ٤٣٠هـ)، حديث رقم:٥١، دار النشر: ابن حزم، بيروت لبنان، عام النشر:١٤١٤هـ–١٩٩٣م: عن أنسٍ، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم: " إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي

و مفتاح هذه المعرفة هو الإستغراق التّام في ذكر الله تعالى، و في هذا المعنى قال الإمام الغزالي- رحمه الله : " إنّ حقيقة الذّكر لا تتمكّن من القلب إلّا بعد طهارته من جميع الأوصاف المذمومة و عمارته بالتّقوى، و إلّا فيكون الذّكر حديث نفس لا يؤثّر في القلب و لا يدفع الشّيطان[١]". و المراد بحقيقة الذِكر هي شهود المذكور مع دوام الحضور، قال شيخ شيخنا – رحمه الله و قدَّس سرَّه:-

فيكم رجال الصدور فيكم أرباب الحضور من زالت عنه السُّتور لا يرى ما سوى الله[٢].

أخي الكريم: لا شكَّ في أنَّك من عشَّاق هذا الشَّأن الرَّفيع، ومن طلَّاب معرفة ذي الجلال و الإكرام، فلتدم في الله راغبا، و لمعرفته طالبا، فإنَّه لا شيء تتشوّق له النّفوس الطّاهرة، و القلوب النيّرة، كتشوّقها للقرب من الله تعالى، و أوصيك أن تعمّر فراغك بذكر الله، و أن تكون في حالة الذِكر كأنّك تراه بحضور القلب و جمع الهمَّة. قال شيخ شيخنا رحمه الله:-

مريدا بـــادر[٣] بقــلب حــاضر لســان ذاكــر بقــولــك اللّـــه
جاهد تشاهـــد كــلّ الفـوائـــد ســرُّ الأمـــاجد في ذكرك اللّـــه

حقَّقنا الله و إيّاك بحقائقه الأقدسيَّة، وسلك بنا و بك مسلك أوليائه الصَّالحين من سلف هذه الأمَّة، و ختاما إنَّ الإخوان الفقراء هنا في الزَّاوية كلهم بخير، و هم

منادٍ في صعيدٍ واحدٍ من بطنان العرش: أين أهل المعرفة بالله ؟ أين المحسنون؟ قال: فيقوم عنقٌ من الناس حتى يقفوا بين يدي الله، فيقول وهو أعلم بذلك: ما أنتم؟ فيقولون: نحن أهل المعرفة الذين عرفتنا إياك وجعلتنا أهلا لذلك، فيقول: صدقتم، ثم يقول للآخرين: ما أنتم؟ قالوا: نحن المحسنون، قال: صدقتم "، قلت لِنَبِيِّ: ﴿ما على المُحسنِينَ من سَبيل ﴾ ، ما عليكم من سبيلٍ، ادخلوا الجنة برحمتي، ثم تبسم رسول الله- صلى الله عليه وسلم فقال: " لقد نجاهم الله من أهوال بوائق القيامة "-إنتهى بتصرف.

[١] تم تخريج قول حجة الإسلامي، الغزالي-رحمه الله، المتوفي في ٥٠٥هـ.

[٢] بيت من قصيدة "بشراكم خلاني" للشيخ أحمد العلاوي المستغانمي-قدس الله سرَّه. انظر "ديوان-العارف بالله و الدَّال عليه، الأستاذ الأكبر، أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي"، الناشر: المكتبة الدينية للطريقة العلاوية بمستغانم، الطبعة الرابعة. القصيدة موجودة في ص:١٧.

[٣] من قصيدة للشيخ أحمد العلاوي المستغانمي- قدس الله سرَّه. انظر "ديوان-العارف بالله و الدَّال عليه، الأستاذ الأكبر، أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي- القصيدة: "مريداً بادر"؛ ص:٦٦.

يرفعون لك أشواقهم الخالصة، و تحيّاتهم الطيّبة، راجين من المولى القدير كلَّ خير و سعادة الدَّارين، و السَّلام عليكم و رحمة الله و بركاته. ودمت في رعاية الله في عزٍّ واغتنام.

أخوك في الله الحاج أحمد حبيب.

الرسالة التاسعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اللهُ نُورُ السَمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[١]﴾،﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُورٍ[٢]﴾. و صلّى الله على سيّدنا محمّد النّور الذّاتي، و السِّرِّ السَّاري في سائر الأسماء و الصِّفات، و على آله و صحبه و من والاه.

من عبد ربّه الحاج أحمد، و جماعة الإخوان الفقراء الذَّاكرين بناحية خميس الخشنة، شغلهم الله بذكره، و وقاهم شرّ فتنة الخوض بين عباده–آمين.

إلى صادقي التوجُّه إلى الله و الإقبال عليه بسابق عنايته و محض هدايته، سيِّدي....... و سيدي....... ،السَّلام عليكم و رحمة الله و بركاته و رضوانه، ما دمتم لله ذاكرين، و في معرفته راغبين، أيّدكم الله بنصره و أمدَّكم بعونه، و حرسكم بعين عنايته، و منحكم من علومه اللدنّية، و حقّقكم بأسرار توحيده الخفيّة، و سلك بنا و بكم مسلك الأصفياء الأتقياء البررة أولياء الرَّحمن، و جعلنا الله و إيّاكم من عباده المخلصين و من حزبه المفلحين، أولئك حزب الله، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون–إنه وليّ الإجابة–آمين.

وبعد: لقد وافتني رسالتكم اللَّطيفة الشيّقة، و قرأتها و فهمت معناها و مغزاها، و سررت

---

[١] جزء من الآية ٣٥ من سورة "النور".

[٢] جزء من الآية ٤٠ من سورة "النور".

سرورا كبيرا لما جاء فيها ممَّا فتح الله به عليكم من إدراك سليم، و فهم جيِّد صحيح للمقصود من صحبة القوم و سلوك طريق الصَّالحين الموصِّل إلى حقيقة اليقين. و كلّ ما سوى اليقين فهو زبد تذروه الريَّاح، قال تعالى: ﴿فَأَما الزبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَما مَا يَنْفَعُ الناسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ[١]﴾، قال ابن عباس–رضي الله عنهما: "الزبد هو الشك و الوهم و الظن[٢] وأمّا ما ينفع النّاس فهو اليقين يقيم في القلب و يستقرُّ فيه"–انتهى. فصاحب اليقين يعمل على بيِّنة من ربِّه و على بصيرة من أمره، وغير صاحب اليقين يعمل حسبما يصوُّره له وهمه و خياله، و لا محالة من أن يتَّبع هواه و هو يحسب أنه يحسن صنعا، قال تعالى:﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِهِ كَمَنْ زُيِنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)[٣]﴾. فاحمدوا الله و اشكروه على ما أنعم عليكم به من صفاء و صدق و إخلاص و هداية، ثم فتح عليكم بالفهم و الإدراك في هذا الشَّأن العظيم؛ ﴿إِن اللهَ مَعَ الذِينَ اتقَوْا وَالذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)[٤]﴾. فاثبتوا يا إخواني على ما أنتم عليه و واصلوا السَّير بدوام الذِّكر و شيء من التَّفكر و لا تتوقّفوا مع ما يفتح الله به عليكم، بل واصلوا الطَّلب لمعرفة الفتَّاح لتكونوا من العارفين بالله حقَّ معرفته، و عندها ينطبق عليكم قول ابن عطاء الله–رضي الله عنه– حيث يصف العارفين فيقول: " العارف بالله لا يزول اضطراره و لا يكون مع غير الله قراره[٥]". و إذا كان لديكم متَّسع من الوقت فراجعوا ديوان سيدي أحمد العلاوي–رضي الله عنه–و بالضَّبط القصيدة الأولى[٦] من الدِّيوان، فإنَّكم تجدون الفرق بين

---

[١] جزء من الآية ١٧ من سورة "الرعد".

[٢] سبق الكلام فيما قاله حبر الأمة–رضي الله عنه–في معنى هذه الآية.

[٣] من سورة "محمد" – صلى الله عليه وسلم.

[٤] النحل.

[٥] جاء في تفسير هذه الحكمة العطائية في كتاب ابن عجيبة الأنجري الفاسي؛ "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، ح٢، ص:١١٩، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي–القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ ؛ ما نصه: "....فإن الأسماع والأبصار والقلوب بيد الله، يُقلبها كيف شاء، فإن أخذها لن يقدر على ردها، ولذلك كان العارف لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره، والعذاب الذي يأتي بغتة، هو السلب بغتة، أي: فقد القلب في مرة واحدة، والذي يأتي جهرة هو فقده شيئًا فشيئًا، وسبب هذا الهلاك: هو ظلم العبد لنفسه، إما بسوء أدب مع الله، أو نقض عهد الشيوخ العارفين بالله. وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

[٦] يشير الأستاذ إلى القصيدة اللامية التي ابتدأ بها ديوانه–الأستاذ و شيخ زمانه، أحمد العلاوي المستغانمي الجزائري–

حقيقة السُّلوك و بين المكتفين بظاهر التبرُّك. فطالعوا هذه القصيدة المباركة، و أمعنوا النَّظر فيها فإنّها زاخرة بالحقائق و اللّطائف و الأسرار. فغوصوا في بحر معانيها برفق، و إيَّاكم و التَّكلّف و التَّشدُّد في التَّفكّر فإن ذلك غير محمود[١]، و لا بأس به في غيره؛ مثل الذّكر، فإن التَّكلُّف في الذّكر محمود مالم يتجاوز الحدود، وخير الأمور أوسطها و أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها و إن قل. و إذا قلتم لماذا يجوز التَّكلف في الذّكر دون التَّفكر؟ قلنا لكم: إنَّ التَّكلُّف في العبادات الحسِّيَّة قد أمر به الشَّرع و له فوائد و منافع كثيرة لا تنحصر–نذكر البعض منها على سبيل المثال: إنَّه، أي التَّكلُّف في العبادات، لا يشغل القلب عن التَّعلّق بالله و الإقبال عليه و الشَّوق إليه، و لا يشتّت البال و لا يفرّق الهمَّة. بل إنّ العبادات الحسّيَّة لها دور كبير في جمع الهمَّة على الله، و خصوصا الذّكر، كما جاء عن الإمام القشيري أنّه قال: " الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وهو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله سبحانه إلا بدوام الذكر، ثم الذكرُ على ضربين: ذكر باللسان؛ وذكر بالقلب؛ فذكر اللسان–به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، والتأثيرُ لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه[٢]". وقال ابن عطاء الله–رضي الله عنه: " لا تترك الذّكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه، لأنّ غفلتك عن وجود ذكره أشدَّ من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عمَّا سوى المذكور و ما ذلك على الله بعزيز"–انتهى.

قدس الله سرَّه. من بين أبياتها الشيقة ما يلي:–

أيا أيُّها العشَّاقُ للمَحضَرِ الأعلى   عِيدونا بوَصلِكُم فلكُم فينا وَصلا
فهذا وقت النُّهوض للمقام الأسنى   فللَّه الحمدُ حيثُ كُنَّا لهُ أهلا
دعانا داعيُ اللَّهِ قَبلَ وجُودِنا   ولمَّا كان الوجود سمعنا لهُ قولا
فحنَّ حمامُ الوصلِ من بعدِ فصلهِ   فصِرنا على جمعٍ تاللَّهِ ولا حولا

[١] التشدد في التفكر هو تشغيل العقل في حل ما يستصعبه العقل في فهم أقوال العارفين. و التفكر المحمود هو ما نتج عنه فهمٌ و إلهامٌ من قبل الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾. و الله و رسوله أعلم.

[٢] "الرسالة القشيرية"، ج٢، ص: ٣٧٤. الكتاب: الرسالة القشيرية"، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.

و أمّا التّكلّف و التّشدُّد في التّفكُّر فإنّه يتعب القلب و يشغله عن الحضور، و يلفته إلى غير مقصوده وخصوصا في حالة السلوك. و أمَّا الواصلون فلا يضرُّهم ذلك لأنَّهم جمعوا بين الأمرين؛ بين الظَّاهر و الباطن، حيث عرفوا الله في الحالتين، فإنّهم يجدون في الذّكر ما يجدونه في التفكّر. و أمّا بالنِّسبة لكم في الوقت الحالي؛ فالواجب هو أن تداوموا على الذِّكر مع شيءٍ من التَّفكر، فإن وجدتم الفتح في التّفكر فغوصوا بالفكر و الدَّاعي دعاكم. و هكذا يكون عملكم يتراوح بين ذكر و تفكّر و عبرة و مطالعة للكتب الحيَّة، وحيثما وجدتم بغيتكم من ذوق، و وجدان، وانشراح، واطمئنان؛ فارتعوا في رياض الجنّة، جنَّة المعارف.

ملاحظة: إنّي أخاطبكم بصيغة الجمع تفاؤلا في الله أن يرزقكم إخوانا أصفياء صادقين و أن يقوِّيكم عددا و مددا، و رجاؤنا لذلك قويٌّ متين، و الله عزيز حكيم.

و إلى اللّقاء في تلمسان ليلة المولد النَّبوي الشَّريف، على صاحبه أطيب الصَّلاة و أزكى التَّسليم. و إليكم هذين البيتين من كلام بعض الصالحين:-

مهما تعــدَّيت[١] عن الأجــسام
أبصـرت نـور الحقِّ ذا ابتسـام[٢]

قلــوب العارفين لــها عُــيـون
تــرى مـا لا يُرى للنــاظــريــن

وبلّغوا سلامنا الخالص من أعماق قلوبنا إلى كافَّة الإخوان الفقراء الذَّاكرين كبيرا و صغيرا، خصوصا سيدي..... المقدم -رعاه الله و سدّد خطاه- و لا تنسوا أن تبلّغوا عنَّا أطيب التَّحيَّات إلى ذلك الشاب الصالح سي...... بناحية عين تموشنت، شفاه الله و ثبّت خطاه، ودمتم في رعاية الله و حفظه آمين

الحاج أحمد، في ١٨/٠٦/١٩٩٨م.

[١] تعديت عن الأجسام: أي أبصرت بنور المعرفة ما وراء حجب الأجسام؛ و في هذا المقام يقول إبن عطاء الله السكندري-رحمه الله: "الأجسام ظاهرها غرة و باطنها عبرة".

[٢] أي شاهدت نور الحق في الوجود؛ و إليه الإشارة في قول الحق سبحانه و تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ من سورة "النور"، جزء من الآية ٣٥-و الله أعلم.

الرسالة العاشرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلناسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ[١]﴾،
و صلى الله على من أرسله الله رحمة للعالمين بشيرا و نذيرا و سراجا منيرا و على آله و صحبه وسلم تسليما كثيرا.

من عبد ربّه، الحاج أحمد و جماعة الإخوان الصوفية بناحية خميس الخشنة و بوزريعة، صانهم الله وثبّت قلوبهم على دينه الخالص إلى يوم لقائه، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. إلى كافّة إخواننا، و أحبابنا في الله و لله بناحية بني صاف و عين تموشنت و عين الطلبة[٢] ممن يذكرون الله كثيرا، و يسبّحونه بكرة و أصيلا، حفظكم الله ووقاكم، و على ذكره و شكره و حسن عبادته،أعانكم و قوّاكم، و السّلام عليكم ورحمة الله و بركاته و رضوانه ما دمتم لله ذاكرين، شاكرين، و لنفحاته متعرّضين، خصوصا في هذا الشّهر الكريم، شهر رمضان المبارك الذي أوّله رحمة، ووسطه مغفرة، و آخره عتق من النّار. وفيه،أي شهر رمضان المعظّم،تضاعف الحسنات إلى سبع مئة ضعف، و الله يضاعف لمن يشاء، كما فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، و فيه جاء:﴿من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه[٣]﴾؛ و في رواية؛"خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[٤]". جعلنا الله و إيّاكم من المفلحين الفائزين الحائزين على ما جاء في هذا الشّهر المبارك من رحمة و غفران و عتق من النّار و خيرات و بركات و أسرار و أنوار ممّا لا يدخل تحت وصف أو حصر. و الله يؤتي فضله من يشاء بغير حساب.

و لا شكّ في أنّكم تكونون قد استغنمتم هذه الفرصة الربّانية العظيمة التي أتاحها الله لعباده المؤمنين الصّادقين ليسعدهم في كل سنة سعادة شاملة لجميع حالاتهم إلا من أبى و أعرض عن

---

[١] جزء من الآية ١٨٥ من سورة "البقرة".

[٢] عين الطُّلبة: إحدى بلديات ولاية عين تموشنت بغرب الجزائر.

[٣] "صحيح البخاري"، ج١، ص:٢٢، رقم الحديث:٣٨-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٤] "صحيح ابن خزيمة"، ج٢، ص:١٠٥٣، رقم الحديث:٢٢٠١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".نص الحديث- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال ، قلت لأبي سلمة : ألا تحدثنا حديثا سمعته من أبيك ، سمعه أبوك من رسول الله-صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : بلى، أقبل رمضان ، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - : " إن رمضان شهر افترض الله صيامه، وإني سننت للمسلمين قيامه، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ".

نفحات الرَّحمن فذلك هو الشقي، كما قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم : "....الشقيُّ من حرم فيه رحمة الله عز و جل[١]"–أي في رمضان–و من هنا نقول لكم جميعاً:صيام مبارك و عيد سعيد و كل عام و أنتم بخير! كما نهنّئكم على ما أتاكم الله من عظيم فضله و نعمته حيث وفّقكم لبناء جامع الزاوية. و ما هذه الزّاوية المباركة إلاّ بيت من بيوت الله الّتي أذن الله فيها أن ترفع و يذكر فيها إسمه، ويسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال، رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصَّلاة و إيتاء الزكاة. و أنتم–هم هؤلاء الرجال إن شاء الله، فقوموا بالشُّكر و الله يرعاكم، و أروا الله خيرا من أنفسكم. فإنَّه تعالى يحبُّ أن يرى نعمته عليكم و أنتم ذاكرين له، شاكرين لأنعمه، مقبلين عليه بقلوب طاهرة و نفوس زكيَّة، و معتصمين بالله مولاكم فإنَّه نعم المولى و نعم النَّصير، ومتمسِّكين بكتاب الله و سنَّة رسوله–ﷺ–اللّذين، من تمسك بهما، لن يضلّ أبدا. واذكروا نعمة الله عليكم إذ نزع الغلّ من صدوركم، و ألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا على سرر متقابلين، فيالها من نعمة عظيمة أنعم الله بها على عباده الصَّالحين عامَّة، و العارفين منهم خاصَّة؛ كما قال شيخ شيخنا رضي الله عنهما: –

حال العارفين متقابلين على سررٍ مستبشـرين[٢]

و ما قول الشّيخ–رضي الله عنه–إلّا تصوير و تبيان لصفاء قلوب العارفين. و في هذا المعنى قال رسول الله–ﷺ–عندما قيل له: من خير النّاس أو أفضل النّاس يا رسول الله؟ قال:۞كل مخموم القلب صدوق اللسان! قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد [٣]۞. و اعلموا إخواني الأفاضل، علّمكم الله من علمه المكنون و سره المصون، أنّ هذا الّذي ذكرناه لكم في هذه الرسالة القصيرة، ما هو إلّا كقطرة في بحر زاخر ممّا عشناه مع أستاذنا و مربّينا الهمام، الشّيخ سيّدي علي البوديلمي[٤]–رضي الله عنه و أرضاه– ذلكم

[١] جزء من حديث. نص الحديث: عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال يوماً–وحضر رمضان: " أتاكم رمضان، شهر بركة يغنيكم الله فيه، فينزل الرحمة ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل"–رواه الطبراني في الكبير. الحديث مذكور في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، ج٣، ص:١٤٢، رقم الحديث: ٤٧٨٣، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، موضوع المرجع: متون الحديث، عدد الأجزاء: ١٠، الناشر: مكتبة القدسي–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٢] بيت من منظومة "صفت النظرة" للشيخ أحمد العلاوي–قدس الله سرَّه. انظر ديوان الشيخ العلاوي.

[٣] حديث حسن؛ "سنن ابن ماجة"، ج٢، ص:١٢٦١، رقم الحديث: ٤٢١٦–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٤] شيخ الأستاذ و شيخنا في التصوف الإسلامي، الاستاذ علي البوديلمي المسيلي الجزائري. كان–رحمه الله –من علماء الجزائر. إنتقل إلى جوار ربِّه في سنة ١٩٨٨ م. دُفن–رحمه الله–في مقبرة تلمسان.

الرسالة الحادية عشر:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا(٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا(٩)﴾[١]- صدق الله العظيم.

و صلى الله على سيدنا محمد الهادي إلى صراط الله المستقيم الذي كان يذكر الله على كل أحيانه و على آله و صحبه و سلم تسليما.

من عبد ربه أحمد حبيب بالجمهورية الجزائرية كان الله له و لإخوانه في كل شأن معينا و مرشدا، آمين.
إلى طيب النشأة الذاكر الشاكر، سيدي .... ببلد البرازيل و من معه من الإخوان الذاكرين الشاكرين لله رب العالمين، صانكم الله جميعا و قوّى عزمكم على ما يرضي ربكم من صالح الأعمال و نهض بهمتكم إلى صدق التوجه إلى الله و التقرب إليه؛ و ذلك بالتمسك بكتاب الله عز و جل و سنة رسول الله -ﷺ- و الإكثار من ذكر الله -جل جلاله- إذ به يكون اطمئنان القلوب و حياتها.

و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته و رعاكم الله بعين عنايته و كان لكم بتوفيقه في كل شأن من شؤونكم بما ينفعكم في دينكم و دنياكم، إنه ولّي المؤمنين و هو يتولى الصالحين.
و لقد وصلتنا رسالتكم الطيبة و قرأناها عدة مرات لما فيها من الكلام الطيب و إخلاص المحبة لله تعالى، كما أننا اطلعنا من خلالها على شديد رغبتكم و تأهّبكم لدخول الخلوة رغم ما تعانونه في ذلك من ضعف الإرادة، نسأل الله القوي أن يقوي عزمكم و أن ينهض بحالكم إلى أحسن حال، إنه على كل شيء قدير، و الذي أوصيكم به في هذا الظرف هو أن تثبتوا على ما أنتم عليه مع ملازمة الذكر على قدر استطاعتكم، و اعلموا أنه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[٢]﴾، و في آية أخرى﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ[٣]﴾، و أما تعيين الوقت بالساعة التي قبل الفجر فهو ترغيب منّا في الوقت الأفضل على سبيل الاستحباب فقط؛ فمن لم يتيسر له ذلك فلا حرج عليه، فالمطلوب هو أن يأخذ الفقير المأذون

---

[١] المزمل.

[٢] من الآية ٢٨٦ من سورة "البقرة".

[٣] جزء من الآية ٧٨ من سورة "الحج".

في ذكر الاسم [الأعظم] حصة من الوقت في ليله أو نهاره يذكر فيها الله جل جلاله حتى يتسنى له دخول الخلوة ليذكر الله في أيام معدودات، و هناك إن شاء الله تفيض على قلبه أسرار التوحيد الخفيَّة و يشاهد أنوار الوجود في فضاء الشهود و يمنحه الله الذكر الدائم ضمن قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ[١]﴾، فيصير مولعا بذكر الله في الخلوة، و بين أظهر الناس، قلبه في مشاهدة آيات الحق، و بدنه في معاملة الخلق بالله و لله، لقوله-ﷺ-"الدين المعاملة[٢]" و قوله: "و خالق الناس بخلق حسن[٣]"-أي عاملهم بالله و لله لا بنفسك و هواك، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.[٤]﴾ .

و أما كونكم عندما تستيقظون قبل صلاة الصبح تراود فكركم أمور الدنيا المتعلقة بانشغالات العمل، فنقول للأخ الكريم هذا شيء عادي طبيعي تقتضيه حياة الإنسان عامة، خصوصا من كانت له أعمال و أشغال هامة منوطة به، و الصالحون في حياتهم البشرية هم من جملة الناس غير أنهم لا تؤثر عليهم الحياة الفانية؛ ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ[٥]﴾ . إذن التفكر في أشغال الدنيا الصالحة لا بأس به باستثناء العبادات التي يطلب فيها حضور القلب و الخشوع الذي هو سر الحياة في العبادة مثل الصلاة و تخريج الأوراد و التفرغ لذكر اسم الله المفرد، فإن هذه الحالات لا يجوز فيها التفكير و الانشغال بشؤون الدنيا لأن التعلق بغير الله فيها يتنافى مع الخشوع، و الله تعالى يقول: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)[٦]﴾، و أما الأفكار الفارغة التي لا فائدة منها و لا منفعة ترجى فإن تركها و الاستغناء عنها أحرى و أولى

---

[١] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

[٢] لم أجد هذا الحديث في أي من المصادر. بحثنا يشير أنه شاع عند الناس قولهم: "الدين المعاملة"؛ فبعضهم يعده حديثاً؛ والآخرون يطلقونه مثلاً، ولم نطلع عليه في أي من المصادر الحديثية - والله أعلم.

[٣] جزء من حديث صحيح؛ مذكور في "مسند الإمام أحمد"، ج١، ص:٢٣٦، رقم الحديث: ٢١٥٥٤-"انظر موسوعة "المكتبة الشاملة".

[٤] جزء من الآية ٩ من سورة "الحشر".

[٥] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

[٦] المؤمنون.

لقوله-ﷺ: ﴿من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[١]﴾، و الذي أرشدكم به في هذا الظرف هو:-

- **أولا**: أن تحافظوا على الشريعة المطهرة في جميع أعمالكم و سلوكاتكم مع أداء ما افترض الله عليكم على أحسن وجه و الإكثار من ذكر الله عز و جل و مراقبته سبحانه و تعالى و ذلك أن تعلموا بقلوبكم أن الله يراكم على الدوام و يعلم سركم و علانيتكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا[٢]﴾.
- **ثانيا**: أن تواظبوا على قول "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت" إحدى و أربعين (٤١) مرة بين صلاة الفجر و صلاة الصبح و لا بأس أن تكثروا منه في سائر الأوقات فإن فيه سرا عظيما لحياة القلوب و تنويرها؛ و أعني بذلك "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت".
- **ثالثا**: ذكر اسم الله المفرد-الإسم الأعظم في أي وقت تيسر لكم من أوقات فراغكم لتستعينوا بذلك على أمور دينكم و دنياكم، و في نفس الوقت يكون ذلك استعدادا لعمل الخلوة إن شاء الله، و ليكن هذا الذكر جهرا إن أمكن ذلك أو متوسطا و إلا فالسر أولى؛ فإن لم يتيسر أمر هذه الخلوة الاستعدادية فلا بأس بتركها حتى يمن الله عليكم بقوة الإرادة و العزم فتدخلون في الذكر باطمئنان و انشراح و ذوق و وجدان، و ما ذلك على الله بعزيز، إنه كريم وهّاب.
- **رابعا**: عندما تأخذون مضجعكم للنوم اجعلوا يدكم اليمنى على صدركم و قولوا "يا باعث" مائة مرة و واحدة، و انووا بذلك أن يقويكم الله على ذكره و شكره و حسن عبادته، فإن الله يبعث فيكم قوة العزم و الإرادة في طاعته و ذكر هذا العدد من اسمه تعالى "الباعث" خاص بسيدي ....، فتح الله عليه و على إخوانه بكل خير.

هذا، و إننا قد توسمنا فيكم و في سيدي .... الخير و الصلاح في طريق القوم التي نحن و إياكم عليها إن شاء الله، و لأجل ذلك فإننا نريد أن نكلف أحدكما بمهمة نبيلة هي الإذن في خدمة الطريقة المتمثل في إعطاء الوسيلة أعني "العهد[٣]"، خدمة لديننا الحنيف و نشر محاسنه الطيبة البهية التي هي أصل التصوف و حقيقته التي يستمد منها الصوفي الحقيقي في سلوكه السليم. و أعني بالسلوك السليم؛ حالات المؤمن الثلاث المنوطة به، الملازمة له في كل مجال من مجالات حياته، و هي القول، و الفعل، و الحال؛ أو قل هي المعاملات الثلاث: معاملته مع الله عز و جل، و معاملته مع نفسه، و معاملته مع الناس، كما جاء في الحديث النبوي الشريف حيث يقول -ﷺ:-

---

[١] حديث صحيح: انظر "حاشية السندي على ابن ماجة"، ج٢، ص:٤٧٤، رقم:٣٩٧٦. نص الحديث: عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال؛ قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم:"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه."

[٢] جزء من الآية رقم ١ من سورة "النساء".

[٣] العهد على طاعة الله و رسوله-صلى الله عليه وسلم-و الإستقامة.

﴿ اتق الله حيث ما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن[١] ﴾؛ فهذا هو التصوف الخالص المبني على محض الإخلاص لله في السر و العلانية و حسن المعاملة مع الناس.

و الأمر في هذه المسألة يرجع إليكم فأنتم أدرى بحالكم و أحوال الناس عندكم، فإذا كنتم ترغبون في ذلك بلا حرج و لا تكلف؛ فأخبرونا-فإننا إن شاء الله نعطيكم الإذن و نعطيكم كيفية العمل، و إن لم يكن لكم استعداد أو كنتم ترون أن في الأمر كلفة و مشقة فلا جناح عليكم؛ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا[٢]﴾ فإنكم بخير و الحمد لله، و إنكم من الصالحين ما دمتم لله ذاكرين و على عهده و محبته ثابتين راسخين.

و أما الذي شهدتموه من الخير و البركة على سيدي .... إنما هو محض الفضل من الله الجواد الكريم، فالمطلوب منه أن يواصل الذكر الكثير مع دوام الحضور و تعلق القلب بالمذكور ليكون دائما في زيادة من القرب من مولاه عز و جل، و من لم يكن في زيادة فهو في نقصان. و أما أنتم و من معكم من الإخوان الصادقين الراغبين في الخروج من الظلمات إلى النور و الوصول إلى محض الرضا و الرضوان من الله الكريم المنان، فاعلموا أنه ما هداكم إلى طريق الذكر و صحبة الذاكرين إلا و هو يريد أن يوصلكم إلى حضرة قدسه و عظيم قربه مع المنعم عليهم من النبيئين و الصديقين، و لكن كما يريد و في الوقت الذي يريد، و ما على العبد إلا الاستعداد بذكر الله تعالى، كما جاء في محكم التنزيل: ﴿يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الذِي يُصَلِي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُلُمَاتِ إِلَى النورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)[٣]﴾ .

و في الختام-إخواني الأعزاء، وفّقكم الله إلى ما يحب و يرضى و سدّد خطاكم و سلك بنا و بكم مسلك أوليائه الصالحين من سلف هذه الأمة، و إلى فرصة أخرى. دمتم في رعاية الله و حفظه آمين.

أحمد حبيب، حررت في: ٢٠/٠٢/٢٠٠٧م.

---

[١] حديث صحيح. انظر "المستدرك على الصحيحين" للحاكم النيسابوري، رقم الحديث في المطبوع: ٥٤-"موسوعة جوامع الكلم".

[٢] جزء من الآية ٢٨٦ من سورة "البقرة".

[٣] الأحزاب.

الرسالة الثانية عشر:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و كفى، و الصلاة و السلام على عبده المصطفى الأمين و على آله و صحبه و سلم تسليما. من عبد ربّه أحمد حبيب ببلد الجزائر، و من معه من الأحباب في الله و لله، صانهم الله و رعاهم-آمين.

إلى من سبقت له من الله العناية فأشرقت عليه أنوار الولاية فأخرجته من ظلمات الحس إلى معاني أسرار حضرة القدس، سيدي .... و من معه من الإخوان لله و في الله، أخص بالذكر منهم الذاكر الشاكر السيد .... حفظكم الله و صانكم من كل مكروه، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته؛ ما دمتم على الله مقبلين و إليه متوجهين و بكتاب الله و سنة رسول الله مستمسكين، و الله ولي الذين آمنوا و هو يتولى الصالحين.

و بعد، سيدي الكريم، لقد وصلت بأيدينا رسالتكم الطيبة و قرأناها و فهمناها فهما جيداً و سررنا بها كثيراً، حيث أطلعتمونا من خلالها على ثباتكم في طريق القوم، طريق الذكر و الصدق و الإخلاص-لله و بالله، غير أننا تأسفنا شديد الأسف لما نزل بكم من الظنون التي بلغت بكم إلى تلك التصرفات الجلالية القاسية نحو زوجتكم الكريمة و إخوانكم الفقراء الميامين-و لكن في نهاية الأمر رجعنا إلى الله بالحمد و الثناء حيث أنكم خرجتم بلطف الله مما أصابكم بسلام و لله الحمد. و لا شك أنكم كنتم مغلوبين على أمركم فيما صدر منكم، و في مثل هذه الأحوال كان المطلوب منكم إخبارنا بذلك على الفور حتى نرشدكم و نوجهكم بالأسلوب الجيد و الطرق السليمة للخروج من محنتكم، و لكن قدّر الله و ما شاء فعل. و أمّا الذي عليكم فعله الآن فهو إنقاذ زوجتكم الطيبة من الهلاك و الخسران و بنتيكم، و الله يعوض لكم ما فات بالهناء و الرخاء و حسن المعاشرة، فكن عفوّا سمحاً كي تحظى بما أعدَّه الله للعافين عن الناس من الأجر العظيم في قوله عز من قائل:- ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ[1]﴾ فبكظمك الغيظ و عفوك عمن أساء إليك تكون، إن شاء الله، من المحسنين الذين يحبهم الله لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، و أمَّا مفارقة

---

[1] جزء من الآية ١٣٤ من سورة "آل عمران".

الإخوان الفقراء فإن ذلك من أسوء حالات المؤمنين لقوله-ﷺ: "الجماعة رحمة، و الفرقة عذاب[١]".
و من ذلك قول سيدي أحمد العلاوي-رضي الله عنه:-

جمعكم عين الرحمة　　جمعكم فيه حكمة　　و من حبّكم سمى　　عليكم رضوان الله[٢]

إذن، فالواجب عليكم جميعا هو أن ترجعوا إلى الله و تجمعوا شملكم به على بساط ذكره و الأخوة الصادقة من أجله، فإذا فعلتم ذلك فإن الله يمدّكم بجند الأنوار و يقطع عنكم مدد الظلم و الأغيار و ينصركم على النفس و الشيطان و الهوى و يرزقكم من حيث لا تحتسبون حسّا و معنى.

و أمّا استفساركم عن المرحلة الأخيرة من الخلوة، فاعلم، سيدي الكريم، أن الخلوة بمراحلها الثلاث هي عبارة عن التوجه التام إلى الله و الإقبال عليه بنيّة صادقة؛ فالمرحلة الأولى تعني الانقطاع إلى الله ضمن قوله تعالى:- ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا(٨) [٣]﴾ ، أي انقطع إليه انقطاعا، فهي مرحلية إعدادية أو قل استعدادية لما يستقبله صاحب هذه الخلوة من تجليات إلهية و فيوضات ربّانية قدسية؛ و المرحلة الثانية من الخلوة تتضمن بداية وجدان معاني و أسرار حقيقة التوحيد التي يفيضها الحق على قلوب أوليائه الصالحين في خلواتهم، مما لا يدخل تحت وصف أو حصر، و لا شكّ أنكم نلتم نصيبكم من ذلك و الحمد لله على عظيم فضله و نعمته.
و ليعلم سيدي الكريم أن شروق أنوار هذه المرحلة الثانية يشتمل على معنى قوله تعالى:-

---

[١] جاء في "التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد" لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ج٢١، ص:٢٨١ ما نصه: وروى النعمان بن بشير ، عن النبي-صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب" . والآثار المرفوعة عن النبي-صلى الله عليه وسلم -في هذا الباب كثيرة جدا، وكذلك عن الصحابة أيضا . وروى أبو صادق ، عن علي بن أبي طالب أنه قال : إن الإسلام ثلاث أثافي- الإيمان، والصلاة، والجماعة، فلا تقبل الصلاة إلا بإيمان، ومن آمن صلى وجامع، ومن فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه . بطاقة الكتاب: "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢٤.

[٢] من قصيدة "بشراكم خلاني"، "ديوان العارف بالله و الدال عليه الأستاذ الأكبر أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي"-رضي الله عنه. القصيدة موجودة في صفحة ١٧، الطبعة الرابعة-الناشر: المكتبة الدينية للطريقة العلاوية بمستغانم.

[٣] المزمل.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ[١] ﴾-فبظهور هذه الآيات، آيات القرب و التداني يطمئن القلب و ينشرح الصدر و يهبّ نسيم القرب على الروح بعد طهارتها من كدورات الحس فتجول في حضرة الأنس حسب استعدادها، و علامة ذلك وجود حلاوة الذكر و الشوق إلى شهود المذكور.
و أمّا المرحلة الثالثة و الأخيرة التي طلبتم منا شرحها بالتفصيل، فاعلم، علّمك الله، أنّ شرحها بالتفصيل لا تسعه هذه العجالة القصيرة، و لكن عملا بالمثل المشهور: ما لا يدرك جلّه لا يترك كلّه، أقول؛ مستلهما من الله الصواب، و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب:-
إنّ المرحلة الأخيرة من الذكر الخاص لها معنيان؛ الأول يفيد معنى قوله تعالى من الجملة ما قبل الأخيرة من آية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ ، و هي قوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فبعدما يشاهد الذاكر معاني الآيات في الآفاق، و "الآفاق" هنا هي ما خرج عن نفس الإنسان من فضاء و أكوان، يعكس الذاكر في هذه الحال نظره في باطنه و يذكر الله في نفسه حتى يشاهِد من آيات ربّه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)[٢]﴾. أما المعنى الثاني، فإنّ الذاكر لا يزال يذكر الله في نفسه و يتحرى الذكر و الله عز و جل يذكره و يكشف له عن آياته التي ما هي إلا آثار أنوار صفاته حتى يخرجه برحمته من الظلمات إلى النور؛ فحينئذ يتحقق الذاكر بمعرفة الله في كل شيء، و ذلك معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ[٣] ﴾-غير أن هذا الإدراك هو إدراك أوّلي يسمى بشروق أنوار بداية المعرفة، و لذا يجب على الذاكر بعد خروجه من الخلوة مواصلة الذكر و الثبات عليه مع القيام بشؤون عائلته، و كذلك أعمال معيشته؛ بحيث أن هذه المهام الدنيوية لا تتناقض مع الحياة الروحية، و الذي يجمع بينهما يكون قد تحقق.

تنبيه:
ليعلم الأخ الكريم أنه بعد انتهاء أيام الخلوة المعدودات يكون قد تمكن إن شاء الله من حالات الذكر الثلاث؛ البداية؛ و الوسط؛ و النهاية ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢)[٤]﴾ ، فإن ذكر الله في الآفاق يجد أن

---

[١] جزء من الآية ٥٣ من سورة "فصلت".

[٢] الذاريات.

[٣] جزء من الآية ٥٣ من سورة "فصلت".

[٤] النجم.

الله هو الظاهر–ليس فوقه في الظهور شيء، و إن ذكره في نفسه يجد أن الله هو الباطن–ليس دونه في البطون شيء، و معنى قولنا يجد أن الله كذا و كذا أي أنه يعلم بنور إيمانه علما يقينا لا يقبل النفي بأية حال أن الله هو الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم، و أن سائر المخلوقات هي مظاهر وحدانيته، كما قيل: "في كل شيء له آية تدّل على أنّه الواحد"؛ فافهم، فهّمنا الله و إيّاك. كما أن هذه المعرفة تحصل للذاكر تدريجيا، أي شيئا فشيئا، و ذلك بدوام التعرض لنفحات الله و الاستعداد لمنحه و مواهبه بملازمة ذكره، كما قال الشيخ أبو حامد الغزالي–رضي الله عنه: فعمدة الطريق أمران: "الملازمة؛ و المخالفة؛ الملازمة لذكر الله؛ و المخالفة لما يشغل القلب عن الله، و هذا هو السفر إلى الله". انتهى كلام الإمام.

و أمّا ما يطرأ على الذاكر من مشاهدات، فاعلم أن المشاهدات هي أمور ذوقية وجدانية، بل هي لطائف ربانية لا تدخل تحت وصف أو حصر، و إنما يجب التعامل معها بما يلي: أن يعمل الذاكر بالبيّن الواضح منها، أي المشاهدات، و البيّن الواضح هو الذي لا يخالف كتابا و لا سنّة و لا إجماعا. و مثل ذلك كمثل رجل له بستان فيه من جميع أصناف الفاكهة؛ لكن يوجد منها الناضج؛ و غير الناضج–فالمطلوب منه في هذا الحال أن يأخذ ما نضج و صلح للأكل و يترك غير الناضج حتى ينضج و يطيب للأكل، فإن تناول غير الناضج من الفاكهة فإنه يجد لها طعما غير طعمها الحقيقي، و إذا ما أخبر بذلك الطعم فإنه يخبر عن غير الطعم الحقيقي للفاكهة. فهذا المثل ضربناه للفهم الصحيح و الفهم غير الصحيح؛ فإن الفاكهة واحدة و الطعم يختلف حسب النضج و عدمه، و لهذا فإنه يجب على المريد ألاّ يستعجل الفهم و المعرفة من الله، و إنّما يستعجل الآداب و الاستعداد من نفسه، هذا هو المشهور المعتمد في التربية و السلوك الخاص عند أهل الله المحققين، و الله يقول الحق و هو يهدي السّبيل. و أما أوراد الطريقة التي طلبتم منا أن نفيدكم بها فإنها تصلكم إن شاء الله مرفقة بهذه الرسالة، و أما النسخة الصوتية المسجلة فسنحاول عندما تتوفر لدينا أن نفيدكم بها عن طريق البريد الالكتروني، إن شاء الله.

و أمّا استدراك ما ضاع منكم من الوقت فاعلم أن الوقت لا يستدرك و إنما الذي يستدرك هو ما في الوقت من الأجر و الثواب و القربات، و استدراك ذلك يكون بالنّدم على ما فات من الموافقات و الحرص على الاستقامة في الآتي؛ لقوله تعالى:– ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) [1] ﴾ .

---

[1] الفرقان.

و أمّا انشغالك أخي الكريم بهموم الغير على حساب نفسك فإنه انشغال في غير محلّه، و إنّ المطلوب منك هو الاشتغال بهمومك، و أمّا الغير فتحب لهم الخير و تكره لهم ما تكره لنفسك من الشّر ؛ الله حفيظ عليهم و ما أنت عليهم بوكيل، و خير الأمور أوسطها.

أمّا زوجتك الطيبة التي دامت لك مخلصة وفيّة طيلة عشر سنوات–فإنّها الآن في محنتها هاته تنتظر منك العطف و الإحسان و العفو عما صدر منها من إساءة نحوك، و اذكر قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلا الْإِحْسَانُ(٦٠) [١] ﴾؛ و في آية أخرى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ[٢] ﴾. فانقذ إذن زوجتك من الخسران و ابنتيك من بؤس اليتم، و الله يصلح شأنكم و يغنيكم من فضله لقوله عز من قائل في حق الأزواج: ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ[٣] ﴾. و أخيرا، إن كنت تريد سعادتك و سعادة زوجتك، فعليك بإرجاعها إلى الحياة الزوجية بجانبك فتعيشا سويا كما كنتما من قبل، بل احسن من ذي قبل إن شاء الله، أما كونك وهبت حياتك لله عز و جل، فإن جعل الحياة لله ليس معناه مفارقة الحياة الزوجية، فسيد المرسلين و قدوة المتقين، سيدنا رسول الله–ﷺ–كان له أزواج و بنين و قد أمر بالزواج و رغّب فيه، و ذلك مع كونه واهبا حياته لله كما جاء في محكم التنزيل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢) [٤] ﴾! فالفقراء الذاكرون أهل النسبة و الطريقة هم أولى بالتأسي به– ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا(٢١) [٥] ﴾ .

---

[١] الرحمن.

[٢] جزء من الآية ١٣٤ من سورة "آل عمران".

[٣] جزء من الآية ٣٢ من سورة "النور".

[٤] الأنعام.

[٥] الأحزاب.

هذه نصيحتنا لكم، آملين أن تجد آذانا صاغية و قلوبا واعية، و الله ولي التوفيق.
و ختاما، بلّغوا منّا أزكى السلام مع أطيب التحيات و أجمل التمنيات إلى جميع الفقراء الذاكرين الشاكرين العاملين في رحاب القرب من الله و الأنس به، و إلى فرصة أخرى. دمتم في رعاية الله و حفظه آمين.

أخوكم في الله أحمد حبيب.

الرسالة الثالثة عشر:

بسم الله الرحمن الرحيم

و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب، و صلى الله على سيّدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

من عبد ربّه الحاج أحمد حبيب كان الله له و لجميع أحبته في كل شأن وليّا و نصيرا إلى كافة إخواننا لله و في الله كل واحد باسمه، حفظ الله الجميع، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و رضوانه ما دمتم لله ذاكرين شاكرين و بسنّة رسول الله–صلى الله عليه و على آله و سلم– عاملين و لهدي سلفنا الصّالح منتهجين و على عهد الله و المحبة الإلهية الرّبانية محافظين و ثابتين و بشعائر هذا الشهر المبارك المعظم متمسّكين صائمين قائمين و لله خاشعين قانتين مخبتين و الله مع المحسنين و هو يتولى الصّالحين. فهذا هو شهر الله و شهر القرآن–الذي أوّله رحمة؛ و وسطه مغفرة؛ و آخره عتق من النّار. اللّهم إنّا نسألك رضاك و الجنّة و ما قرب إليهما من قول أو عمل، اللّهم أجرنا من خزي الدّنيا و عذاب الآخرة و اجعلنا من عبادك الصّالحين و اختم لنا بخاتمة السّعادة و الغفران، يا ربّ العالمين.

و اعلموا أيها الأحبّة في الله أن من فضائل الصيام و مزاياه أنه منسوب لله– عزّ وجلّ –لقوله جلّ جلاله:"كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي و أنا أجزي به، يدع شهوته و طعامه من أجلي! للصائم فرحتان فرحة عند فطره، و فرحة عند لقاء ربّه و لخلوف فيه–أي فمه–أطيب عند الله من ريح المسك[١]" —رواه مسلم–رحمه الله–في صحيحه. ثبتنا الله و إياكم على صيامه إيمانا و احتسابا؛ أي تصديقا و إخلاصا لوجه الله الكريم، كما جاء في الحديث الشّريف: ﴿من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه[٢]﴾. و جعلنا الله و إيّاكم من المقبولين المرحومين المغفور لهم في هذا الشّهر الكريم–آمين.

---

[١] و جدت صيغةً أخرى للحديث: عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة–رضي الله عنه–يقول؛ قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به! والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك. وللصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح بفطره؛ وإذا لقي ربه فرح بصومه"–صحيح مسلم، ج٢، ص٨٠٧، حديث رقم ١١٥١–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٢] صحيح البخاري، ج١، ص٢٢، حديث رقم:٣٨–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

و اعلموا أيها الإخوان أن لربكم في أيام دهركم نفحات، و خصوصا في هذا الشهر المعظم ألا فتعرضوا لها؛ ففي النّهار بالصّيام الصحيح، صيام الصالحين–و هو إمساك جميع الجوارح عن الآثام و لغو الكلام مع الإكثار من ذكر الله قدر الإمكان؛ و اغتنموا ليله بالقيام–هذا مع تخصيص حصّة لذكر اسم الله الأعظم. و هذه الحصّة سواء كانت بالليل أو بالنهار لتتقووا بذلك على قيامكم بدين الله و يفتح الله عليكم بمفاتيح الخير، إنه على كل شيء قدير و بالإجابة جدير، و لتكن المحبّة الإلهية الربانية شرطا فيما بينكم و كذلك التعظيم لبعضكم البعض، و احذروا من الجدال و الخصام مع الخاص و العام في سائر الأوقات و الأيام، خصوصا في هذا الشهر؛ شهر الصيام الذي معناه الكفّ و الإمساك عن جميع ما نهى الله عنه. و العبد الصالح الذاكر لله هو في الحقيقة صائم بقلبه على الدّوام! و هذا الأخير صيام خاصة الخاصة، و من لم يجد فليتواجد قصدا يتعرض لفضل الله بالصدق و القصد الصحيح فالله كريم منّان وهاب على الدوام، ينتظر من عباده التوجه إليه و حسن الإقبال عليه، كما جاء في الحديث الشريف: "إن الله ينزل إلى السّماء الدّنيا في ثلث الليل الآخر فيقول من يستغفرني أغفر له، من يسألني أعطيه، من يدعوني أستجب له[١] ". و ثلث الليل الآخر هو وقت إجابة الدعاء و قبول صالح الأعمال، و إنّ أفضلها و أشرفها ذكر الله جل جلاله، و أما معنى الحديث، حسب ما جاء عن العلماء بالله تعالى، فهو أنّ الليل هنا يراد به المخلوق لأن الله نور و المخلوق ظلام؛ قال ابن عطاء الله –رضي الله عنه: الكون كله ظلمة و إنّما أناره وجود الحق فيه[٢]–و بعبارة أخرى: إن لله الوجود الكامل التام الذي لا يقبل الزيادة و لا النقصان و المخلوق أصله العدم–فالوجود نور و العدم ظلمة.

و أما نسبة الثلث الآخر من الليل للإنسان فذلك لأنّ الإنسان آخر مخلوق خلقه الله و شرّفه و كرّمه على جميع مخلوقاته و جعله موضع أمانته و الأمانة هنا هي التكليف و فيه الإشارة إلى سرّ توحيده عز و جل و المراد بالإنسان بعد سيدنا آدم عليه و على نبينا الصلاة و السلام–أعني به الإنسان الكامل، لا كل من هو على صورة و شكل الإنسان، فإنه يوجد في بني آدم من هو على شكل الإنسان و هو من جملة الحيوان بل هم أضل كما جاء في القرآن! و أما نزول الحق سبحانه و تعالى فإنه يجب الإيمان به كما جاء به النص؛ فلا يجوز فيه التقييد و التحديد بالتعبير و التأويل إلا

---

[١] عن أبي هريرة، أن رسول الله–صلى الله عليه و سلم–قال: إن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل أو نصف الليل؛ فيقول: " من يستغفرني فأغفر له، من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ثم يبسط يديه "؛ فيقول: مَنْ يُقرِض غيرَ عديمٍ و لا ظلومٍ " –"المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم"–رقم الحديث (ر/م): /١٧٢٧١٥٤١ –موسوعة "جوامع الكلم".

[٢] نص الحكمة العطائية بكاملها:" الكون كله ظلمة و إنما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون و لم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار و حجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار"–أنظر كتاب "الحكم العطائية:–شرح و تحليل"، ج١، ص١٩٧، المؤلف: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي–رحمه الله، المطبعة: المطبعة العلمية.

ما كان من الفهم المطلق المنزه عما لا يليق بكمال الحق و جلاله، و من هنا يكون معنى النزول:- التنزّل و هو أي التنزّل في حق المخلوق الترك تفضلا و إكراما بدون فائدة أو مقابل! فإذا قلت تنزّل فلان عن حقه أو عن شيء مما يملكه معناه تركه لغيره، فضلا منه و كرما و هذا الترك هو مظهر من مظاهر الإحسان بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة لمولانا-جل جلاله، و لله المثل الأعلى، فالنّزول أو التنزّل من الرّب-جل جلاله-هو إشارة إلى عظيم تجليه على عباده بمحض فضله و إحسانه من عفو و عافية و تجاوز عن خطاياهم و توبة و غفران و هداية و توفيق، و بهذا التجلي يبشّر الله عز و جل عباده كافة بأنه قريب منهم يجيب دعوتهم و يقضي حاجاتهم إذا استجابوا له و آمنوا به، و هذا ما ينتظره الله من عباده، أي الاستجابة له و الإيمان به، فإذا فعلوا ذلك وجدوا أنفسهم في حاجة ماسة إلى خالقهم و فقر ذاتي شامل لجميع حالاتهم إلى الله الغني الحميد الذي بيديه الخير و هو على كل شيء قدير. هذا التجلي هو التجلي العام لعامة الإنس و الجن و أصحابه يتراوحون في أمرهم بين اقتراب و ابتعاد أو بين طاعة و معصية، تارة يحسنون، و تارة أخرى يسيئون، و هكذا حتى يثبتوا على الطاعة و الإحسان فتدركهم العناية الرّبانية فتخرجهم من الظلمات إلى النور و من الغيبة إلى الحضور و ذلكم المقام مقام الخواص أهل النور. و أهل هذا المقام يعملون لله بالإخلاص و الصدق فهم صادقون مخلصون، و أما مقام التجلِي الأعظم فهو لخاصة الخاصة، و هو مقام الشهود و العيان، و أهله يعملون بالله و هم الصّديقون المخلَصون و كلّا وعد الله الحسنى، و قد ذكر سيدي أبو مدين-رضي الله عنه-نصيبا من شهودهم إذ يقول:-

يا فوز قوم بالله فازوا فلم يروا في الورى سواه
قربهم منه فاجتباهم فنزهوا الفكر في علاه
ليس لهم للسوى التفات كيف و قد شاهدوا سناه
أزال حجب الغطاء عنهم فاستنشقوا نفحة هواه
تجلى بالنور و البهاء لهم فقالوا يا هو يا هو
فقال إني لكم محب رب كريم نعم الإله

إلى آخر كلامه-رضي الله عنه.

إذن فتفطنوا أيها الأحبة الأفاضل لهذا الخير العميم و الفضل العظيم و احرصوا على أن تجمعوا بين الغنيمتين؛ و هما غنيمة القلب؛ و غنيمة الجوارح، فاعملوا بقلوبكم بإفراد وجهتكم لله مع عدم التفاتكم إلى غيره و سواه، قانتين خاشعين مخبتين له، تمتطون في ذلك مطايا المحبة و الشوق و التعظيم و الإجلال لله الكبير المتعال، و اجتهدوا في عمل جوارحكم فوظفوها و استعملوها في سائر الأوقات فيما يرضي الله ربكم و خصوصا في الأوقات المرجوة للقبول مثل ثلث الليل الآخر.

و اعلموا أن ظاهر الإنسان هو موضع تحقيق العمل بما أمر الله و الانتهاء عما نهى عنه، و التقرب إليه تعالى بنوافل الأعمال، فإذا جمع العبد بين صلاح القلب و الجوارح يكون من أولياء الله الصَّالحين الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و كما أنكم تعلمون تمام العلم بأن الله هو الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم، فأنيبوا إليه في ظاهركم و باطنكم و أسلموا له لكي يحييكم حياة طيبة ويجعل لكم نورا تمشون به بين الناس؛ و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

و في الختام، نرجو من الله الكريم الوهاب أن يمنَّ عليكم في هذا الشهر الكريم بما منَّ به على عباده الصَّالحين، إنه ولي التوفيق. كما نفيدكم علما أن جميع إخوانكم هنا بالجزائر العاصمة و ضواحيها بخير و على خير، صائمين قائمين، ذاكرين شاكرين لله رب العالمين، و إنهم في نعمة يُغبَطون عليها. نسأل الله الشكر على نعمه و المزيد من فضله و رضوانه إنه على كل شيء قدير و بالإجابة جدير، و إلى فرصة أخرى إن شاء الله. دمتم في رعاية الله و حفظه آمين.

عبد ربه الحاج أحمد حبيب، خميس الخشنة يوم أول رمضان ١٤٢٥ هـ.

الرسالة الرابعة عشر:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ[١] (٥٣)﴾-صدق الله العظيم.

و صلى الله على سيدنا محمد الهادي إلى صراط الله المستقيم و المبعوث رحمة للعالمين و على آله و أصحابه و من والاه. من عبد ربه أحمد حبيب بلد الجزائر، كان الله له و لإخوانه في كل شأن هاديا و مرشدا و موفقا لما يحبه و يرضاه آمين، إلى الذاكر الشاكر الثابت على عهد الله و محبته سيدي ....، السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و زادكم الله نورا على نور و أفاض على قلبكم الطاهر الطيب من أسرار توحيده الخفية عن الأبصار، المتجلية للبصائر الصافية، ما يجعلكم دائما في مزيد من العلم و المعرفة بالله في حضرة قدسه و الأنس به، ضمن معنى قوله تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[٢] ﴾ .

هذا و لقد وصلتنا رسالتكم الطيبة الميمونة فقرأناها و سررنا بها كثيرا و حمدنا الله حيث أنكم بخير و أن أمور دينكم تسير على أحسن ما يرام، فهذا من فضل الله و توفيقه علينا و عليكم، فاعبدوه مخلصين له الدين و اتقوه و توكلوا عليه فإنه يرزقكم من حيث لا تحتسبون و يكفيكم كل شيء حسا و معنى، إنه على كل شيء قدير. أما معاناة الزوجة المحترمة[٣]-حفظها الله-لأجل ما صدر منها من تصرفات سيئة و إسرافها على نفسها فقل لها لا تقنطي من رحمة الله فإن الإسلام يجُّب ما قبله، أي يمحو ما قبله، و كذلك التوبة النصوح تمحو ما قبلها و علامة التوبة الصادقة هو الندم على ما مضى و العزم على عدم الرجوع إلى الذنب الذي تابت منه، و هذان الشرطان متوفران فيها حسب ما أخبرتمونا في الرسالة. إذن فلتستبشر بالخير و تتقي الله في المستقبل حسب استطاعتها، فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها و يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر. و بهذا تكون سعيدة إن شاء الله في الدنيا و الآخرة، و أما إحساسها بأنك لا زلت غضبانا عليها لما صدر منها في حقك مدة افتراقكما، فنقول لها في هذه المسألة و بالله التوفيق: إن زوجك مؤمن بالله

---

[١] الزمر.

[٢] البقرة.

[٣] تنبيه: الأخ و زوجته اعتنقا الدين الإسلامي من زمن قريب من تاريخ الرسالة.

و المؤمن لا يكون إلا متسامحا صفوحا عفوا رحيما، و لا شك أنه يفرح بتوبتك إلى الله و رجوعك إلى دين الحق و إلى بيت الزوجية، و هذا فضل عظيم عليك و عليه فأحسني إليه تجدينه أسرع إليك بالإحسان، كما أوصيك يا سيدي .... أن تعفو عن زوجتك الطيبة و تحسن إليها و أن تضمها إليك و تعلمها أمور دينها و دنياها شيئا فشيئا و بالتي هي أحسن حتى تصبح إن شاء الله زوجة ذاكرة صالحة، إذا نظرت إليها سرتك، و إذا أمرتها أطاعتك، و إذا أقسمت عليها أبرّتك، و إذا غبت عنها حفظتك في عرضك و مالك؛ هكذا جاء في الحديث الشريف في وصف الزوجة الصالحة، و الله لا يضيع أجر المحسنين. و أمّا الأشخاص الذين آذوكم و تعرضوا لكم بالإساءة و الإنكار رغم ما تكنّونه لهم من المودَّة و الإحسان، فاعلم يا أخي أن الإحسان دائما يغلب الإساءة و يمحوها-فاثبت أنت يا سيدي على الإحسان و خالق الناس جميعا بخلق حسن، ما لم يخالفوا الشرع الكريم و ينتهكوا حرمات الله فإذا فعلوا ذلك فلا إحسان إليهم و لا مودة لهم، لأن في ذلك دعما للظالمين و تعاونا على الإثم و العدوان، و لذلك فإن النبي-ﷺ- لم يثبت عنه قط في حياته كلها أنه انتقم لنفسه أو غضب لأجلها، و لكنه كان إذا انتهكت حرمات الله يغضب بشدة و ينتقم من المنتهكين لحرمات الله بقوة، هذا إذا تمادوا على ظلمهم و أصروا عليه، و أما إذا رجعوا عن غيّهم و اعترفوا بإساءتهم و تابوا إلى الله فإنه-ﷺ-يستغفر لهم الله فيجدون الله توابا رحيما.

إذن فعليك بالتأسي في أمرك هذا برسول الله-ﷺ، فإنه خير أسوة و أحسن قدوة للمؤمن في جميع شؤون حياته، خصوصا المؤمن الذاكر لقوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً(٢١) [١]﴾؛ و لقوله-ﷺ:"صل من قطعك و اعف عمن ظلمك و أحسن إلى من أساء إليك[٢]"-أو كما قال-ﷺ. و أما الآلام التي سببها لك هؤلاء و قد تراكمت في الفؤاد حتى تحولت إلى غضب شديد لم تعرف له مثيلا في نفسك من قبل، فاعلم سيدي الكريم أن الغضب في ديننا الحنيف مذموم و سيء لا يليق للمؤمن أن يتصف به، و يكفي في ذمه أنه من الشيطان و قد نهى عنه النبي-ﷺ-المؤمنين، و في الحديث المشهور: "جاء رجل إلى رسول الله-ﷺ-فأتاه من أمامه فقال: يا رسول الله أوصني! فقال له لا تغضب! ثم أتاه من خلفه و قال يا رسول الله أوصني! فقال له لا تغضب! ثم أتاه عن يمينه و قال أوصني

---

[١] الأحزاب.

[٢] وجدت صيغة أخرى لهذا الحديث: عن الحارث، عن علي، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه و سلم: " ألا أدلكم على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة؟ أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك "- انظر "شعب الإيمان للبيهقى"، رقم الحديث:٧٥٩٢-مذكور في موسوعة "جوامع الكلم".

يا رسول الله! فقال له لا تغضب! ثم أتاه عن شماله و قال أوصني يا رسول الله! فقال لا تغضب!"[١]. إذن فعليك بالابتعاد عن الغضب و التخلص منه بكل وسيلة و اجعل قلبك محلا لأنوار الإيمان و أسرار التوحيد و المعرفة بالله و استعن على ذلك بكثرة ذكر الله و الصبر على أذى الناس فإن الله يكفيك شرهم و يحميك منهم إنه ولي الذين آمنوا و هو يتولى الصالحين، و أما أقاربك و أصدقاؤك الذين أساؤوا إليك من قبل و هم الآن يطلبون منك المساعدة في أمور الدين، فساعدهم و ادعهم إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة عسى الله أن يهديهم إلى صراطه المستقيم و يجعلهم من الذاكرين، و ما ذلك على الله بعزيز. و أما الذي اقترفوه من أخطاء و إساءة في جانب الدِّين فنقول لهم بعد التوبة إلى الله؛ إن الله يقول في محكم التنزيل:﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذنُوبَ جَمِيعًا إِنهُ هُوَ الْغَفُورُ الرحِيمُ (٥٣)[٢]﴾، و في آية أخرى:- الله يُحِب التوابِينَ وَيُحِب الْمُتَطَهرِينَ[٣]﴾، و في الحديث: ﴿التائب من الذنب كمن لا ذنب له[٤]﴾. و أما الذي يتوجب عليك فعله نحو زوجتك فهو كما يلي: أن تمحو صفحة الماضي و تطويها و تواريها التراب و أن لا تعود إليها أبدا، و تفتح صفحة جديدة في الحياة الزوجية السعيدة ملؤها المودة و الرحمة اللتان جعلهما الله عز و جل بين الأزواج في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدةً وَرَحْمَةً إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكرُونَ (٢١)[٥]﴾.

أما مسألة صهركم حيث أنه ترك–ما افترض الله عليه–أداءه من شعائر الإسلام بعد اعتناقه للإسلام؛ فإن كان الأمر تركا لأداء الشعائر الدينية فقط فعليه بالتوبة النصوح؛ فليتب إلى الله فإن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين و ليحذر من التلاعب في الدين و يتقي الله في ذلك فإن الله شديد

---

[١] وجدت الحديث بهذه الصيغة، من بين الصيغ الأخرى: "عن رجل من أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل يا رسول الله أوصني، قال لا تغضب، قال، قال الرجل ففكرت حين قال النبي–صلى الله عليه وسلم–ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله"–انظر "مسند الإمام أحمد"، ج٥، ص:٣٧٣، رقم الحديث:٢٢٦٦٠. و الحديث مذكور في "موسوعة الحديث الشريف"–إسلام ويب.

[٢] سبق تخريج الآية الكريمة أعلاه.

[٣] جزء من الآية ٢٢٢ من سورة "البقرة".

[٤] حديث صحيح لغيره، "سنن ابن ماجة"، ج٢، ص:١٢٦١، رقم الحديث: ٤٢٥٠.

[٥] الروم.

العقاب للعابثين المستهزئين، كما أنه للصادقين تواب رحيم، غفور حليم. و أما واجبك نحوه فعليك بمساعدته إن احتاج إلى ذلك و ادعه إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة فإذا رغب في أخذ الوسيلة و دخول طريقتنا، طريقة الإخوان الصوفية كما سماها بهذا الإسم المبارك أستاذنا الكريم الشيخ سيدي علي البوديلمي -قدس الله روحه في عليين، فلا مانع من ذلك فإننا نرحب به أخا في الله من جملة الإخوان الذاكرين، و أما كونه من الأشخاص الذين أساؤوا إليك و آذوك، فاعلم يا سيدي أن التوبة تمحو ما قبلها من الإساءة و الأذى، أي أن التوبة الصادقة تطهر صاحبها مما لا يحبه الله و لا يرضاه و بذلك يصير محبوبا عند الله لقوله -عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [1] ﴾. فكن عفوا صفوحا محبا لمن يحبه الله، هكذا كان سيدنا رسول الله -ﷺ- يعفو عمن ظلمه، و يصل من قطعه، و يعطي من حرمه، و يتحمل الأذى من الناس لأجل الله رجاء لهدايتهم، و أخلاقه الكريمة في هذا المجال لا تعد و لا تحصى، و إننا نبهناك لهذا الخلق العظيم فتخلق به و اشدد يدك عليه و استعن بالله و توكل عليه يجعل الله لك فرجا و مخرجا من كل ضيق و حرج؛ ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ [2] ﴾.

و أما مسألة مروقه من الدين عدة مرات؛ فإن كان مروقه هذا ردّةً فعليه بالندم على ما اقترفه من أعمال الكفر لأن الردة كفر، ثم يعتنق الإسلام من جديد بالشهادتين و الغسل و صلاة ركعتين و العزم على أن لا يعود إلى ملة الكفر بعد أن أنقذه الله منها و يتقي الله في نفسه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا [3] ﴾. و أما رغبتكم الطيبة في زيارتكم لنا بالجزائر فإنه بالنسبة لنا شرف كبير فأهلا و سهلا بالأحباب الكرام و إنكم مأذونون أنتم و الصديق الحميم سي .... في هذه السياحة و الزيارة المباركة، و ذلك مع التيسير من غير تكلف، و ما أحسن لو تكون هذه الزيارة في شهر مارس لكي تشاركوا بحضوركم إخوانكم الفقراء في الاحتفال بذكرى مولد الرسول المصطفى -ﷺ. و الله ولي التوفيق، و إلى فرصة أخرى إن شاء الله. دمتم في رعاية الله و حفظه -آمين، و بلغوا منا أطيب التحيات و أجمل التمنيات إلى جميع الإخوان الفقراء و الأحباب في الله و المحبين لأهل الله. حفظ الله الجميع و صانهم من كل سوء و مكروه، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

عبد ربه أحمد حبيب، في ١٥ نوفمبر ٢٠٠٧ م.

[1] جزء من الآية ٢٢٢ من سورة "البقرة".

[2] جزء من الآية ٣ من سورة "الطلاق".

[3] جزء من الآية من سورة "الطلاق".

البَابُ الثَّامِنُ:
ملحق الكتاب

﴿ملحق الكتاب، القسم الأول: كشف اللثام و المورد العذب الزلال في التوسل بخير الأنام صلى الله عليه وسلم﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فهذا جهد نرجو به رضاء ربنا الكريم و قصد حشوه المحبة لصاحب الوسيلة-عليه الصلاة و السلام، سيد السادات و إمام الأوّلين و الأخرين، و عمل، نرجو الله الكريم الوهّاب أن يكون لوجهه وحده كما نرجو أن يبارك فيه، و ينفع به سائر الأمة المحمدية -عنوناه:- "**كشف اللثام و المورد العذب الزلال في التوسل بخير الأنام**-ﷺ.

إنّ مسألة التوسل بالنبي الآمين-عليه أفضل الصلاة و السلام، كثر فيها الكلام و لم ينصف فيها الكثير من الذين ينتسبون إلى العلم حيث أنّهم أنكروا التوسل-بالخصوص في عصرنا- و تعصّبوا و تشدّدوا لرأيهم و كفّروا بل قالوا بالوقوع في الشرك بالله للذين توسلوا بنبينا سيدنا محمد-ﷺ-كما سنبين في بحثنا و لم ينصفوا في ذلك أي إنصاف. فلقد أصبحت مسألة التوسل في العصور الأخيرة وبالخصوص في عصرنا الحالي، القرن الخامس عشر الهجري، قضية محورية في كتب المتشددين و المنكرين على التوسل بخير الأنام-ﷺ، حتى أننا قلّ ما نجد كتابا من كتب المتشدّدين إلاّ و يعدُّ مسألة التوسل من قضايا الساعة و من ركائز الدِّين حيث أن أصحابها يعتقدون أن من توسل بالنبي الأمين-عليه الصلاة و السلام-ابتدع في الدِّين بدعةً ضالة و مضلة و كان عمل المتوسل وسيلة للشرك كما أنهم يؤكِّدون أنَّ مسألة عدم التوسل بسيد السادات-ﷺ-هو ما كان عليه أغلب علماء الأمة المحمدية و أنه لم يقع التوسل به بعد انتقال نبينا-ﷺ-إلى جوار ربِّه في زمن الصحابة و تراهم ضعَّفوا كلَّ حديث في أمهات كتب الحديث أو التفسير أو غير ذلك من الكتب التِي تقرُّ مسألةَّ التَّوسل به-ﷺ-و لا يصغَونَ لمن عارضهم في الأمر كائناً من كان-ولا حول و لا قوة إلاَّ بالله.

إن البحث الذي هو بين يديك أيها القارئ الكريم و الباحث النجيب عملٌ وفقنا الله للقيام به و هو بحث في تراث الأمة الإسلاميةٍ الثريٍ خلال العصور الإسلامية كلها؛ بل حتى عصر قبل البعثة النبوية. إن البحث تضمن رصيداً هائلا زاد عن سبعة ألاف كتاب (٧٠٠٠) من أمهات المراجع في علوم الشرع التي تركها لنا علماء الأمة باختلاف مشاربهم المذهبية التي تَغرُفُ من بحور العلوم لمذاهب أهل السنة و الجماعة التي حوت علوم العقيدة، و التفسير و علوم القرآن، و متون الحديث و شروحه، و ما كان عليه علماء الأمة المحمدية بخصوص مسألة التوسل بالنبي-ﷺ- الذين أقروا و أيّدوا التوسل بالنبي العدنان-ﷺ- و لم يروا بأساً فيها، كما هو حال بعض المتشددين و المخالفين، و عملوا بها بناءً على إجماع الأمة في استحباب التوسل برسولنا الآمين-ﷺ – عند الحاجة.

إنّ البحث يسرد في مطاياه الأراء و الفتاوى التي أيّدت مسألة التوسل بالنبي–ﷺ– من قِبَل خيرة علماء و أحبار الأمة و أئمة الهدى من المالكية و الشافعية و الحنفية و الحنابلة الذين اتفقت الأمة الإسلامية في ماضيها و حاضرها على إمامتهم و جلال قدرهم و بلوغ بعضهم مرتبة الإجتهاد. و لقد وجدنا في بحثنا ما لا يسعه هذا الكتاب من الأقوال المؤيدة للتوسل و أنّ ما تركناه أكثر مما جلبناه وقد انثالت علينا أشغال شاغلة من خطوب الدّهر والله يبلغنا من رضوانه ما طلبناه. و لقد انتقينا منها جلبا لمنفعة المسلمين و الباحثين ما تقرُّ به عينُ المنصف و تكون كفايةً للمسترشد من المؤمنين أهل النور، و أمّا المتعصب لرأيه و من أُشرِبَ هواهُ و اتبع أولاه أخراه فلا نرى له نصيبا في هذا البحث إلا الركون لعصبيته و البقاء على ما كان عليه من عناد و تعصب في الرأي؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ[١] ﴾ .

و لقد يتساءل القارئ الكريم عن غرض هذا البحث المطوّل الذي استغرق نصيبا طويلاً من وقتنا في دراسة مسألة التوسل التي وقع فيها الخلاف بين علماء الأمة؛ و لكن ما يجب تنبيه الباحث إليه هو أنَّ أول من خالف إجماع أئمة الهدى من علماء الأمة المحمدية و شذ هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(٦٦١ – ٧٢٨ هـ، ١٢٦٣ – ١٣٢٨ م)–رحمه الله– الذي قال بعدم جوازه بعد انتقال النبي–ﷺ–إلى جوار ربّه. و وافقه بعضٍ علماء الأمة و بالخصوص في زمننا و يجدر التنبيه بأنَّ الذين وافقوا رأيه في زمننا يغلب عليهم عامة تيار التشدد في الدِّين و التعصُّب للرَّأي، التشدُّد الذي ألحق بالأمة الإسلامية ضرراً كبيراً و مزَّق الوِحدة الإسلامية و خلق الكثير من الأراء الشَّاذة البعيدة كل البعد عن وسطية الرسالة المحمدية–على صاحبها أفضل الصلاة و السلام؛ قال تعالى–جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً[٢] ﴾ .

و لنرجع إلى ما كنا بصدد التحدث فيه– و هو تساءل القارئ عن سبب بحثنا المطول في مسألة التوسل؛ فنقول و على الله قصد السبيل، إننا لا نعترض على القارئ أو الباحث إذا نبَّهنَا بأنَّ الأمر خلافي و الخلاف موجود في كل عصر بين علماء الأمة–هذا الأمر مسلم به و لا نقصد أبداً من خلال هذا الجهد أن نفرض استحباب و جواز التوسل بنبينا الكريم–ﷺ–على من ينكر ذلك ؛ و لكن ما حرَّك

---

[١] جزء من الآية ٤٠ من سورة "النور".

[٢] جزء من الآية ١٤٣ من سورة "البقرة".

فينا واجب القيام بهذا البحث هو ما يقوم به بعض المتشددين من زرع و ترويج بشتى الوسائل العصرية ،من وسائل الإعلام السمعية و البصرية و المطبعية و عبر شبكة الإنترنت ، أفكارهم التعصبية و الشاذة في أوساط المسلمين–حتى يوهموا القارئ، و بالخصوص شباب المسلمين، بأنَّ ما يرونه في مسألة التوسل هو رأي جل علماء الأمة عبر العصور. و مقصدهم هذا يصبح مقصدا سهل التحقيق لأمرين اثنين:–
أ) عدم وجود الأهلية في العلم الشرعي لدى غالب الشباب و من يقرأ كتب المتشددين من جهة[١] حتى يتبينوا من صحة ما يقرأونه و يعرضون أراء المتشددين على علماء المذاهب الأربعة – وذلك خلال العصور الإسلامية؛
ب) ضعف وسائل التيار المعاكس من علماء الأمة المنتمين لأهل السنة و الجماعة بالمقارنة للوسائل التي يستعملها أصحاب التيار المتشدد بحيث أن المتشددين في عصرنا الحالي يملكون وسائل الإعلام و الطباعة و يملكون وسائل التهريج فَيُوهِمُون بذلك أنَّ رأيهم هو الرَّأي الصحيح.

ومن الدَّوافع التي دفعتنا إلى القيام بهذا العمل كذلك أمران:–

- **الأمر الأوَّل**: إن علماء أهل السنة و الجماعة أجمعوا على استحباب التوسل بالنبي–ﷺ–قبل القرن السابع الهجري و أول من شذ كما قلنا أعلاه هو ابن تيمية الحراني–رحمه الله.
- **الأمر الثَّاني**: خطورة تكفير عامة المسلمين إذا توسلوا بالنبي–ﷺ– من قبل المتشددين الذين خالفوا سالف و حاضر علماء الأمة من أهل السنة و الجماعة. إن مسألة تكفير المسلم و إتهامه بالشِّرك ليس بالأمر الهين لما روى ابن عمر–رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إذا قال الرجل لأخيه أنت كافر أو يا كافر فقد باء بها أحدهما[٢]﴾.

و فيما يلي نذكر للقارئ الكريم بعض ما وجدناه على صفحات الإنترنت و في بعض كتب المتشددين من فتاوى و محاولات لفرض الرأي المتعصب في ١) مسألة التوسل؛ و ٢) مسألة تكفير المسلمين:–

---

[١] عن حذيفة قال قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم:"لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا؛ وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا"–"حديث صحيح لغيره، جامع الترمذي"، ج٤، ص٣٢٠–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٢] حديث صحيح. "مسند أحمد بن حنبل"، رقم الحديث: "ر/م": ٤٩٢٨/٥٠٥٧–موسوعة "جوامع الكلم".

١) أوّلاً: مسألة التوسل بالنبي–ﷺ:

- جاء في كتاب: "فتاوى نور على الدرب[١]"، ج٢، ص١١٥ لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م)–رحمه الله–ما نصه:–

"هناك نوع ثان من الوسيلة الممنوعة، هو التوسل بجاه فلان، وحق فلان، هذه الوسيلة ممنوعة، لكنها ليست شركاً أكبراً، بل هي من وسائل الشرك، كأن يقول: الّلهمّ إنّي أسألك بجاه محمد، بجاه فلان وحق أنبيائك، هذا لا يجوز، هذه بدعة ليس عليها دليل".

- جاء في كتاب " بيان المحجة في الرد على اللجة[٢] " –مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول، ج١، ص٢٤٨ لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى:–١٢٨٥هـ) ما نصه: "وقوله: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى[٣] ﴾. فطلب الشفاعة من النبي–ﷺ– أو غيره بعد وفاته وبعده عن الداعي، لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ولا رسوله– صلى الله عليه وسلم، وهو التوسل الذي ذكره العلامة ابن القيم –رحمه الله تعالى– وشيخه –رحمه الله تعالى– **وصرَّحا بأنه شرك."**

- و فيما يلي فتوى من الفتاوى الموجودة على صفحة الشيخ بن باز[٤]–رحمه الله– في مشروعية التَّوسل: "هذه رسالة وردت إلى البرنامج من ف . م . ع . من العراق محافظة نينوى[٥] يقول في رسالته: ما هو الحكم على المسلم الذي يقيم الفرائض ويتوسل بجاه النبي الكريم–ﷺ، وهل يجوز رميه بالشرك؟ أفيدونا أفادكم الله.

---

[١] الكتاب:"فتاوى نور على الدرب"،ج٢، ص١١٥، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز "المتوفى: ١٤٢٠هـ"، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، عدد الأجزاء: ٢٢.

[٢] الكتاب: بيان المحجة في الرد على اللجة (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول)، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى بمصر، ١٣٤٩هـ، عدد الأجزاء:١.

[٣] من الآية ٣ من سورة "الزمر".

[٤] http://www.binbaz.org.sa/fatawa١٦٦

[٥] وجدناها هكذا على الموقع؛ و لكن الصحيح المدينة تكتب هكذا؛"نينوى"– و هي محافظة ي محافظة في شمال العراق ومركزها الموصل التي تعد ثاني أكبر مدن العراق وتبعد عن بغداد ٤٦٥ كم.

الجواب [ذكرنا النص الذي يعنينا هنا و الفتوى بنصها الكامل موجودة على الإنترنت –انظر الوصلة أسفل الصفحة]: "....... فالتوسل بجاه النبي –ﷺ– أو بجاه الأنبياء أو بحق النبي أو بحق الأنبياء أو بجاه فلان أو بجاه علي أو بجاه أهل البيت كل هذا من البدع، والواجب ترك ذلك لكن ليس بشرك، و **إنما هو من وسائل الشرك**، فلا يكون صاحبه مشركا ولكن أتى بدعة تنقص الإيمان وتضعف الإيمان عند جمهور أهل العلم."

- و مما شغلنا و تأسفنا شديد الأسف لوقوعه هو أن مثل هذه الفتاوى أُدخِلت كتعليقات في أمهات كتب المسلمين لتفرض أراءها و تعصبها لرأيها في مسائل الإختلاف –و نعني بأمهات الكتب في سياقنا هذا؛ النسخة الرقمية لِ "فتح الباري شرح صحيح البخاري" للإمام و الشيخ الهمام شيخ الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) الذي انتشرت مصنفاته في حياته وتَهادَتهَا الملوك وكتبها الأكابر و هو إمام الدُّنيا، المحدِّث، إمام الجرح و التعديل الذي لا يستغني عنه طالب علم و لا تخلو مكتبة منه و التي يعتمد عليها المتشددون في كتبهم. و التعليق الذي وجدناه في النسخة الرقمية للكتاب هو عن حديث في التوسل في صحيح البخاري –و هذا هو نصه:" وقد روى عبد الرزاق من حديث ابن عباس " أن عمر استسقى بالمصلى ، فقال للعباس : قم فاستسق ، فقام العباس " فذكر الحديث ، فتبين بهذا أن في القصة المذكورة أن العباس كان مسئولا وأنه ينزل منزلة الإمام إذا أمره الإمام بذلك . وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري – وكان خازن عمر – قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي – ﷺ– فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتى الرجل في المنام فقيل له : ائت عمر " الحديث . وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة ، وظهر بهذا كله مناسبة الترجمة لأصل هذه القصة أيضا والله الموفق "–إنتهى. و ما يعنينا هنا هو التعليق الذي وضعوه –و هو كالتالي:–

تعليق رقمي موجود في ج٢، ص ٥٧٣ في النسخة الرقمية لـ"فتح الباري شرح صحيح البخاري " لإبن حجر–السعقلاني، الصادرة عن "موسوعة الحديث الشريف– إسلام ويب" – الإصدار الأول، قطر:١٤٤٣هـ - ٢٠١٢م–و هذا هو نص التعليق:– "هذا الأثر على فرض صحته، كما قال الشارح[أي ابن حجر]–ليس بحجة على جواز الإستسقاء بالنبي–ﷺ– بعد وفاته لأن السائل مجهول و لأن عمل الصحابة–رضي الله عنهم على خلافه و هو [و هم–نعتقد أنه خطأ من المعلق] أعلم الناس بالشرع و لم يأت أحد إلى قبره يسأل السقيا و لا غيرها بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الإستسقاء بالعباس و لم ينكر عليه أحدٌ من الصحابة فعلم أن ذلك هو الحق و أن ما فعله **هذا**

الرجل منكر و وسيلة إلى الشرك – بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك.

٢) ثانيا:إخراج الأشاعرة عن دائرة أهل السنة و الجماعة:

- جاء في كتاب "مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين[١]"، ج٨، ص:٦٨٥، ما نصه: " فإذا سئلنا: من أهل السنة والجماعة؟ فنقول: هم المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب.وهذا التعريف من شيخ الإسلام ابن تيمية يقتضي أن الأشاعرة والماتريدية ونحوهم ليسوا من أهل السنة والجماعة، لأن تمسكهم مشوب بما أدخلوا فيه من البدع.

- جاء في كتاب: "تفسير الحجرات – الحديد[٢]"، ج١، ص ٣٦٧، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)-رحمه الله- ما نصه: "والوجه الثاني: إحداث معنى لا يدل عليه الظاهر، وهذا قد يوجد كثيراً في كتب الأشاعرة، سواء كانوا مفسرين أو غير مفسرين لكنهم بهذا والله والله قد ضلوا ضلالاً مبيناً، نسأل الله العافية.
- جاء في كتاب" تاريخ ابن غنام[٣]"، ج١، ص١٠٥- ١٠٦ لحسين بن أبي بكر بن غنام (١١٥٢-١٢٢٥هـ) ما نصه: "و لكن وجود هؤلاء العلماء المشار إليهم لا ينفي ما ذكره أئمة الدعوة من انتشار البدع و الشركيات في عصرهم؛ لأنهم لا يخرجون عن ثلاثة أصناف:- ١) إما عالم مبتدع، يدين بعقيدة الأشعرية التي لا تقيم لتوحيد الألوهية و العبادة وزناً، و إنما هَمُّها إثبات وجود الخالق، و توحيد الربوبية الذي لم ينكره حتى الكفار! و لهذا فهؤلاء

---

[١] الكتاب :مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن – دار الثريا، الطبعة : الأخيرة – ١٤١٣ هـ، عدد الأجزاء : ٢٦

[٢] الكتاب: تفسير الحجرات – الحديد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ١.

[٣] تاريخ ابن غنام يعد أهم مصدر لتاريخ البلاد "السعودية" بعد دعوة محمد بن عبد الوهاب؛ حيث أرَّخ لقيامها و توسعها السياسي، مع ضمن من رسائل و آثار محمد بن عبد الوهاب. تاريخ ابن غنام"، ج١، ص١٠٥- ١٠٦ لحسين بن أبي بكر بن غنام (١١٢٥-١٢٢٥هـ)، اعتنى به سليمان بن صالح الحزاشي، الناشر: دار الثلوثية اللنشر و التوزيع.

العلماء لا يرون في تلك الممارسات البدعية أو الشركية انحرافاً! إن لم يؤيدوها"-إنتهى بتصرف.

وعلى الذي يريد أن يقرأ تفاصيل الفتن التي حصلت في بلاد نجد و تكفيرِ المسلمين و الإتهام بالوقوع في الشرك لعامة المسلمين فعليه العودة إلى كتاب "تاريخ ابن غنام" الذي يعتبر مصدراً هاماً في تاريخ نجد و بلاد السعودية. و الذي يهمنا هنا هو تكفير الأشاعرة على أيدي المتشددين. جاء في كتاب العلامة و مفتي الدِّيار المصرية و شيخ الأزهر الأسبق، الشيخ علي جمعة-حفظه الله، "المتشددون: منهجهم و مناقشة أهم قضاياهم"، ص ٢١ ما نصه: "من مصائب هذا التيار المتشدد أنهم اتهموا الأشاعرة بأنهم فرقة ضالة؛ و هنا يتجلى فكر الخوارج الذي لا يعبأ بأن يخرج على جماعة المسلمين ينتقصهم و يزعم أنهم على ضلالة و يدَّعي الحقَّ لنفسه. و الأشاعرة نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، فمن هو هذا الإمام؟ و ماذا قال العلماء عنه؟

- **الإمام أبو الحسن الأشعري و ثناء العلماء عليه:** هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله-ﷺ-أبي موسى الأشعري. ولد-رضي الله عنه-سنة ستين و مائتين (٢٦٠هـ) بالبصرة، و قيل: بل ولد سنة سبعين و مائتين (٢٧٠هـ)، و في تاريخ وفاته اختلاف منها أنه توفي سنة ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائة (٣٣٣هـ)، و قيل: سنة أربع و عشرين و ثلاثمائة (٣٢٤هـ)، و قيل: سنة ثلاثين و ثلاثمائة (٣٣٠هـ)، توفي-رحمه الله-ببغداد و دفن بين الكرخ و باب البصرة. كان أبو الحسن الأشعري سنياً من بيت سنة، ثم درس الإعتزال على أبي علي الجبَّائي و تبعه في الإعتزال، ثم تاب و رَقِيَ كرسياً في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، و نادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني و من لم يعرفني فإني أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن، و أنَّ الله لا تراه الأبصارُ، و أنَّ أفعال الشر أنا أفعلها، و أنا تائبٌ مقلع، معتقد للردِّ على المعتزلة، و مخرج لفضائحهم.

- **قال عنه القاضي عياض المالكي**[١]:"و صنف لأهل السنة التصانيف، و أقام الحجج على

[١] القاضي عِياض (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ - ١١٤٩ م):عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. . من تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى"؛ و " الغنية " في ذكر مشيخته؛ و " ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك "-أربعة أجزاء وخامس للفهارس؛ و " شرح صحيح مسلم "؛ و " مشارق الأنوار- " مجلدان، في الحديث؛ و " الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" في مصطلح الحديث، وكتاب في " التاريخ ". وجمع المقَّري سيرته وأخباره في كتاب " أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"-ثلاثة مجلدات من أربعة؛ و " الإعلام بحدود قواعد الإسلام"؛ و " شرح حديث أم زرع " جزء لطيف-إنتهى. نقلا بتصرف عن "الأعلام للزركلي".

إثبات السنة، و ما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى و رؤيته، و قدم كلامه، و قدرته، و أمور السمع الواردة. قال: تعلق بكتبه أهل السنة، و أخذوا عنه، و درسوا عليه، و تفقهوا في طريقه، و كثر طلبته و أتباعه، لتعلم تلك الطرق في الذب عن السنة، و بسط الحجج و الأدلة في نصر الملة، فسموا باسمه، و تلاهم أتباعهم و طلبتهم، فعرفوا بذلك–يعني الاشاعرة–و إنما كانوا يعرفون قبل ذلك بالمثبتة، سمة عرفتهم بها المعتزلة؛ إذا أثبتوا من السنة و الشرع ما نفوه".

- **يقول السبكي**[1]:" و اعلم أن أبا الحسن الأشعري لم يبدع رأيا و لم ينشئ مذهباً؛ و إنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله–ﷺ–فالإنتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً و تمسك به، و أقام الحجج و البراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك السالك سبيله في الدلائل؛ يسمى أشعرياً". –إنتهى بتصرف.

و لمن أراد المزيد فعليه بالكتاب المذكور للعلامة علي جمعة فإن في طياته القسط الكافي لمن أراد أن يعرف المحاور الأساسية التي يدور عليها مدار المتشددين في الدين من هذا الأمة–و على الله قصد السبيل.

و ما يتعجب له الباحث هو أن طريقة تكفير المسلمين في عصرنا و إتهامهم بالوقوع في الشرك من قبل بعض المتشددين أصبح مسألة لا يستعظمها أهلها!! و نقول و نتساءل: **كيف يُعْقل عند العاقل الذي في قلبه ذرةٌ من الإيمان بالذي أتى به رسول الله–ﷺ– تكفير أهل القبلة و إتهام بعض أهلها بالشرك و العياذ بالله لما يقرأ الأحاديث التالية؟؟؟**

- عن عقبة أن النبي–ﷺ– خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: ﴿إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح

---

[1] شيخ الإسلام، السبكي، تقي الدين (٦٨٣ – ٧٥٦ هـ، ١٢٨٤ – ١٣٥٥ م): تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي والد بهاء الدين وعبد الوهاب السبكي. فقيه شافعي مفسِّر حافظ أصولي نحوي لغوي مقرئ بياني جدلي. ولد بسُبْك (قرية مصرية من قرى محافظة المنوفية) وإليها ينسب. قرأ القراءات على التقي بن الصائغ والتفسير على علم الدين العراقي، والفقه على ابن الرفعة، والأصول على العلاء الباجي، والنحو على أبي حيان، والحديث على الشرف الدمياطي.له رحلة في طلب العلم، فقد رحل إلى الإسكندرية، ثم إلى دمشق، ثم إلى الحرمين الشريفين، وأخيراً إلى القاهرة واستقر بها. تولى قضاء الشام فكان نزيهًا لا يخشى في الله لومة لائم. وتولى مشيخة دار الحديث بالأشرفية الشامية البرانية وغيرها. كان عالمًا بارعًا محققًا ومدققًا منصفًا في البحث، رجاعًا إلى الحق له من المصنفات نحو مائة وخمسين مؤلفًا ألحقه الصلاح الصفدي بالغزالي قائلاً: الناس يقولون ما جاء بعد الغزالي مثله، وعندي أنهم يظلمونه بهذا وما هو عندي إلا مثل سفيان الثوري. وعده السيوطي من المجتهدين وكان يلقب في عهده بشيخ الإسلام.

الأرض **وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي** ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها[١]۞.

- و في حديث أخر: أن النبي -ﷺ- خرج يوما، فصلى على شهداء أحد صلاته على الميت، ثم انصرف فصعد المنبر، كالمودع للأحياء والأموات، فقال: ۞إني فرطكم على الحوض، **ولست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي**، ولكن أخشى أن تنافسوا في الدنيا، وتقتتلوا فتهلكوا، كما هلك من قبلكم، قال عقبة: - فكانت لآخر ما رأيت رسول الله -ﷺ- على المنبر ثم دخل بيته، فلم يخرج حتى قبضه الله عز وجل[٢]۞.

- قال رسول الله-ﷺ-: "ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله[٣]".

- قال رسول اللَّه-ﷺ:"كفُّوا عن أهل لا إله إلا اللَّه[٤]".

- عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: ۞ لست أخاف على أمتي جوعا يقتلهم ولا عدوا يجتاحهم ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلين، إن أطاعوهم فتنوهم وإن عصوهم قتلوهم[٥]۞.

- عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله- ﷺ -يقول: قد يئس الشيطان أن يعبده المسلمون

---

[١] "صحيح البخاري"، ج٤، ص١٤٩٩، رقم الحديث:٣٨٥٧.

[٢] "نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية"، ج٢، ص٣٥٨، اسم المرجع: نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، اسم المؤلف: جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، موضوع المرجع: تخريج الحديث، عدد الأجزاء: ستة أجزاء، الناشر: دار الحديث. نص تمام النص كما جاء في الكتاب: أحاديث الصلاة على الشهيد: روى البخاري في " صحيحه في المغازي، في غزوة أحد "، ومسلم في " فضائل النبي- صلى الله عليه وسلم- من حديث أبي الخير عن عقبة بن عامر الجهني " أن النبي صلى الله عليه وسلم- خرج يوما، فصلى على شهداء أحد صلاته على الميت، ثم انصرف "، انتهى. زاد فيه مسلم: " فصعد المنبر، كالمودع للأحياء والأموات، فقال: إني فرطكم على الحوض، ولست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى أن تنافسوا في الدنيا، وتقتتلوا فتهلكوا، كما هلك من قبلكم، قال عقبة: فكانت لآخر ما رأيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على المنبر "-انتهى. زاد ابن حبان: " ثم دخل بيته، فلم يخرج حتى قبضه الله عز وجل".

[٣] "صحيح البخاري"، ج٦، ص٢٦٦٧، رقم الحديث: ٦٨٨٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٤] (المعجم الكبير للطبراني: ج١٢، ص٢٧٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٥] "معجم الطبراني"، ج٨، ص١٤٩، رقم الحديث: ٧٦٥٣-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

ولكن في التحريش بينهم[١].

- ومن ثوابت هذا الدين أن من كفر مسلما فهو كافر: عن ابن عمر–رضي الله عنه–قال؛ قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم: ﴿لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما[٢]﴾ .

هذا و قد جاء في كتاب "الصواعق الإلهية في الردِّ على الوهابية[٣]" لسليمان[٤] بن الشيخ عبد الوهاب، ص٤١ ما نصه:–

- "قال ابن القيم: أجمع المسلمون على أنَّ الكافر إذا قال لا إله إلاَّ الله و أنَّ محمَّداً رسول الله، فقد دخل في الإسلام.

- و كذلك أجمع المسلمون أنَّ المرتدَّ إذا كانت ردَّته بالشِّرك فإنَّ توبته بالشَّهادتين، و أمَّا القتال إن ثمَّ إمام قاتل النَّاس حتَّى يقيموا الصَّلاةَ و يؤتوا الزَّكاة.و كل هذا مسطورٌ مبين في كتب العلم، من طلبه وجده–فالحمد لله على تمام الإسلام."–إنتهى.

- و جاء كذلك في نفس الكتاب أعلاه، أي كتاب سليمان بن عبد الوهاب، ص١٣٧–١٤٠، مخاطبا أخاه محمد عبد الوهاب، ما نصه:"و مما يدل على بطلان مذهبكم ما في الصحيحين عن أبي هريرة–رضي الله عنه– عن النبي–صلى الله عليه وسلم– أنَّه قال:﴿رأس الكفر نحو المشرق[٥]﴾.

---

[١] مسند أحمد بن حنبل"،حديث صحيح لغيره، رقم: ر/م:١٤٨٢١/١٤٦٩٨–موسوعة "جوامع الكلم".

[٢] "صحيح البخاري"، ج٦، ص:٢٥١٧، رقم الحديث: ٦٤٦٩.–"موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب".

[٣] "الصواعق الإلهية في الرَّدِّ على الوهابية"، المؤلف: الشيخ سليمان بن الشيخ بن عبد الوهاب، شقيق مؤسس الحركة الوهابية، محمد بن عبد الوهَّاب، تحقيق: السَّراوي–ماجستير في الفقه المقارن، الطبعة الأولى:١٩٩٨م، طبع بموجب قرار وزارة الاعلام السورية، رقم:٤١١٧، تاريخ: ١٩٩٨/١١/١٩م.

[٤] ابن عبد الوهاب، (توفى نحو: ١٧٩٥ م)، سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: أخو محمد بن عبد الوهاب. عارض أخاه في الدعوة الوهابية.

[٥] جزء من حديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه، ج٣، ص١٢٠٢، رقم الحديث:٣١٢٥–"موسوعة الحديث

- و في رواية :﴿الإيمان يماني، و الفتنة من هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان[١]﴾.

- و في الصحيحين أيضاً عن ابن عمر–رضي الله عنه–عن النبيِّ–صلى الله عليه وسلم–أنَّه قال و هو مستقبـل القِبلة:﴿إنَّ الفتنة هاهنا﴾.

- و للبخاري عنه أيضًا مرفوعاً:"اللهمَّ بارك في شامنا وِ يمننا، اللهمَّ بارك في شامنا و يمننا، قالوا: و في نجدنا ، قال: اللَّهمَّ بارك في شامنا و يمنِنا، و قالوا: و في نجدنا، قال الثالثة:–هناك الزلازل و الفتن، و منها يطلع قرن الشَّيطان[٢]."قال صاحب الكتاب، سلميان بن عبد الوهَّاب–رحمه الله– في ص١٤٠:"وجه الدَّلالة من هذا الحديث، من وجوه كثيرة نذكر بعضها:–
- منها: أن النبي–صلى الله عليه وسلم–ذكر أنَّ الإيمان يماني، و الفتنة تخرج من المشرق–ذكرها مراراً؛
- و منها: أنَّ النبي–صلى الله عليه وسلم–دعى للحجاز و أهله مراراً، و أبى أن يدعو لأهل المشرق لما فيهم من الفتن خصوصاً نجد؛
- و منها: أنَّ أوّل فتنةو قعت بعده–صلى الله عليه وسلم–و قعت بأرضنا هذه....."و واصل سليمان بن عبد الوهَّاب مخاطبا أخاه محمد بن عبد الوهاب قائلاً: "و بلدنا هذه [أي نجد] هي أوَّل من ظهر فيها الفتن، و لا نعلم في بلاد المسلمين أكثر من فتنها قديماً و حديثا، و أنتم الآن مذهبكم إنَّه يجب على العامَّة اتِّباع مذهبكم، و أنَّ من اتَّبعه و لم يقدر على إظهاره في بلده، و تكفير أهل بلده، وجبَ عليه الهجرة إليكم، و أنَّكم الطَّائفة المنصورة؛ وهذا خلاف هذا الحديث، فإنَّ رسول اللَّه–صلى الله عليه وسلم–أخبرهُ اللَّهُ بما هو كائنٌ على أمَّتِه إلى يوم القيامة، و هو–صلى الله عليه وسلم–أخبر بما يجري عليهم، و منهم فلو علِمَ أنَّ بلاد المشرق خصوصاً نجد بلاد مسيلمة أنَّها تصير دار الإيمان، و أنَّ الطائفة المنصورة تكون بها، و أنَّ الحرمين الشَّريفين و اليمن تكون بلاد كفر تعبد فيها الأوثان و تجب الهجرة منها لأخبر بذلك،

الشريف–إسلام ويب". نص تمام الحديث: عن الأعرج عن أبي هريرة–رضي الله عنه– أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال:" رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والفدَّادين أهلِ الوَبَرِ، والسَّكينةُ في أهلِ الغنم".

[١] "صحيح البخاري"،ج٦/ص٢٤١.

[٢] "صحيح البخاري"، ج٢، ص٤٣٢.

و لدعى لأهل المشرق خصوصاً نجد، و لدعى على الحرمين [و][١]اليمن، و أخبر أنَّهم يعبدون الأصنام و تبرأ منهم، إذا لم يكن إلاَّ ضدَّ ذلك فإنه–ﷺ–عمَّ المشرق و خصَّ نجد بأنَّ منها يطلع قرن الشَّيطان، و أنَّ منها وفيها الفتن و امتنع من الدُّعاء لها و هذا خلاف زعمكم، و أنَّ اليوم عندكم الذين دعى

لهم رسول اللَّه–ﷺ–كفَّار، و الذين أبى أن يدعو لهم و أخبر أنَّ منها قرن الشَّيطان، و أنَّ منها الفتن هي بلادُ الإيمان تجب الهجرة إليها، و هذا بيِّنٌ واضحٌ من الأحاديث إن شاء اللَّه"–إنتهى.

و لنعد الآن إلى مسألة التوسل بالنبي–ﷺ–و لتعزيز ما صرحنا به أعلاه بأن الإمام إبن تيمية–رحمه الله– شذ عن الإجماع؛ ننقل لك، أيها القارئ الكريم، بعض ما قاله أئمتنا أهل العلم و البصيرة في شذوذه:

١) جاء في كتاب "شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه وسلم[٢]" لشيخ الإسلام المجتهد الإمام المحقق، الحافظ و المفسر، الذي سارت بتصانيفه وفتاويه الركبانُ في أقطار البلدان، وكان ممن جمع فنون العلم مع الزهد والورع والعبادة الكثيرة والتلاوة والشجاعة،ناصر السنة شيخ الإسلام المجتهد النظار تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي[٣] ما نصه:–

[١] نظن أن في النسخة التي اطلعنا عليها وقع خطأ في الطباعة و حُذفت "الواو".

[٢] الكتاب: "شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه و سلم، ج١،ص٣٥٧ المؤلف: الإمام المحقق ناصر السنة شيخ الإسلام المجتهد النظار تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي، إعتنى به: حسين محمد علي شكري، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، سنة الطباعة؛: ١٩٧١م.

[٣] تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي والد بهاء الدين وعبدالوهاب السبكي. فقيه شافعي، مفسِّر، حافظ أصولي ،نحوي لغوي، مقرئ، بياني، جدلي. ولد بسُبْك –قرية مصرية من قرى محافظة المنوفية–وإليها ينسب. قرأ القراءات على التقي بن الصائغ والتفسير على علم الدين العراقي، والفقه على ابن الرفعة، والأصول على العلاء الباجي، والنحو على أبي حيان، والحديث على الشرف الدمياطي. له رحلة في طلب العلم، فقد رحل إلى الإسكندرية، ثم إلى دمشق، ثم إلى الحرمين الشريفين، وأخيراً إلى القاهرة واستقر بها. تولى قضاء الشام فكان نزيهًا لا يخشى في الله لومة لائم. وتولى مشيخة دار الحديث بالأشرفية الشامية البرانية وغيرها. كان عالمًا بارعًا محققًا ومدققًا منصفًا في البحث، رجاعًا إلى الحق له من المصنفات نحو مائة وخمسين مؤلفًا.نقلا عن "المكتبة الشاملة". و عرف صاحب "الأعلام" تقي الدين السبكي بما نصه:تقي الدين السبكي:(٦٨٣ - ٧٥٦ هـ = ١٢٨٤ - ١٣٥٥ م)–علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقيّ الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات.ولد في "سبك" من أعمال المنوفية بمصر. و انتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام. وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـ واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها، من كتبه: " الدر النظيم " في التفسير، لم يكمله؛ و " مختصر طبقات الفقهاء"؛ و " إحياء بالنقوس في صنعة إلقاء الدروس"؛ و" الإغريض، في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض "؛ و " التمهيد فيما يجب فيه التحديد–ط " في المبايعات والمقاسمات والتمليكات وغيرها؛ و " السيف الصقيل–ط "– إنتهى بتصرف. و صاحب

- "اعلم أنه يجوز، ويحسن التوسل، والاستعانة والتشفع بالنبي –صلى الله عليه وسلم– إلى ربِّه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحُسْنُه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من

الأزمان حتى جاء ابن تيمية؛ فتكلم في ذلك بكلام يُلَبِّسُ فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار". إنتهى. و تقي الدين السبكي –رحمه الله– كان من معاصري ابن تيمية –رحمه الله.

٢) جاء في كتاب "المتشددون: منهجهم و مناقشة أهم قضاياهم[١]"، ج ٧١، للعلامة و شيخ الأزهر الأسبق، و مفتي الديا المصرية، الشيخ علي جمعة –و الشيخ ما زال حيًّا يرزق ما نصه:

- "من طامات هذا التيار المتشدد أنَّه يحرم التوسل بالنبي –ﷺ– في الدعاء إلى الله، **و يتهمون من يفعل ذلك بالشرك**، على الرغم أن التوسل بالنبي –ﷺ– **مسألةٌ اتفقت عليها كلمة الفقهاء و مذاهبهم، و قد اتفقت المذاهب الأربعة على جواز التوسل بالنبي –ﷺ– بل استحباب ذلك**، و عدم التفريق بين حياته و انتقاله الشريف –ﷺ. **و لم يشذ إلا ابن تيمية** حيث فرق بين التوسل بالنبي –ﷺ– في حياته و بعد انتقاله –ﷺ، و لا عبرة لشذوذه" –إنتهى.

و في الصفحات التالية نقدم خلاصة بحثنا و هو قليل من كثير و هي عبارة عن قائمة العلماء الذين اعترفت لهم الأمة بالخيرية و الأسبقية في حفظ سنة رسول الله –ﷺ– و الذين خدموا الشرع الكريم و كرسوا حياتهم في التعليم و الكتابة لحفظ ما قدمه الأولون و الذين اتبعوهم بإحسان –رضي الله عنهم– و الذين أجمعوا على استحباب التوسل بالنبي الأمين –عليه الصلاة و السلام– و ذلك خلال خمسة عشر قرن من تاريخ الإسلام و المسلمين حيث أننا بحثنا في كتبهم مستعينين بتكنولوجيا الحاسوب في البحث في قائمة زادت عن سبعة ألاف كتاب(٧٠٠٠)؛ و المقام لا يسعنا أن نذكر كل ما وجدناه بل انتقينا ما قاله ساداتنا الأئمة الأعلام، علماء السنّة وعقائد الإسلام، من أعقم الله عن الإتيان بمثلهم الليالى والأيام، حفظهم الله على كافة الأنام، ونصر بهم شريعة نبيه، وأخمد بهم عقائد أهل الشيع والبدع إلى يوم السلام، بجاه سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله– عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام،

"الأعلام" الذي ذكرناه هو : المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى سنة ١٣٩٦هـ).

[١] "المتشددون: منهجهم و مناقشة أهم قضاياهم"، المؤلف: مفتي الديار المصرية، الشيخ و العلامة علي جمعة –حفظه الله.

هذا و بعد ذكر بعض فتاوى المعارضين للتوسل بالنبي الكريم–ﷺ–بعد انتقاله إلى جوار ربِّه في العصور الحديثة –الذين جعلوا من التوسل قضية محورية و عقدية و أخرجوها من دائرة المسائل التي وقع فيها الخلاف من عصر ابن تيمية الحراني–رحمه الله– الذي شذ و خرق إجماع الأمة كما ذكرنا سابقاً نقدم خلاصة بحثنا في شكل جدول في الصفحات التالية التي زاد عددها عن العشرين صفحة و نظمناه

بشكل تسلسلي يذكر القرن الهجري الذي ينتمي إليه العلماء الذين أيدوا التوسل من جهابذة العلم و العرفان، كما ذكرنا مذهبهم الفقهي و مكانتهم و درجتهم و امتيازهم في العلم الشرعي و شتى العلوم. و لقد ذكرنا تحت عنوان الكتاب رقم الصفحة التي يمكن للباحث أن يتطلع على "بطاقة الكتاب" التي تذكر تفاصيل الكتاب مع إسم دار النشر و سنة الطباعة–و هذا رعايةً لأمانة النقل العلمي و المرجعي.

و لتسهيل الأمر على الباحث حتى يستعمل المعلومات التي وضعناها في الجدول بطريقة مسهلة و ناجعة نضرب مثلاً؛ يجد الباحث الكريم في الجدول، من بين المعلومات الأخرى، ما يلي:–

- عنوان الكتاب: "المعجم الأوسط". تحت العنوان يجد ملحوظة: "بطاقة الكتاب:"ملحق الكتاب على صفحة ١٩٥، مسلسل رقم ١٠". هذا يعني تفاصيل الكتاب موجودة على الصفحة رقم ١٩٥، مسلسل رقم١٠؛ و رقم المسلسل هو الرقم التسلسلي للكتاب على الصفحة ١٩٥. و الصفحة فيها قائمة الكتب التي ذكرناها بطريقة تسلسلية.

و قبل تقديم الجدول نذكر فيما يلي قائمة مختصرة لعلماء المسلمين البارزين الذين حفظ الله بهم شريعته الغراء خلال العصور الإسلامية؛ من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر الهجري الذين أيدوا التوسل بالنبي–ﷺ. و الغرض منِ ذكر هذه القائمة هو أمنيتنا أن نحدث ذكرى لدى المعارض و نسأله سؤالين:–

١) **السؤال الأوَّل**: أيُعقَل أن يعَتقِدَ المسلم أن هؤلاء العلماء الأعلام ارتكبوا بدعةً بتوسلهم أو تأييدهم لمسألة التوسل بالنبي الكريم–ﷺ– بعد انتقاله إلى جوار ربه كما أفتى المتشددون؟!

٢) **السؤال الثاني**: أيُعْقَل أن يعَتَقِد المسلم أن هذا العدد الكبير من خيرة علماء الأمة الإسلامية بتوسلهم برسول ربِّ العالمين–ﷺ–بعد انتقاله إلى جوار ربِّه قاموا بعملٍ هو وسيلة للشرك بربِّ العالمين كما أفتى به المتشددون؟!

هذا و مما أردنا التنبيه إليه كذلك هو أنَّ الباحث النجيب الذي لا يتعصب لرأيه سوف يجد أن المتشددين لا يرون المرجعية في الرأي الفقهي أو العقائدي إلاَّ لشرذمة قليلة من علماء الأمة الذين يغلب عليهم الفهم الظاهري للشرع و لا يرون لمدرسة الفهم لدين الله و الإستنباط للأراء الشرعية من قِبَلِ أكابر علمائنا و أئمة الهدى خلال العصور شيء يجب الأخذ به و الرجوع إليه و الأعتماد عليه

و بالخصوص إذا بلغ الشأن مستوى التواتر. و هذا ما يجده الباحث في مسألة التوسل بالنبي –ﷺ. و لقد صدق الله في كتابه العزيز حين قال –جل جلاله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ[١]﴾.

و فيما يلي أسماء بعض علماء المسلمين الذين يعتبرون من خيرة أحبار الأمة المحمدية خلال العصور (١٥ عشر قرناً) من علماء أهل السنة و الجماعة الذين حفظوا شرع ربِّ العالمين و لم يروا بأساً بالتوسل بالنبي الكريم–ﷺ–بعد انتقاله إلى جوار ربّه الكريم؛كأمثال:–

- الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني،الشافعي، صاحب "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"؛
- الفقيه و المحدث، الحنبلي المذهب، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي صاحب "المغني"؛
- الإمام، الحافظ، الشافعي المذهب، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي صاحب "رياض الصالحين"؛ و "الأذكار"؛ و "المجموع شرح المذهب"؛
- الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، الشافعي المذهب، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب "إحياء علوم الدِّين"؛
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الشافعي المذهب، صاحب التفسير المشهور والمعروف بـِ"تفسير ابن كثير"؛
- الإمام المفسر، الحافظ الأصولي، المقرئ، المحقق، شيخ الإسلام، المجتهد النظار، الشافعي المذهب، تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي صاحب " شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه و سلم"؛
- العلامة، و الشيخ الكبير، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح صاحب "المبدع في شرح المقنع"، المؤرخ و قاضي من قضاة الحنابلة في عصره؛
- الشيخ الإمام، محدث الإسلام، الشافعي المذهب، صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري، ابن حجر العسقلاني؛
- الإمام، الحافظ، الأصولي، الفاسي، قاضي المالكية بمكة المكرمة في عصره ، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني،علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي، الشافعي، مؤرخ المدينة و مفتيها؛العلامة و الموسوعي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. السيوطي، الشافعي، العالم المحدث؛

---

[١] جزء من الآية ٨٣ من سورة "النساء".

- الإمام المجتهد، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني و هو من كبار علماء اليمن؛
- الإمام محمد متولي الشعراوي، الأزهري، الشافعي/الحنفي، أحد دعائم الفكر الإسلامي الحديث بمصر، وركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين؛
- الإمام البارع، سليل العلم، المالكي المذهب، الشيخ محمد علوي مالكي، صاحب "مفاهيم يجب أن تصحح"؛
- الدكتور، محمد سعيد رمضان البــوطي، الشافـعي، صاحب "فقه السيرة النبوية مع موجـز لتاريخ الخلافة الراشدة"؛
- شيخ الأزهر سابقا،مفتي الدِّيار المصرية، العلامة علي جمعة صاحب "المتشددون: منهجهم و مناقشة أهم قضاياهم".

جدول البحث : قائمة أبرز علماء الأمة الذين قالوا بالتوسل بالنبي العدنان -ﷺ- بعد وقبل إنتقاله إلى جوار ربه خلال حقبات التاريخ الإسلامي

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
١	قبل ولادته صلى الله عليه وسلم و هبوط أبينا آدم إلى الأرض	–المعجم الأوسط بطاقة الكتاب: الملحق؛ ٢٨١ –ص مسلسل رقم ١	ج٧، ص٢٥٩ –موسوعة الحديث الشريف– إسلام ويب	محدث الإسلام، الحافظ و الباهر، أبو القاسم الطبراني	٣٦٠	أهل السنة و الجماعة	حديث رقم:٦٤٩٨ – عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله–ﷺ–صلى الله عليه وسلم : " لما أذنب آدم الذي أذنبه، رفع رأسه إلى العرش، فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي ، فأوحى الله إليه : وما محمد ؟ ومن محمد ؟ فقال: تبارك اسمك ، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك ، فإذا فيه مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه : يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك، وإن أمته آخر الأمم من ذريتك، ولولا هو يا آدم ما خلقتك ". تنبيه: روى كذلك مثل الحديث أعلاه الحاكم النيسابوري في مستدركه و قال:– " هذا حديث صحيح الإسناد". انظر ملحق الكتاب، صفحة رقم ٢٨٩، مسلسل ٥٧.	الطبراني، أبو القاسم (٢٦٠–٣٦٠هـ، ٨٧٣–٩٧١م): سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم. محدِّث مشهور، ثقة حافظ، معمر. والطبراني نسبة إلى بلدة طبرية، فإن أصله منها. وُلد بعكا في فلسطين، وبدأ بسماع الحديث سنة ٣٧٢هـ. كان أبوه حريصًا عليه فرحل به لطلب العلم. رحل إلى بلدان كثيرة منها: بغداد والكوفة، والبصرة وإلى مدائن الشام والحجاز ومصر واليمن وأصبهان وغيرها. وامتدت رحلاته ثلاثين سنة. استقر به المقام في أصفهان. سمع من إسحق الدبري وعلي بن عبد العزيز البغوي، وأبي عبد الرحمن النسائي. روى عنه ابن عقدة، وأبو بكر بن مردويه، وأبو نعيم الأصبهاني، وعبد الرحمن بن أحمد الصفار. **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف

تابع لما أعلاه – "نبذة عن المؤلف"–الطبراني–رحمه الله:

من مصنفاته؛ "المعجم الكبير"؛ "المعجم الأوسط"؛ "المعجم الصغير"؛ "كتاب الدعاء والمناسك"؛ "عُشرة النساء"؛ السنة؛ "مسند شعبة"؛ "مسند سفيان"؛"الأوائل"؛ "مسند الشاميين"؛ "مكارم الأخلاق"؛ وله تفسير كبير الحجم. سرد الذهبي مصنفات الطبراني نقلاً عن يحي بن منده، فكانت ٦٧ مؤلفًا. عاش مائة سنة وعشرة أشهر. وتُوفي في أصفهان.

نقلا عن موسوعة "المكتبة الشاملة".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢	في شبابه ﷺ و هو غلام تحت رعاية جده– أبو طالب	المعجم الكبير –للطبراني بطاقة الكتاب: ملحق الكتاب – ص ٢٨١ مسلسل رقم ٢	ج٢٤، ص:٢٥٩ – المكتبة" "الشاملة	أبو القاسم الطبراني	٣٦٠	أهل السنة و – الجماعة	ذكر الطبراني قصة إستسقاء جده به و هو غلام–و هذا هو نصه: " قام عبد المطلب، ومعه رسول الله– صلى الله عليه وسلم–غلامٌ قد أيفع أو كرب، فرفع يده فقال: اللهم ساد الخلة، وكاشف الكربة، أنت معلمٌ غير معلم، ومسؤولٌ غير مبخل، وهذه عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمكَ، يشكون إليك سنتهم أذهبت الخف والظلف، اللهم فأمطرن علينا غيثًا معذقًا مريعًا، فورب الكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء بمائها، واكتظ الوادي بثجيجه فسمعت شيخان قريش وجلتها عبد الله بن جدعان، وحرب بن أمية، وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئًا لك أبا البطحاء، أي عاش بك أهل البطحاء، وفي ذلك ما تقول رقيقة بنت أبي صيفي بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ....وقد فقدنا الحياة واجلوذ المطر فجاء بالماء جونيا لـه سبلٌ ... ..فعاشت به الأنعام والشجر منـا من الله بالميـمون طائره.. .... و خير من بشرت يومًا به مضر مبارك الأمر يستسقى الغمام به...... ... ما في الأنام له عدلٌ ولا خطر.	انظر أعلاه.

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣	قبيل نبوته	السيرة النبوية من "البداية و النهاية" لإبن كثير–بطاقة الكتاب: – الملحق ٢٨١–ص مسلسل ٣	ج١/ ص٢٩٢ "المكتبة "الشاملة	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي	٧٧٤	شافعي	عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كانت اليهود بخيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالوا:– اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم. قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان. فلما بعث النبي– ﷺ–كفروا به. فأنزل الله عزوجل " و ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ –الآية.	ابن كثير القرشي (٧٠٠ – ٧٧٤هـ):– عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة ٧٠٦هـ بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الآمدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها. كان ابن كثير من بيت علم وأدب، وتتلمذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالما محققا ثقة متقنًا، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إماما في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها "البداية والنهاية" في التاريخ وكتاب تفسير القرآن العظيم، وهو من أفضل كتب التفسير لما امتاز به من عناية بالمأثور وتجنب للأقوال الباطلة والروايات المنكرة. توفي ابن كثير بعد أن كُفَّ بصره، ودفن في دمشق. نقلا عن"المكتبة الشاملة".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤	في زمانه و حياته –ﷺ–	"مسند الإمام أحمد بن حنبل" بطاقة الكتاب: الملحق، ص ٢٨١، مسلسل ٤	٤/ ١٣٨ "المكتبة الشاملة"	الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد – رضي الله عنه	٢٤١	صاحب المذهب أهل السنة و الجماعة	الحديث: عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي–ﷺ– فقال: يا نبي الله ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوت لك! قال: لا بل ادع الله لي فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء؛ **اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد–صلى الله عليه وسلم–نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي** هذه فتقضي وتشفعني فيه وتشفعه في. قال فكان يقول هذا مرارا ثم قال بعد أحسب أن فيها أن تشفعني فيه. قال ففعل الرجل فبرأ.	أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. الفقيه والمحدث، صاحب المذهب. ولد ببغداد ونشأ بها ومات والده وهو صغير فتعهدته أمه و وجهته إلى دراسة العلوم الدينية، فحفظ القرآن وتعلم اللغة. وفي الخامسة عشرة من عمره بدأ دراسة الحديث وحفظه، وفي العشرين من عمره بدأ في رحلات طلب العلم، فذهب إلى الكوفة ومكة والمدينة والشام واليمن ثم رجع إلى بغداد ودرس فيها على الشافعي أثناء قيام الشافعي برحلاته إليها في المدة من ١٩٥–١٩٧هـ، وكان من أكبر تلاميذ الشافعي ببغداد. نقلا بتصرف عن "المكتبة الشاملة".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥	القرن الأول: بعد انتقاله إلى ربه –ﷺ– (في خلافة عمر بن الخط	الإصابة في تمييز الصحابة– بطاقة الكتاب: الملحق ص–٢٨١ مسلسل ٥	ج٦، ص– ٢١٦ "المكتبة الشاملة"	أحمد بن حجر العسقلاني	٨٥٢	شافعي	وأخرج البخاريّ في التّاريخ من طريق أبي صالح ذكوان، عن مالك الدّار- أنّ عمر قال في قحوط المطر: يا رب، لا آلو إلا ما عجزت عنه. وأخرجه ابن أبي خثيمة من هذا الوجه مطوّلا، قال أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النّبيّ –ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، استسق اللَّه لأمتك، فأتاه النبيّ–صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، فقال له: «ائت عمر، فقل له: إنّكم مستسقون ، فعليك الكفين" ، قال: فبكى عمر، وقال: يا رب، ما آلو إلا ما عجزت عنه. لقد أضفنا في الملحق تعليق مؤرخ المدينة و مفتيها الإمام السمهودي (ت:٩١١ هجرية) في كتابه؛ "وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى" على حديث إستسقاء عمر–رضي الله عنه إعتمادا على رؤيا الصحابي رضي الله عنه. كذلك الحكم على صحة الحديث في "فتح الباري" لإبن حجر. تجد التعليق هنا: ص ٢٨٧ مسلسل ٥٨.	ابن حَجَر العَسْقلاني (٧٧٣هـ–٨٥٢هـ، ١٣٧٢م–١٤٤٨م): شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي. صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. عالم محدِّث فقيه أديب ولع بالأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم أقبل على الحديث فسمع الكثير، ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي. رحل إلى اليمن، والحجاز، وغيرهما لسماع الشيوخ، وصارت له شهرة كبيرة. قصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره. ولما حضرت العراقي الوفاة قيل له من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابني أبا زرعة، ثم الهيثمي. كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. نقلا عن"المكتبة الشاملة".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (ه)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٦	القرن الثاني: (في زمان إمام دار الهجرة و إمام المذهب مالك بن أنس)	المواهب اللدنية بالمنح –المحمدية :بطاقة الكتاب الملحق ٢٨١ ص مسلسل ٦	ج٣، ص: ٥٩٤	القسطَلاَّني	٩٢٣	شافعي	وينبغى للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة، وإن جاء من جهة رجلى الصاحبين فهو أبلغ فى الأدب من الإتيان من جهة رأسه المكرم. ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه–صلى الله عليه وسلم–بأن يقابل المسمار الفضة المضروب فى الرخام الذى فى الجدار، ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم، لأن هناك عدة قناديل. وقد روى أن مالكا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسى: يا أبا عبد الله أستقبل رسول الله–صلى الله عليه وسلم– وأدعو، أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك:**ولما تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم–عليه السّلام–**إلى الله عز وجل يوم القيامة انظر بقية التعليق في ملحق الكتاب، ص–٢٨٨، مسلسل ٥٩.	القَسْطَلَّاني (٨٥١ – ٩٢٣ ه = ١٤٤٨ – ١٥١٧ م): أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده و وفاته في القاهرة. له "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"– عشرة أجزاء؛ و "المواهب اللدنية في المنح المحمدية" في السيرة النبوية؛ و"لطائف الإشارات في علم القراآت"؛ و "الكنز" في التجويد؛ و "الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر"؛ و"شرح البردة" سماه "مشارق الأنوار المضية" منه نسخة في دمشق، كما في تعليقات عبيد، وأخرى في خزانة الرباط. نقلا عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٧	الثالث	فتوح الشام– بطاقة الكتاب: الملحق؛ ص– ٢٨١، مسلسل ٧	ج١، ص٩٤	محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي	٢٠٧	تابعي	يقول الواقدي–رضي الله عنه–في وقعة أبي القدس التي ولى إمارتها أبو عبيدة بن الجراح–رضي الله عنه– عبد الله بن جعفر [إبن عم رسول الله–صلى الله عليه وسلم] في معركة خاضها مع الروم في بلاد الشام بعد أن خدرت منهم المناكب و عظم الأمر و هال الصبُر أصحابَ عبد الله بن جعفر–رضي الله عنهما–ما نصه:".... فألجأ [أي عبد الله] إلى الله تعالى أمره وفوض إلى صاحب السماء شأنه ورفع يده إلى السماء وقال في دعائه يا من خلق خلقه وابلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم **أسألك بجاه محمد النبي**–ﷺ– إلا ما جعلت لنا من امرنا فرجا و مخرجا..."	الواقدي – محمد بن عمر بن واقد المواقدى أبو عبد الله المدنى الاصل بغدادي المسكن والوفاة. كان عالما محدثا اخباريا ولد سنة ١٣٠ وتوفى سنة ٢٠٧ سبع ومائتين هـ. من تصانيفه؛ "اخبار مكة"؛ "أزواج النبي–صلى الله عليه وسلم"؛ "تاريخ الفقهاء"؛ "التاريخ الكبير"؛ "التاريخ والمبعث والمغازى"؛ "تفسير القرآن"؛ "ذكر القرآن"؛ "سيرة ابى بكر–رضى الله عنه"؛ " فتوح الشام". و قال الإمام و الثقة المقرئ. الإمام الحافظ، محدِّث العصر وخاتمة الحفَّاظ، ومؤرخ الإسلام الذهبي ((ت:٧٤٨ هـ) صاحب "سير أعلام النبلاء" — الحديث، ج٨، ص١٥٨) في الواقدي: "..وجمع فأوعى وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين فاطرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم" **<u>تنبيه</u>: انظر في الصفحة الموالية: بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن المؤلف"–أبو عبد الله الواقدي – نقلا عن كتاب: "هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين"، المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٢.								
٨	الرابع	بحر العلوم– بطاقة الكتاب:– الملحق؛ ص٢٨١– مسلسل ٨	ج١، ص:٣٠	نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي	٣٧٣	حنفي	جاء في "تفسير السمرقندي: بحر العلوم"، ج١،ص:٣٠–"المكتبة الشاملة"، في تفسير الآية الشريفة ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ...﴾ يعني كمثل من كان في المفازة في الليلة المظلمة وهو يخاف السباع، فأوقد ناراً فأمن بها من السباع، فَلَمَّا أَضاءَتْ مَا حَوْلَهُ طفئت ناره وبقي في الظلمة، كذلك اليهود الذين كانوا حوالي المدينة كانوا يقرون بالنبي صلى– الله عليه وسلم– قبل أن يخرج، وكانوا إذا حاربوا أعداءهم من المشركين يستنصرون باسمه فيقولون بحق نبيك أن تنصرنا، فلما أخرج النبيّ–صلّى الله عليه وسلم–وقدم المدينة، حسدوه وكذبوه وكفروا به فطفئت نارهم وبقوا في ظلمات الكفر.	جاء في ترجمة المؤلف في كتاب "بحر العلوم" –كتابه في التفسير، ح١. ص:٣، ما نصه:– " هو نصر بن محمد، بن أحمد، بن إبراهيم، أبو الليث، الفقيه السمرقندي، المشهور ب: إمام الهدى. وذكر له كحالة في "معجم المؤلفين" صفاتا؛ منها: "فقيه، مفسر، محدث، حافظ، صوفي" .أما كونه فقيها فهذا صحيح، كونه ذكر في عدد من "طبقات الحنفية" . ويدل على فقهه وسعة علمه كتابيه: "المقدمة في الفقه" ؛ "وشرح الجامع الصغير" . وهو مفسر أيضا، يدل على ذلك كتابه هذا؛ "بحر العلوم"، وقد ذكره الداوودي في "طبقات المفسرين""–إنتهى بتصرف. الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٩	الخامس	دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة– بطاقة الكتاب:– الملحق ص–٢٨١ مسلسل ٩	ج٨، ص:٤٧	أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوجِردي الخراسانى، أبو بكر البيهقي	٤٥٨	شافعي	"أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال ائت عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقون. وقل له: عليك الكيس الكيس. فأتى الرجل عمر، فأخبره، فبكى عمر ثم قال:– يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه."–إنتهى.	أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده [بيهق]. قال إمام الحرمين:– ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه. وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف. صنف زهاء ألف جزء، منها "السنن الكبرى"– عشر مجلدات؛ و "السنن الصغرى"؛ و "المعارف". **<u>تنبيه</u>: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن المؤلف"–الإمام البيهقي: و "الأسماء والصفات"؛ و "دلائل النبوة"؛ و "الآداب" في الحديث؛ و "الترغيب والترهيب"؛ و "المبسوط"؛ و "الجامع المصنف في شعب الإيمان"–هناك نسخة منه قديمة في خزانة الرباط؛ و "مناقب الامام الشافعي" كما في فهرس المخطوطات؛ و "معرفة السنن والآثار" المجلد الثاني منه في خزانة الشاويش ببيروت، عليه خط ابن حجر والبقاعي؛ و "القراءة خلف الامام"؛ و "البعث والنشور" في شستربتي؛ و "الاعتقاد"؛ و"فضائل الصحابة" وبين هذه الكتب ما هو في عشر مجلدات، كالمبسوط. نقلا عن "الأعلام للزركلي".								

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
١٠	السادس	إحياء علوم الدين– بطاقة الكتاب:– الملحق ص–٢٨٢ مسلسل ١٠	ج١، ص٢٥٩	أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي	٥٠٥	شافعي	ذكر – رحمه الله – في باب زيارة المدينة و آدابها ما يلي:"... وليكثر من الصَّلَاةَ على رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ثم يقول اللهم إنك قد قلت وقولك الحق؛﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾–اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك..." إنتهى بتصرف.	الغزالي (٤٥٠–٥٠٥هـ=١٠٥٨–١١١١م) قال الإما الذهبي، المقرئ. الإمام الحافظ، محدِّث العصر وخاتمة الحفَّاظ، ومؤرخ الإسلام (المتوفي:٧٤٨هـ) في الإمام أبي حامد الغزالي في "سير أعلام النبلاء"–الحديث، ج١٤،ص:٢٦٧، ما نصه: "الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط. تفقه ببلده أولا، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين.........وعظم جاه الرجل، **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة من حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن المؤلف"–الإمام أبو حامد الغزالي:– وازدادت حشمته بحيث إنه في دست أمير، وفي رتبة رئيس كبير، فأداه نظره في العلوم وممارسته لأفانين الزهديات إلى رفض الرئاسة، والإنابة إلى دار الخلود، والتأله، والإخلاص، وإصلاح النفس، فحج من وقته، وزار بيت المقدس، وصحب الفقيه نصر بن إبراهيم بدمشق، وأقام مدة، وألف كتاب "الإحياء"؛ وكتاب "الأربعين"؛ و كتاب "القسطاس"؛ و كتاب "محك النظر". و راض نفسه و جاهدها، وطرد شيطان الرعونة، و لبس زي الأتقياء، ثم بعد سنوات سار إلى وطنه، لازما لسننه، حافظا لوقته، مكبا على العلم." إنتهى بتصرف بسيط.								

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
١١	السابع	المستوعِب – بطاقة الكتاب:– الملحق ص–٢٨٢ مسلسل ١١	ج١، ص٥٢٥	الشيخ الإمام نصير الدين محمد بن عبد الله السَّامري الحنبلي	٦١٦	حنبلي	ذكر–رحمه الله –في باب زيارة قبر الرسول –صلى الله عليه وسلم ما نصه: "... اللهم إني أتوجه إليك بنبيك–صلى الله عليه وسلم – نبي الرحمة، يا رسول الله، إني أتوجه إلى ربِّي ليغفر لي ذنوبي. اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي ذنوبي. اللهم إجعل محمداً – صلى الله عليه وسلم – أول الشافعين، و أنجح السائلين، و أكرم الأولين و الآخرين.	هو الإمام الفقيه الفرضي، القاضي، أبو عبد الله، نصير الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن قاسم بن إدريس السامري المعروف بابن سنينة. ولد بسامراء؛ مدينة كانت بين بغداد و تكريت على شرقي دجلة، و قد خربت، إنظر "معجم البلدان للحموي":–١٧٣/٣" سنة خمس و ثلاثين و خمسمائة هجرية. مكانته العلمية: قال الإمام الذهبي:– "من كبار الفقهاء، صنف و اشتغل". و أورد الإمام عبد الرحمان بن رجب أقوال بعض العلماء في الإمام السامري فقال: "قال ابن النجار:– كان شيخاً جليلا، فاضلا، نبيلا، حسن المعرفة بالمذهب و الخلاف، له مصنفات فيهما حسنة". كما وصفه العلامة إبن بدران بقوله؛ "العلامة مجتهد المذهب" –إنتهى بتصرف.

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
١٢	السابع	المغني لابن –قدامة بطاقة الكتاب: – الملحق ٢٨٢–ص مسلسل ١٢	ج٣، ص٤٧٨	عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي	٦٢٠	حنبلي	اللهم إنك قلت وقولك الحق:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤)﴾–وقد أتيتك مستغفرا من ذنوبي، مستشفعا بك إلى ربي، فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم اجعله أول الشافعين، وأنجح السائلين، وأكرم الآخرين والأولين، برحمتك يا أرحم الراحمين..." – إنتهى بتصرف.	عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي. فقيه محدّث ولد بجماعيل، وهى قرية بجبل نابلس بفلسطين. ثم رحل إلى دمشق، وقرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير من والده، ومن أبي المكارم ابن هلال، ومن أبي المعالي بن صابر وغيرهم. ثم رحل إلى بغداد مع ابن خالته الحافظ عبد الغني وسمع من علمائها ثم عاد إلى دمشق. كان حجة في المذهب الحنبلي. برع وأفتى وناظر وتبحر في فنون كثيرة. وكان زاهدًا ورعا متواضعا، حسن الأخلاق، كثير التلاوة للقرآن، كثير الصيام والقيام. قال ابن تيمية في حقه: ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من ابن قدامة. و قال عنه ابن الحاجب: كان ابن قدامة إمام الأئمة ومفتي الأمة اختصه الله تعالى بالفضل الوافر والخاطر العاطر والعلم الكامل، طنت بذكره الأمصار وضنت بمثله الأعصار **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن المؤلف"–الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي–رحمه الله: قد أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية. فأما الحديث فهو سابق فرسانه، وأما الفقه فهو فارس ميدانه، أعرف الناس بالفتيا وله المصنفات الغزيرة ... له كتب كثيرة أشهرها: "المغني في شرح الخرقي" في الفقه، ويقع في عشرة مجلدات؛ "الكافي" في الفقه، ويقع في أربعة مجلدات؛ "المقنع" في الفقه؛ "الهداية"؛ العمدة والأخيران في الفقه؛ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه وقد شرحها ابن بدران شرحاً سماه: نزهة الخاطر العاطر. وله أيضاً مختصر العلل للخلال، وغيرها كثير. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية:-http://www.mawsoah.net								
١٣	السابع	المجموع شرح –المهذب بطاقة الكتاب:– الملحق ص ٢٨٢، مسلسل ١٣	ج٨، ص٢٧٤	أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي	٦٧٦	شافعي	جاء في باب:الحج–مذاهب:– العلماء في مسائل تتعلق بالوقوف: ذكر–رحمه الله–في باب زيارة النبي المختار –صلى الله عليه وسلم ما نصه: "... ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– و يتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى.	النووي، أبو زكريا (٦٣١ – ٦٧٦هـ، ١٢٣٤–١٢٧٨م). محيي الدين أبو زكريا يحيي بن شرف الحوراني الشافعي. كان إماما بارعا حافظا أمَّارا بالمعروف وناهيا عن المنكر، تاركا للملذات ولم يتزوج. أتقن علومًا شتى. من تصانيفه: "تهذيب الأسماء واللغات"؛ و"المنهاج في شرح مسلم"؛ "التقريب والتيسير في مصطلح الحديث"؛ "الأذكار"؛ "رياض الصالحين" وهو كتاب جامع ومشهور؛ "المجموع شرح المهذب"؛ "الأربعون النووية"؛ "مختصر أسد الغابة في معرفة الصحابة" وغيرها.نقلا عن الموسوعة العربية العالمية:– http://www.mawsoah.net

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
١٤	الثامن	المدخل–بطاقة الكتاب:– الملحق؛ ص –٢٨٢ مسلسل ١٤	ج١، ص٢٥٩	أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج	٧٣٧	مالكي	باب زيارة سيد الأولين و الأخرين، ج١، ص ٢٥٩: "...فالتوسل به – عليه الصلاة والسلام – هو محل حط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب، والخطايا؛ لأن بركة شفاعته – عليه الصلاة والسلام – وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، إذ أنها أعظم من الجميع فليستبشر...." إنتهى بتصرف.	محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج، أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي، نزيل مصر: فاضل. تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحج، وكف بصره في آخر عمره و أقعد. وتوفي بالقاهرة، عن نحو ٨٠ عاما. له "مدخل الشرع الشريف " ثلاثة أجزاء، قال فيه ابن حجر: كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر، وبعضها مما يحتمل. وله "شموس الأنوار وكنوز الأسرار "؛ و "بلوغ القصد والمنى في خواص أسماء الله الحسنى." نقلا عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
١٥	الثامن	البداية و النهاية–بطاقة الكتاب:– الملحق؛ ص ٢٨٢؛ مسلسل ١٥	ج١٧، ص ٣٤٠	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي	٧٤٤	شافعي	باب ذكر الأحداث التي وقعت في سنة ٦٥٤: "....فالله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين، بمحمد وآله الطاهرين."	عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بـ"تفسير ابن كثير". ولد بالبصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة ٧٠٦هـ بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الآمدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة؛ تعرض ابن كثير للأذى بسببها. كان ابن كثير من بيت علم وأدب، وتتلمذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالما محققًا ثقة متقنًا، وكان غزير العلم واسع الإطلاع إماما في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها: "البداية والنهاية" في التاريخ وكتاب تفسير القرآن العظيم، وهو من أفضل كتب التفسير لما امتاز به من عناية بالمأثور وتجنب للأقوال الباطلة والروايات المنكرة. توفي ابن كثير بعد أن كُفَّ بصره، ودفن في دمشق. نقلا عن" الموسوعة العربية العالمية".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
١٦	الثامن	شفاء السقام في زيارة خير الأنام–صلى الله عليه–بطاقة الكتاب: الملحق ص – ٢٨٢ مسلسل ١٦	ج١، ص٣٥٧	شيخ الإسلام المجتهد النظار تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي	٧٥٦	شافعي	اعلم أنه يجوز، ويحسن التوسل، والاستعانة والتشفع بالنبي–صلى الله عليه وسلم–إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك و حسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية؛ فتكلم في ذلك بكلام يُلَبِّسُ فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار."	تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي والد بهاء الدين وعبدالوهاب السبكي. فقيه شافعي، مفسِّر، حافظ أصولي ،نحوي لغوي، مقرئ، بياني، جدلي. ولد بسُبْك (قرية مصرية من قرى محافظة المنوفية) وإليها ينسب. قرأ القراءات على التقي بن الصائغ والتفسير على علم الدين العراقي، والفقه على ابن الرفعة، والأصول على العلاء الباجي، والنحو على أبي حيان، والحديث على الشرف الدمياطي. له رحلة في طلب العلم، فقد رحل إلى الإسكندرية، ثم إلى دمشق، ثم إلى الحرمين الشريفين، وأخيرا إلى القاهرة واستقر بها. تولى قضاء الشام فكان نزيها لا يخشى في الله لومة لائم. و تولى مشيخة دار الحديث بالأشرفية الشامية البرانية وغيرها. كان عالما بارعا محققا ومدققا منصفا في البحث، رجاعا إلى الحق له من المصنفات نحو مائة وخمسين مؤلفًا. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية:-Global Arabic Encyclopedia http://www.mawsoah.net

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
١٧	التاسع	البدر المنير في تخريج لأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير– بطاقة الكتاب:– الملحق؛ ص٢٨٢– مسلسل ١٧	ج٢، ص١٨٥	ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري	٨٠٤	شافعي	فافهم ما قررناه لك أيها الناظر في هذا الموضع؛ فإنه مهم يرحل إليه، جعل الله ذلك خالصا لوجهه بمحمد و آله.	عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن: من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادي آش بالأندلس ومولده ووفاته في القاهرة. له نحو ثلاثمائة مصنف؛ منها "إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال"–تراجم؛ و "التذكرة في علوم الحديث"–رسالة؛ و"الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"؛ و "إيضاح الارتياب في معرفة ما يشتبه ويتصحف من الأسماء والأنساب"؛ و "غريب كتاب الله العزيز"؛ و "التوضيح لشرح الجامع الصحيح"– "شرح البخاري"؛ و "خلاصة البدر المنير "في تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعي؛ و"خلاصة الفتاوى في تسهيل أسرار الحاوي – فقه". **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن المؤلف"–ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد–رحمه الله: و"تصحيح الحاوي"؛ و"طبقات الأولياء"؛ و "المقنع " في الحديث؛ و "غاية السول في خصائص الرسول"؛ و "طبقات المحدثين"؛ و"طبقات القراء"؛ و "العقد المذهب" في طبقات الشافعية"؛ و "شرح زوائد مسلم على البخاري "– حديث. نقلا عن:"الأعلام للزركلي".								
١٨	التاسع	ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن اصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بطاقة الكتاب:– ص ٢٨١ مسلسل ١٨	ج٦، ص٤٩	عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي	٨٠٨	مالكي	و نتوسل إليه بجاه نبيه الكريم، أن يرزقنا" إيمانا دائما، وقلبا خاشعا، وعلما نافعا، ويقينا صادقا، ودينا قيما والعافية من كل بلية، وتمام العافية، ودوام العافية، والشكر على العافية، والغنى عن الناس..." إنتهى بتصرف.	عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية، و لما رحل إلى الأندلس اهتزّ له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه. اشتهر بكتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر"–في سبعة مجلدات. نقلا بتصرف عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
١٩	التاسع	وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام–بطاقة الكتاب: الملحق ص ٢٨٢، مسلسل ١٩	ج١، ص ٣١-٣٢	أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس القسنطيني-الجزائري، ابن قنفذ	٨١٠	قد يكون مالكيا – و الله أعلم	وبعد فإن أولى ما نظر فيه الطالب وعني به الراغب سير الرسول–صلى الله عليه وسلم–وخبره الذي يزيد في الإيمان والإسلام ولامتداد مصنفاتها واتساع مجموعاتها رغب الراكد في اقتضاب ازهارها ليكون كالمدخل إلى جميع أنوارها فأجبته بعد الاعتراف بالتقصير والعجز عن الخوض في هذا البحر العظيم رغبة في الثواب والأجر وتوسلا بسيد البشر المبعوث إلى الأسود والأحمر.	أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس القسنطيني، ابن قنفذ: باحث، له علم بالتراجم و الحديث، و الفلك، و الفرائض. اشتهر بابن قنفذ وبابن الخطيب. من أهل قسنطينة بالجزائر ولي قضاءها، ورحل إلى المغرب الأقصى فأقام ١٨ عاما. من كتبه؛ "شرح الطالب في أسنى المطالب "– تراجم؛ و "تيسير المطالب في تعديل الكواكب"– قال في وصفه: لم يهتد أحد إلى مثله من المتقدمين؛ و "شرح منظومة ابن أبي الرجال" في الفلك؛ و "بغية الفارض من الحساب والفرائض"؛ و "سراج الثقات في علم الأوقات"؛ و "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" في تاريخ بني حفص ألفه للأمير أبي فارس عبد العزيز المريني، ونسبه إليه. **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن المؤلف"–الإمامأحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس –رحمه الله: و "الوفيات"؛ وقيل لي إنه طبع في الجزائر، وهو مختصر ذكر فيه بعض علماء المغرب؛ و "أنس الحبيب عن عجز الطبيب"؛ و "القنفذية في إبطال الدلالة الفلكية"؛ و "أنس الفقير وعز الحقير في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه". قال صاحب جواهر الكمال: هو شبه رحلة تقصى فيها تنقلاته بالمغرب الأقصى ومن لقي من أهل العلم والصلاح؛ و"تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد". نقلا–بتصرف– عن "الأعلام للزركلي".								
٢٠	التاسع	دفع شبه من شبَّه و تمرد و نسب ذلك الى السيد الجليل أحمد–بطاقة الكتاب:– الملحق، ص ٢٨٢، مسلسل ٢٠	ج١، ص ٧٥	الإمام الكبير تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي	٨٢٩	شافعي	و لا متشبث في الحديث المذكور فإن عمر –رضي الله عنه–إنما قصد أن يقدم العباس و يباشر الدعاء بنفسه و هذا لا يتصور حصوله من غير الحي أي الحياة الدنيوية. و أما التوسل برسول–الله صلى الله عليه و سلم–فلا نسلم أن عمر–رضي الله عنه– تركه بعد موته و تقديم العباس ليدعو للناس لا ينفي جواز التوسل به مع ذلك ثم قال و هذا القول الشنيع و الرأي السخيف الذي أخذ به هؤلاء المبتدعة من التحاقه–صلى الله عليه و سلم– بالعدم حاشاه من ذلك، يلزمه أن يقال أنه ليس رسول الله– صلى الله عليه و سلم– اليوم.	أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين: فقيه ورع من أهل دمشق. ووفاته بها. نسبته إلى الحصن (من قرى حوران) وإليه تنسب (زاوية الحصني) بناها رباطا في محلة الشاغور بدمشق. له تصانيف كثيرة؛ منها "كفاية الأخيار" شرح به الغاية في فقه الشافعية؛ و"دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الامام أحمد"؛ و "تخريج أحاديث الإحياء"؛ و "تنبيه السالك على مظان المهالك"–ست مجلدات؛ و "قمع النفوس". نقلا عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢١	التاسع	ذيل التقييد في رواة السنن الأسانيد–بطاقة الكتاب: ،الملحق ص ٢٨٣ مسلسل ٢١	ج١، ص٦٩	محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي	٨٣٢	مالكي	"........ونسأل الله أن يسعفه بمطلوبه بمحمد سيد المرسلين وأله وصحبة الصفوة الأكرمين."	محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني: مؤرخ، عالم بالأصول، حافظ للحديث. أصله من فاس، ومولده و وفاته بمكة. دخل اليمن والشام ومصر مرارا.و ولي قضاء المالكية بمكة مدة. وكان أعشى يملي تصانيفه على من يكتب له، ثم عمي سنة ٨٢٨. قال المقريزي: كان بحر علم لم يخلف بالحجاز بعد مثله. من كتبه: "العقد الثمن في تاريخ البلد الأمين"–ثمانية مجلدات، على حروف الهجاء؛ و "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام"؛ ومختصره–"تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام"– وسماه أيضا؛ "عجالة القرى للراغب في تاريخ أم القرى" ؛ ومختصر المختصر–تحصيل المرام "، **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن المؤلف"–الإمام حمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي–رحمه الله: و "المقنع من أخبار الملوك والخلفاء"؛ و "ذيل كتاب النبلاء للذهبي"–مجلدان،؛ و "سمط الجواهر الفاخر" في السيرة النبوية، مجلد ضخم في خزانة الرباط (١٤٠١)؛ و "إرشاد الناسك إلى معرفة المناسك"؛ و"مختصر حياة الحيوان" للدميريز. نقلا بتصرف عن "الأعلام للزركلي".								

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢٢	التاسع	فتح القدير– بطاقة الكتاب:– الملحق؛ص ٢٨٣، مسلسل ٢٢	ج٣، ص١٨١	كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام	٨٦١	حنفي	ذكر في زيارة الحبيب–صلى الله عليه وسلم–ما نصه: اللهم أعط سيدنا عبدك ورسولك محمدا الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، وأنزله المنزل المقرب عندك، إنك سبحانك ذو الفضل العظيم. ويسأل الله تعالى حاجته متوسلا إلى الله بحضرة نبيه–عليه الصلاة والسلام –. وأعظم المسائل وأهمها سؤال حسن الخاتمة والرضوان والمغفرة، ثم يسأل النبي– صلى الله عليه وسلم– الشفاعة فيقول. يا رسول الله أسألك الشفاعة، يا رسول الله أسألك الشفاعة وأتوسل بك إلى الله في أن أموت مسلما على ملتك وسنتك.	محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود، السيواسي ثم الإسكندري، كمال الدين، المعروف بابن الهمام: إمام من علماء الحنفية. عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه والحساب واللغة والمنطق.أصله من سيواس. ولد بالإسكندرية، ونبغ في القاهرة. وأقام بحلب مدة ، وجاور بالحرمين. ثم كان شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية بمصر.وكان معظما عند الملوك و أرباب الدولة. توفي بالقاهرة. من كتبه؛ "فتح القدير" في شرح الهداية، ثماني مجلدات في فقه الحنفية؛ و"التحرير" في أصول الفقه؛ و"المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة"؛ و "زاد الفقير"–مختصر في فروع الحنفية. نقلا عن"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢٣	التاسع	المبدع في شرح المقنع–بطاقة الكتاب: الملحق، ص ٢٨٣، مسلسل ٢٣	ج٢، ص ٢٠٧	إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين	٨٨٤	حنبلي	قال أحمد في "منسكه" الذي كتبه للمروذي: –إنه يتوسل بالنبي– صلى الله عليه وسلم في دعائه، وجزم به في"المستوعب".	إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين: مؤرخ، من قضاة الحنابلة. مولده و وفاته في دمشق. و ولي قضاءها سنة ٨٥١ وعين لقضاء الديار المصرية سنة ٨٧٦ فلم يذهب. من محاسنه إخماد الفتن التي كانت تقع بين فقهاء الحنابلة وغيرهم في دمشق، ولم يكن يتعصب لأحد. باشر القضاء في الديار الشامية نيابة واستقلالا أكثر من أربعين سنة. من كتبه؛"المقصد الارشد في ذكر أصحاب الامام أحمد"؛ و "المبدع بشرح المقنع"–فقه، أربعة مجلدات، طبع الاول منها؛ و "مرقاة الوصول إلى علم الاصول". نقلا عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢٤	التاسع	الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف–بطاقة الكتاب:– الملحق، ص٢٨٣– مسلسل ٢٤	ج٢، ص٤٥٦	علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي	٨٨٥	حنبلي	باب صلاة الإستسقاء، ج٢، ص٤٥٦– ومنها: يجوز التوسل بالرجل الصالح، على الصحيح من المذهب، وقيل: يستحب. قال الإمام أحمد: المروذي يتوسل بالنبي–صلى الله عليه وسلم–في دعائه وجزم به في المستوعب وغيره، وجعله الشيخ تقي الدين كمسألة اليمين به قال: والتوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته والصلاة والسلام عليه، وبدعائه وشفاعته، ونحوه مما هو من فعله أو أفعال العباد المأمور بها في حقه: مشروع إجماعا، وهو من الوسيلة المأمور بها في قوله تعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.	علي بن سليمان بن أحمد المرداوي ثم الدمشقي:– فقيه حنبلي–من العلماء. ولد في مردا "قرب نابلس"، و انتقل في كبره إلى دمشق فتوفي فيها. من كتبه "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف" في اثني عشر جزءا، اختصره في مجلد؛ و "التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع" و "تحرير المنقول" في أصول الفقه؛ وشرح "التحبير في شرح التحرير" مجلدان؛ و "الدر المنتقى المجموع في تصحيح الخلاف". نقلا بتصرف عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢٥	التاسع	التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح–بطاقة الكتاب:– الملحق ص ٢٨٣–مسلسل ٢٥–	ح١، ص١٥	أحمد بن محمد بن عبد اللطيف الشرجي	٨٩٣	حنفي	وسميت هذا الكتاب المبارك بالتجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح. والمسؤول من الله تعالى أن ينفع بذلك ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يصلح المقاصد والأعمال بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. وهذا حين الشروع إن شاء الله تعالى.	جاء في فهرس الفهارس في شأن العلامة و حافظ حديث رسول–صلى الله عليه وسلم– عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، ج٢/ص١٠٦٦، لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ)، محقق الكتاب:إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي–بيروت ص.ب.:١١٣/٥٧٨٧ : ما نصه: هو الإمام محدث الديار اليمنية ومسندها أبو العباس أحمد بن أحمد بن زين الدين عبد اللطيف الشرجي الزبيدي الحنفي المتوفى بزبيد سنة ٨٩٣، كان مدرساً بمدينة تعز كأبيه وجده، وألف: "طبقات الخواص"؛ و"التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح"، جرد فيه أحاديث الصحيح من غير تكرار وجعلها محذوفة الأسانيد ولم يذكر من الأحاديث إلا ما كان مسندا متصلا وتحافظ على الألفاظ النبوية ما أمكنه..... وكان الشرجي يروي الصحيح وغيره عن نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي وأبي الفتح المراغي والحافظ ابن الجزري الدمشقي–إنتهى بتصرف.

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢٦	التاسع	فتح الباري شرح صحيح البخاري– بطاقة لكتاب: الملحق، ص٢٨٢، مسلسل ٢٦	ج١١، ص ٤٤١	ابن حَجَر العَسْقلاني	٨٥٢	شافعي	جاء في شرحه للحديث السابع عشر لحديث أنس الطويل في الشفاعة ما نصه: "وفيه أن الناس يوم القيامة يستصحبون **حالهم في الدنيا من التوسل إلى الله تعالى في حوائجهم بأنبيائهم** والباعث على ذلك الإلهام كما تقدم في صدر الحديث . وفيه أنهم يستشير بعضهم بعضا ويجمعون على الشيء المطلوب وأنهم يغطى عنهم بعض ما علموه في الدنيا لأن في السائلين من سمع هذا الحديث ومع ذلك فلا يستحضر أحد منهم أن ذلك المقام يختص به نبينا–صلى الله عليه وسلم–إذ لو استحضروا ذلك لسألوه من أول وهلة ولما احتاجوا إلى التردد من نبي إلى نبي ولعل الله تعالى أنساهم ذلك للحكمة التي تترتب عليه من إظهار فضل نبينا –صلى الله عليه وسلم– كما تقدم تقريره".	شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي. صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. عالم محدِّث فقيه أديب ولع بالأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم أقبل على الحديث فسمع الكثير، ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي. رحل إلى اليمن، والحجاز، وغيرهما لسماع الشيوخ، وصارت له شهرة كبيرة. قصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره. ولما حضرت العراقي الوفاة قيل له من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابني أبا زرعة، ثم الهيثمي. كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جداً منها:.... **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن المؤلف"–الإمام ابن حجر العسقلاني –رحمه الله: "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"؛ "الإصابة في تمييز أسماء الصحابة"؛ "تهذيب التهذيب"؛ "تقريب التهذيب في أسماء رجال الحديث"؛ "لسان الميزان"؛ "أسباب النزول"؛ "تعجيل المنفعة برجال الأئمة الأربعة"؛ "بلوغ المرام من أدلة الأحكام"؛ "تبصير المنتبه في تحرير المشتبه"؛ "إتحاف المهرة بأطراف العشرة"؛ وغيرها كثير. نقلا عن "المكتبة الشاملة".								

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢٧	العاشر	القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع–بطاقة الكتاب ، الملحق، ص ٢٨٣–مسلسل ٢٧	ج١، ص١٩٣	شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي	٩٠٢	شافعي	الصلاة عليه بعد الأذان–فائدة تحقيق الوسيلة و المقام المحمود، ج ١، ص ١٩٣، في معنى الوسيلة ما نصله: وقال قتادة تقربوا إليه بما يرضيه وقال أبو عبيده توسلت إليه تقربت واختاره الواحدي والبغوي والزمخشري فقال الوسيلة كما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة ومن هذا القول التوسل إلى الله تعالى بنبيه–صلى الله عليه وسلم.	محمد بن عبد الرحمن السخاوي. محدِّث ومؤرخ. أصله من سخا، قرية بمصر. برع في علوم كثيرة، مثل الفقه، والنحو، والحديث، والتاريخ. وُلد بالقاهرة ونشأ بها وتوفي بالمدينة المنورة. رحل كثيرا في طلب العلم، وأخذ عن كثير من الشيوخ، ومن أبرزهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني، الذي لازمه أشد الملازمة. ألف كتبا كثيرة. وقد سمى صاحب "هدية العارفين" نحوًا من ١٣٠ كتابًا من مؤلفاته. وذكر الزركلي أن مؤلفاته تبلغ نحوًا من ٢٠٠ كتاب. ولعل من أهمها: "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع"؛ "فتح المغيث"؛ شرح فيه ألفية العراقي في علوم الحديث؛ "المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة"؛ "تلخيص تاريخ اليمن"؛ "طبقات المالكية"؛ "تاريخ المدينتين"؛ "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ". نقلا عن الموسوعة العربية العالمية:– http://www.mawsoah.net

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢٨	العاشر	خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى- بطاقة الكتاب : الملحق ص ٢٨٣، مسلسل- ٢٨	،أ) ج١ ص٤٠٧ ،ب)ح١ ص٤١٧	علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي	٩١١	شافعي	أ) ج١، ص ،-٤٠٧ في باب توسل الزائر به–صلى الله عليه وسلم: التوسل والتشفع به –صلى الله عليه وسلم–وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسير السلف الصالحين؛ ب) ج ١، ص ٤١٧: وإذا جاز التوسل بالأعمال كما صح في حديث الغار وهي مخلوقة فالسؤال به–صلى الله عليه وسلم–أولى ولا فرق في ذلك بين التعبير بالتوسل أو الاستعانة أو التشفع..... **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "ما ذكره في إثبات التوسل".**	علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعيّ، نور الدين أبو الحسن: مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. ولد في سمهود "بصعيد مصر" ونشأ في القاهرة. واستوطن المدينة سنة ٨٧٣ هـ و توفي بها. من كتبه "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى" في مجلدين؛ و " خلاصة الوفا" اختصر به الأول؛ و " جواهر العقدين" في فضل العلم والنسب؛ و " الفتاوى" مجموع فتاواه؛ و " الغماز على اللماز" رسالة في الحديث؛ و " در السموط " رسالة في شروط الوضوء؛ و "الأنوار السنية في أجوبة الأسئلة اليمنية". نقلا، بتصرف، عن؛"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه –"ما ذكره في إثبات التوسل":– أو التوجه أي التوجه به–صلى الله عليه وسلم–في الحاجة ..... حال الحياة إذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من يسأله. ومنه ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر–رضي الله عنه قال أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب–فجاء رجل. إلى قبر النبي–صلى الله عليه وسلم–فقال يا رسول الله أستسق لأمتك فإنه قد هلكوا فأتاه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في المنام فقال: ائتي عمر فاقرأه السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس؛ فأتى الرجل عمر –رضي الله عنه– فأخبره فبكى عمر ثم قال يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه وبيَّن سيف في "الفتوح" أن الذي رأى هذا المنام هلال بن الحرث أحد الصحابة–رضي الله عنه.								

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (ه)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٢٩	العاشر	معترك الأقران بطاقة الكتاب، الملحق، ص ٢٨٣، مسلسل ٢٩	أ) ج١ ص: ٦١، ٣٨٧، ٣٩٠ ب) ج٢ ص: ١٥٦، ٣٩٥، ٤٢٩، ٤٨٥، ٤٩٦، ٥٧٠، ٦٣١،	عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي	٩١١	شافعي	إقتباس من ج١، ص٣٩٠: اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مَنْ ينقذني مِن والد علم ولا وَلَدِ علم في ذلك الموقف العظيم غير الاشتغال بخدمة كتابك، واستخراج زُبَده ودُرَره، واقتطاف ثمره وأزهاره. فاجعله لنا شافعا مشفّعاً، وخصوصاً هذا الكتاب،............ فلا تُزغْ قلوبنا بعد إذْ هَدَيْتَنَا على صراطك القويم، بجاه سيدنا ومولانا الفاتح الخاتم منقذنا من العذاب الأليم..."	.عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين و السيوطي نسبة إلى أسيوط مدينة في صعيد مصر. عالم موسوعي في الحديث، و التفسير، و اللغة، و التاريخ، و الأدب، و الفقه، و غيرها من العلوم. وُلد في القاهرة ونشأ فيها. رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر فاستقر بها. تولى مناصب عدة. ولما بلغ الأربعين، اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف. ذُكر له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف. منها المجلدات الكبيرة ومنها الرسالة القصيرة ذات الورقة أو الوريقات. وذكر الأستاذ أحمد الشرقاوي في كتابه مكتبة الجلال السيوطي أن عدد مؤلفاته بلغ ٧٢٥ مصنفا. من أشهر كتبه: "الجامع الكبير"؛ "الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير"؛ "الإتقان في علوم القرآن"؛ "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"؛ **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف" .**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن المؤلف"– عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي–رحمه الله: "تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك"؛ "الخصائص والمعجزات النبوية"؛ "طبقات الحفاظ"؛ "طبقات المفسرين"؛ "الأشباه والنظائر"، وهما كتابان باسم واحد أحدهما في اللغة، والثاني في فروع الشافعية؛ "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"؛ "الفريدة"، وهي ألفية في النحو، وله ألفية أخرى في مصطلح الحديث؛ "اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة"؛ "همع الهوامع". وله مشاركات أدبية: شعر ومقامات. توفي بالقاهرة. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية: http://www.mawsoah.net								

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣٠	العاشر	فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب– بطاقة الكتاب: الملحق، ص ٢٨٤، مسلسل ٣٠	ج١، ص – ٣٥٠	محمد بن قاسم بن محمد بن محمد، أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي	٩١٨	شافعي	ونسأل الله الكريم المنان الموتَ على الإسلام والإيمان بجاه سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وحبيب رب العالمين محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم السيد الكامل.	أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي: فقيه شافعي ولد ونشأ بغزة، وتعلم بها وبالقاهرة وأقام بهذه وتولى أعمالا في الأزهر وغيره. من كتبه "فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب" يعرف بـ"شرح ابن قاسم على متن أبي شجاع"؛ و "حاشية على شرح التصريف" في الأزهرية، علق بها على شرح السعد التفتازاني للتصريف العربي؛ و "حواش على حاشية الخيالي " في شرح العقائد النسفي. نقلا عن"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣١	العاشر	المواهب اللدنية بالمنح المحمدية–بطاقة الكتاب:– الملحق، ص ٢٨٤،مسلسل ٣١	ج٣، ص٦٠٤، ص٦٠٥	أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين	٩٢٣	شافعي	وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به–صلى الله عليه وسلم– ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه. واعلم أن الاستغاثة هى طلب الغوث، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ: الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التجوّه أو التوجه، لأنهما من الجاه والوجاهة ومعناه: علو القدر والمنزلة.	أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. له "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"–عشرة أجزاء. و "المواهب اللدنية في المنح المحمدية"، في السيرة النبوية، و "لطائف الإشارات في علم القراآت" و "الكنز" في التجويد؛ و "الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر" و "شرح البردة"، سماه "مشارق الأنوار المضية"، منه نسخة في دمشق، كما في تعليقات عبيد، وأخرى في خزانة الرباط (٢٠٨٣ كتاني). نقلا عن"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣٢	العاشر	مواهب الجليل في شرح مختصر خليل–بطاقة الكتاب: الملحق، ص ٢٨٤،مسلسل ٣٢	ج٢، ص٥٤٥	شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي	٩٥٤	مالكي	مسألة إهداء القُرب للنبي–صلى الله عليه وسلم: وسئل الشيخ عماد الدين بن العطار تلميذ النووي–رحمهما الله هل تجوز قراءة القرآن وإهداء الثواب إليه–صلى الله عليه وسلم–وهل فيه أثر؟ فأجاب بما هذا لفظه: أما قراءة القرآن العزيز فمن أفضل القربات وأما إهداؤه للنبي–صلى الله عليه وسلم–فلم ينقل فيه أثر ممن يعتد به بل ينبغي أن يمنع منه.... وقد أمرنا الله بالصلاة عليه وحث –صلى الله عليه وسلم–على ذلك وأمرنا <u>بسؤال الوسيلة والسؤال بجاهه</u>.	فقيه مالكي، من علماء المتصوفين. أصله من المغرب، ولد و اشتهر بمكة، ومات في طرابلس الغرب. من كتبه: "قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين"–في الأصول؛ و "تحرير الكلام في مسائل الالتزام"؛ و "هداية السالك المحتاج"–في مناسك الحج؛ و "تفريح القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب"؛ و "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"– ست مجلدات، في فقه المالكية؛ و "شرح نظم نظائر رسالة القيرواني لابن غازى"؛ و رسالة في "استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة" ؛ و"تحرير الكلام "–فقه. <u>نقلا عن "الأعلام للزركلي"</u>.

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣٣	العاشر	مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج– بطاقة الكتاب: الملحق، ص ٢٨٤،مسلسل ٣٣	ج١، ص٨٦	شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي	٩٧٧	شافعي	وقد تلقيت الكتاب المذكور رواية ودراية عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم، واشتهرت وانتشرت مآثرهم، جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد وآله وصحابته.	محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة. له تصانيف؛ منها؛ "السراج المنير"–أربعة مجلدات في تفسير القرآن"؛ و "الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع"–مجلدان؛ و "شرح شواهد القطر"؛ و "مغني المحتاج"–أربعة أجزاء في شرح منهاج الطالبين للنووي–فقه؛ و "تقريرات على المطول " في البلاغة؛ و "مناسك الحج ". نقلا عن"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣٤	الحادي عشر	غاية البيان شرح زبد ابن رسلان–بطاقة الكتاب، ص ٢٨٤، مسلسل ٣٤	ج١، ص٢	شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي	١٠٠٤	شافعي	..وَاللهِ أسأل وبنبيه أتوسل أَن يَجعله خَالِصا لوجهه الْكَرِيم مُوجبا للفوز بجنات النَّعيم.	محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي:– فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى. يقال له: الشافعي الصغير. نسبته إلى الرملة من قرى المنوفية بمصر ومولده و وفاته بالقاهرة. ولي إفتاء الشافعية. وجمع فتاوى أبيه. وصنف شروحا وحواشي كثيرة؛ منها "عمدة الرابح"–شرح على هدية الناصح في فقه الشافعية؛ و"غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان"؛ و "غاية المرام" في شرح شروط الامامة لوالده؛ و "نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج"–فقه؛ وله "فتاوى شمس الدين الرملي". نقلا عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣٥	الحادي عشر	متن ابن عاشر–بطاقة الكتاب:ص ٢٨٤–مسلسل ٣٥	ج١، ص ٢٧	أبو محمد عبد الواحد ابن عاشر	١٠٤٠	مالكي	جاء في أخر منظومته المشهورة ما نصه: –فأسأل النفع به على الدوام من ربنا بجاه سيد الأنام قد انتهى والحمد لله العظيم– صلى وسلم على الهادي الكريم.	ولد عبد الواحد بن عاشر بمدينة فاس سنة ٩٩٠هـ الموافق لسنة ١٥٨١م في أسرة علمية، وذات فضل وعلم و وقار و ورع؛ فنشأ على حب العلم، ومكارم الأخلاق، فتربى تربية دينية ملتزمةفي فقه وعلم وأدب. فتدرج الطفل على عادة الصبيان يتردد على الكتاب لحفظ القرآن الكريم حتى أظهره، وأتقنه رسما وضبطا، وجوده ببعض الروايات على زمرة من شيوخ هذا الفن، ثم انتقل إلى حفظ المتون وفنون القراءات. رحل الفقيه عبد الواحد بن عاشر إلى الحجاز، قصد أداء فريضة الحج، وفي هذا البلد الأمين نظم أرجوزة في الفقه والعقائد، والتصوف "المرشد المعين"– وانتشرت هذه المنظومة في الشرق العربي، والغرب الإسلامي، وأقبل عليها الناس حفظا وشرحا ودراسة. **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف"** .

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه – "نبذة عن حياة المؤلف"–الإمام، أبو محمد عبد الواحد إبن عاشر–رحمه الله: فقد كان الفقيه عبد الواحد بن عاشر مثال العالم، والقدوة، والعامل لإحياء السنة، ومحاربة البدعة اختصر في منظومته: العقائد الأشعرية، والعبادات الفقهية على مذهب مالك، وختمها بالتصوف الجنيدي، فكانت سهلة المنال سهلة الاستيعاب، وانتشرت في الغرب الإسلامي انتشارا واسعا. آثاره: "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"؛ و"شرح مختصر خليل"؛ و "الإعلان بتكميل مورد الظمآن".إنتهى بتصرف. نقلا عن "الأعلام للزركلي".								
٣٦	الحادي عشر	كشاف القناع عن متن الإقناع، بطاقة الكتاب:ص ٢٨٤،مسلسل ٣٦	ج٢، ص٦٨	منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى	١٠٥١	حنبلي	وقال السامري، وصاحب التلخيص: لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين وقال في المذهب يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح وقيل: يستحب قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروذي أنه يتوسل بالنبي في دعائه وجزم به في المستوعب وغيره.	منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى: شيخ الحنابلة بمصر في عصره. نسبته إلى "بهوت" في غربية مصر. له كتب، منها: "الروض المربع–شرح زاد المستقنع المختصر من المقنع"– فقه؛ و " كشاف القناع عن متن الإقناع للحجاوى"–أربعة أجزاء، فقه؛ و "دقائق أولي النهى لشرح المنتهى"؛ و "إرشاد أولي النهى لدقائق المنتهى"؛ و "المنح الشافية" في شرح "نظم المفردات" للمقدسي؛ و "عمدة الطالب"–فقه. نقلا، بتصرف، عن: "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣٧	الحادي عشر	مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح– بطاقة الكتاب– ص ٢٨٤ مسلسل ٣٧	ج١، ص٢٨٢	حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي	١٠٦٩	حنفي	ونحو ذلك من الأفزاع والأهوال لأنها آيات مخوفة للعباد ليتركوا المعاصي ويرجعوا إلى طاعة الله تعالى التي بها فوزهم وصلاحهم وأقرب أحوال العبد في الرجوع إلى ربه الصلاة. نسأل الله من فضله العفو والعافية بجاه سيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم.	حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري: فقيه حنفي، مكثر من التصنيف. نسبته إلى شبرى بلولة "بالمنوفية" جاء به والده منها إلى القاهرة، وعمره ست سنوات؛ فنشأ بها ودرس في الأزهر، وأصبح المعول عليه في الفتوى. من كتبه "نور الإيضاح" في الفقه، و "مراقي الفلاح"؛ و "شرح منظومة ابن وهبان" و "تحفة الأكمل"؛ و "التحقيقات القدسية". و تعرف برسائل الشرنبلالي، وعدتها ٤٨ رسالة؛ و "العقد الفريد" في التقليد؛ و "مراقي السعادات"؛ و "غنية ذوي الإحكام"– حاشية على "درر الحكام". توفي في القاهرة. نقلا عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣٨	الحادي عشر	الدر الثمين والمورد المعين –شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين– بطاقة الكتاب، ص ٢٨٤، مسلسل٣٨	ج١، ص٥٣٨	محمد بن أحمد ميارة المالكي	١٠٧٢	مالكي	ذكر–رحمه الله–في كتاب الحج ما نصه:– و ليس ثم من يقصد مثله–صلى الله عليه وسلم– وشرف وكرم ومجد وعظم. اللهم إنا نتوسل اليك بقدره عندك وجاهه لديك أن تغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا. إنتهى بتصرف.	محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله، ميارة:– فقيه مالكي، من أهل فاس. من كتبه: "الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام"– جزأن؛ و "الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين "–فقه، ويعرف بميارة الكبير، تمييزا عن مختصر له يسمى "ميارة الصغي"؛ و "تنبيه المغترين على حرمة التفرقة بين المسلمين"؛ و "تكميل المنهج للزقاق"–أرجوزة في خزانة الرباط. نقلا عن"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٣٩	الثاني عشر	شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، بطاقة الكتاب: الملحق، ص٢٨٥، مسلسل ٣٩	ج١٢، ص٢٢٢	أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي	١١٢٢	مالكي	ذكره رحمه الله في باب زيارة قبره الشريف و مسجده المنيف ما نصه: وأمّا التوسل به –صلى الله عليه وسلم– بعد موته في البرزخ، فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء، وفي كتاب "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام" للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك: ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء، وأقمت به سنين، فاستغثت به –صلى الله عليه وسلم– ليلة الثامن والعشرين من جمادي الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زداها الله شرفًا، ومنَّ عليَّ بالعود في عافية بلا محنة، فبينا أنا نائم إذا جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة، بعد الإذن الشريف النبوي، ثم استيقظت فلم أجد بي–و الله شيئًا مما كنت أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي–صلى الله عليه وسلم".	أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني، الفقيه المالكي الأصولي. ولد بالقاهرة. نسبته إلى زرقان وهي قرية من قرى منوف بمحافظة المنوفية بمصر. له عدة مصنفات؛ منها: "شرح المواهب اللدنية للقسطلاني"، وهو مطبوع؛ و "مختصر المقاصد الحسنة للسَّخاوي"؛ و"شرح موطأ الإمام مالك"، و غيرها. توفي بالقاهرة. نقلا عن "المكتبة الشاملة".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤٠	الثاني عشر	كشف الخفاء ومزيل الإلباس، بطاقة الكتاب، الملحق، ص ٢٨٥، مسلسل ٤٠	ج٢، ص٥١٥	إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء	١١٦٢	شافعي	وضع الله عنا سيئات أعمالنا بأفضاله الجاري، وختمها بالصالحات، بجاه محمد –صلى الله عليه وسلم–سيد السادات.	إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء ، محدث الشام في أيامه. مولده بعجلون ومنشأه ووفاته بدمشق. له كتب منها: "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس"–مجلدان؛ و "الفيض الجاري في شرح صحيح البخاري"–ثمانية مجلدات؛ و"شرح الحديث المسلسل بالدمشقيين"؛ و "عقد الجوهر الثمين"–أربعون حديثا؛ و "حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال" في تراجم مشايخه و هو ثبته في مكتبة الجامعة بالرياض، و في البصرة. نقلا ،بتصرف بسيط، عن"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤١	الثاني عشر	حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني– بطاقة الكتاب: الملحق، ص ٢٨٥، مسلسل ٤١	ج١، ص٥	أبو الحسن, علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (نسبة إلى بني عدي، بالقرب من منفلوط)	١١٨٩	مالكي مجتهد	وأعاد علينا وعلى أحبابنا من بركاته ونفعنا بعلومه وجعلنا من المتبعين له في أقواله وأفعاله بمحمد وآله وصحبه وعترته.آمين.	١- الاسم: العدوي ، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي، كنيته: أبو الحسن، ويلقب بالعدوي نسبة إلى بني عدي (بالقرب من منفلوط)؛ حيث ولد. ٢-مذهبه:مالكي. ٣-مولده: ١١١٢هـ. ٤- وفاته: ١١٨٩هـ في القاهرة. ٥-مكانته العلمية: فقيه محقق مجتهد، اشتغل بالحديث وعلومه. ٦- أبرز شيوخه: عبد الوهاب الملوي، سالم النفراوي، إبراهيم الفيومي، محمد الحفناوي، ومحمد ابن زكريا، وغيرهم. ٧- أبرز تلاميذه: الدردير، البناني، الدسوقي، ويوسف بن سعد الصفتي، وغيرهم. ٨- أهم مصنفاته: أغلب مصنفاته حواش على متون مثل: "حاشية على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني"–حاشية على شرح العزية للزرقاني؛ و "حاشية على شرح شيخ الإسلام على ألفية المصطلح للعراقي". نقلا عن"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤٢	الثالث عشر	تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب– بطاقة الكتاب:– الملحق، ص ٢٨٥، مسلسل ٤٢	ج٢، ص٢٤٣	سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري	١٢٢١	شافعي	و روى الطبراني وابن سعد أن عبد المطلب استسقى بالنبي– صلى الله عليه وسلم–حين تتابعت عليهم سُنُونَ أهلكتهم، فسمعوا قائلا يقول: يا معشر قريش إن فيكم نبيا آن أوآن خروجه به يأتيكم الحيا والخصب، فاخرجوا إلى جبل أبي قيس، فتقدم عبد المطلب ومعه النبي–صلى الله عليه وسلم– فرفع يديه يدعو ويطلب الغوث أي الإجابة بوجه النبي–صلى الله عليه وسلم–أي متوسلا به فسقوا. و لذلك يقول فيه عبد المطلب. وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل...	سليمان بن محمد بن عمر البُجيرمي–فقيه مصري. ولد في بجيرم من قرى الغربية بمصر وقدم القاهرة صغيرا، فتعلم في الأزهر، ودرس، وكف بصره. له "التجريد"–أربعة أجزاء، وهو ،حاشية على شرح المنهج في فقه الشافعية؛ و "تحفة الحبيب"–حاشية على شرح الخطيب، المسمى بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع––فقه، أربعة أجزاء، أيضا. وتوفي في قرية مصطية، بالقرب من بجيرم. نقلا عن؛"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤٣	الثالث عشر	حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح–بطاقة الكتاب:– ص ٢٨٥، مسلسل ٤٣	ج١، ص٥٥١	أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي	١٢٣١	حنفي	و ينبغي ذلك، أي الاجتماع للاستسقاء بالمسجد النبوي أيضا لأهل مدينة النبي–صلى الله عليه وسلم–وهذا أمر جلي إذ لا يستغاث وتستنزل الرحمة في مدينته بغير حضرته ومشاهدته في حادثة للمسلمين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وهو المشفع في المذنبين فيتوسل إليه بصاحبيه ويتوسل بالجميع إلى الله تعالى فلا مانع من الاجتماع عند حضرته وإيقاف الدواب بباب المسجد لشفاعته.	أحمد بن محمد بن إسماعيل الطهطاوي: فقيه حنفي. اشتهر بكتابه "حاشية الدر المختار"– أربع مجلدات في فقه الحنفية.ولد بطهطا بالقرب من أسيوط بمصر، وتعلم بالأزهر، ثم تقلد مشيخة الحنفية، وخلعه بعض المشايخ، وأعيد إليها، فاستمر إلى أن توفي بالقاهرة. ومن كتبه أيضا؛ "حاشية على شرح مراقي الفلاح"– فقه،؛ و "كشف الرين عن بيان المسح على الجوربين"–رسالة. نقلا بتصرف عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤٤	الثالث عشر	الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني–بطاقة الكتاب:– الملحق، ص٢٨٥، مسلسل ٤٤	ج١، ص٣١٦	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني	١٢٥٠	مجتهد	والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله–جل جلاله– في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد سواء كان نبيا أو غير نبي فهو في ضلال مبين.	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن وصاحب كتاب "نيل الأوطار"، ولد ببلدة شوكان باليمن ونشأ في صنعاء، وتلقى العلم على شيوخها، وجد في طلبه فأكثر من المطالعة والحفظ والسماع، حتى صار عالما كبيرًا يشار إليه بالبنان، توافد عليه الطلاب من كل مكان. اشتغل بالقضاء والإفتاء وكان داعية إلى الإصلاح والتجديد، ترك التقليد وسلك طريق الاجتهاد بعد أن اجتمعت فيه شرائطه كاملة. ترك مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه وسلامة منهجه. كثر خصومه كما كثر المعجبون به بسبب دعوته إلى الاجتهاد والتجديد. توفي بصنعاء بعد عمر زاخر بالعطاء. من مصنفاته: "نيل الأوطار" في الحديث؛ "فتح القدير" في التفسير، وهو متوسط الحجم محرر العبارة. نقلا عن "الموسوعة العربية العالمية":– http://www.mawsoah.net

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤٥	الثالث عشر	رد المحتار على الدر المختار – بطاقة الكتاب:– الملحق،ص ٢٨٥، مسلسل ٤٥	ج١، ص٧٨ و كذلك ،ج٤، ص ١١٩	ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي	١٢٥٢	حنفي	مقدمة، ج١، ص٧٨: وكذا يقول أسير الذنوب جامع هذه الأوراق راجيا من مولاه الكريم، متوسلا بنبيه العظيم وبكل ذي جاه عنده تعالى أن يمن عليه كرما وفضلا بقبول هذا السعي والنفع به للعباد، في عامة البلاد، وبلوغ المرام بحسن الختام، والاختتام، آمين. كتاب الجهاد، ج٤، ص١١٩: ...ذي الخيرات الحميدة، والمآثر الفريدة التي لا ترام، مولانا عبد الحميد أفندي كجه جي زاده القاضي سابقا بدمشق الشام، دام في عز وإنعام، ومجد واحترام، بجاه من هو للأنبياء ختام، وآله وصحبه السادة الكرام، عليه وعليهم الصلاة والسلام، في البدء والختام. ولكل المسلمين. آمين، آمين، آمين.	محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي:– فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره. مولده ووفاته في دمشق. له"رد المحتار على الدر المختار"، خمس مجلدات–فقه، يعرف بحاشية ابن عابدين؛ و "رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار"؛ و "العقود الدرية في تنقيح الفتاوي الحامدية"، جزآن؛ و "نسمات الأسحار على شرح المنار"، أصول؛ و "حاشية على المطول" في البلاغة؛ و "الرحيق المختوم " في الفرائض؛ و "حواش على تفسير البيضاوي"؛ التزم فيها أن لا يذكر شيئا ذكره المفسرون، و "مجموعة رسائل" مجلدان، وهي ٣٢ رسالة؛ و "عقود اللآلي في الأسانيد العوالي"–وهو ثبته. نقلا عن"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤٦	الثالث عشر	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – بطاقة الكتاب: الملحق، ص ٢٨٥، مسلسل ٤٦	ج١، ص ٨٥	شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي	١٢٧٠	شافعي	اللهم اجعلنا سعداء الدارين بحرمة سيد الثقلين–صلى الله تعالى عليه وسلم.	شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني فقيه ومفسر ومحدث. ولد في بغداد، وتلقى العلوم على شيوخ عصره، وكان شديد الحرص على التعلم ذكيا فطنا، لا يكاد ينسى شيئا سمعه، حتى صار إمام عصره بلا منازع. اشتغل بالتأليف والتدريس في سن مبكرة، فذاع صيته وكثر تلاميذه، تولى منصب الإفتاء وبقي فيه حتى سنة ١٢٦٣هـ . قام بعدة زيارات علمية إلى الآستانة وغيرها. له عدة كتب قيِّمة؛ أبرزها تفسيره الكبير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" الذي استغرق تأليفه خمس عشرة سنة، ويُعدُّ هذا التفسير موسوعة كبيرة جمع فيه الألوسي خلاصة علم المتقدمين في التفسير، وقد ذكر فيه بعض إشارات الصوفية في التفسير. توفي الألوسي في ذي القعدة في بغداد ودُفن فيها. نقلا عن "الموسوعة العربية العالمية" :– http://www.mawsoah.net

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤٧	الثالث عشر	منح الجليل شرح مختصر خليل–بطاقة الكتاب: ص ٢٨٥، مسلسل ٤٧	ج٧، ص٤١٦	محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي	١٢٩٩	مالكي	ونسأل الله تعالى التوفيق للصواب، وأن يسلك بنا الزلفى وحسن مآب، بجاه سيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم – وعلى آله والأصحاب.	مغربي الأصل، من أهل طرابلس الغرب. ولد بالقاهرة وتعلم في الأزهر، وولي مشيخة المالكية فيه. من تصانيفه؛ "فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك" جزآن، وهو مجموع فتاويه؛ و "منح الجليل على مختصر خليل"، أربعة أجزاء، في فقه المالكية؛ و "هداية السالك" حاشية على الشرح الصغير للدردير، جزآن، فقه؛ و "حاشية على رسالة الصبان" في البلاغة؛ و "تدريب المبتدي وتذكرة المنتهي" في الفرائض؛ و "حل المعقود من نظم المقصود" في الصرف؛ و "موصل الطلاب لمنح الوهاب"–نحو؛ و "القول المنجي"، حاشية على مولد البرزنجي؛ و "شرح العقائد الكبرى للسنوسي"؛ و "مواهب التقدير في شرح مجموع الأمير". نقلا عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤٨	الرابع عشر	الفتاوى الهندية–بطاقة الكتاب:– الملحق، ص ٢٨٥، مسلسل ٤٨	ج١، ص٢٦٦	نخبة من علماء الهند برئاسة الشيخ نظام الدين البلخي	كتاب إشترك فيه عدّة مؤلفين	حنفي	باب–خاتمة في زيارة قبر النبي–صلى الله عليه وسلم،: ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمن أوصاه بالدعاء ولجميع المسلمين ثم يقف عند رأسه –صلى الله عليه وسلم– كالأول ويقول: اللهم إنك قلت وقولك الحق؛ ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك**﴾–النساء: الآية ٦٤ . وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك مستشفعين بنبيك إليك ﴿**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾ –الحشر: من الآية ١٠.	١– اسم الكتاب: الفتاوى الهندية. ٢– اسم المؤلف: جماعة من علماء الهند. ٣– تصنيف الكتاب: الفتاوى. ٤– مذهبه: حنفي. ٥– التعريف بالكتاب: هي مجموعة من الأحكام الفقهية المأخوذة من مذهب الحنفية قام بتأليفها جماعة من علماء الهند برئاسة الشيخ نظام الدين البلخي بأمر من سلطان الهند أبي المظفر محيي الدين محمد أورنك زيب. والهدف من تأليفها أن يسهّلوا على الناس الوقوف على الروايات الصحيحة في المذهب الحنفي والأقوال المعتمدة والراجحة فيه. وما تجري عليه الفتوى من أحكام المذهب. **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه–"نبذة عن حياة المؤلف"–علماء الهند برئاسة الشيخ نظام الدين البلخي–جزاهم الله خيراً: والتزم المؤلفون أن يحافظوا على عبارات الكتب التي نقلوها عنها وأسندوا كل حكم نقلوه إلى الكتاب الذي أخذ عنه وأغلب الأحكام مجردة عن الأدلة وختموا هذه المجموعة بكتاب المحاضر والسجلات وكتاب الشروط وهذه الفتاوى من أشهر الكتب المطولة في الفقه الحنفي واحتوت على الأحكام التي لا توجد في كتاب سواها وشارك في إنجازها (٢٣) فقيها من كبار علماء الهند.								

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٤٩	الرابع عشر	إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين "هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين– بطاقة الكتاب: الملحق، ص ٢٨٥، مسلسل ٤٩	ج١، ص٢٠٠	أبو بكر –المشهور بالبكري– عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي	١٣١٠	شافعي	وأنه يتوسل به إلى ربه في نيل مطلوبه، لأنه الواسطة العظمى في إيصال النعم إلينا. وقد تقدم في أول الكتاب نحوه.	السيد البكري بن العارف بالله السيد محمد زين العابدين شطا الدمياطي الشافعي، ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٢٦هـ، وتوفي بها سنة ١٣١٠هـ. حفظ القرآن وهو صغير، ثم أخذ عن علماء عصره؛ منهم الشيخ أحمد دحلان، فقد لازمه وأخذ عنه شروح ما حفظه من المتون، وقد تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، فعقد حلقة درسه، وأقبل عليه طلاب العلم وتخرج على يديه جمع غفير من العلماء، واشتهر بتدريسه للفقه الشافعي والتفسير والحديث والسيرة. **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة من حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
تابع لما أعلاه – "نبذة عن المؤلف"–الإمام البكري–رحمه الله: نبغ في حدود سنة ١٣٠٠ هـ – وألف المؤلفات الكثيرة منها: ١ – "إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح الْمعِين"، وهى حَاشِيَة على قرة العين للمليبارى. ٢ – "تحفة الأذكياء شرح قصيدة سلوك طَرِيق الاولياء للمليبارى أيضا". ٣ – "كِفَايَة الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح هِدَايَة الأذكياء". ٤ – "نفحة الرحمن".٥ – "الدرر البهية فيما يلزم المكلف من العلوم الشرعية".٦– "تفسير القرآن العظيم الذي وصل فيه إلى سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.								

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٠	الرابع عشر	نهاية الزين في إرشاد المبتدئين–بطاقة الكتاب:– ص٢٨٦، مسلسل ٥٠	ج١، ص٧٧	محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا	١٣١٦	شافعي	اللهم أجرنا من النار سبع مرات اللهم أجرنا و أجر والدينا من النار بجاه النبي المختار وأدخلنا الجنة مع الأبرار بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار.	من فقهاء الشافعية، هاجر إلى مكة، وتوفي بها. عرفه تيمور بِ "عالم الحجاز". له مصنفات كثيرة، منها: ١–"مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد"، مجلدان، وهو تفسيره. ٢–"مراقي العبودية،شرح لبداية الهداية للغزالي"، فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٩ هـ. ٣–"قامع الطغيان على منظومة شعب الإيمان".٤– "قطر الغيث في شرح مسائل أبي الليث".٥–"عقود اللجين في بيان حقوق الزوجين".٦–"نهاية الزين بشرح قرة العين"، فقه. ٧–"شرح فتح الرحمن"– تجويد.٨– "نور الظلام في شرح قصيدة "عقيدة العوام" لأحمد المرزوقي، و "مرقاة صعود التصديق" – تصوف، في شرح "سلم التوفيق" لابن طاهر، المتوفى سنة ١٢٧٢ و"كاشفة السجا في شرح سفينة النجا"– في أصول الدين والفقه. نقلا بتصرف عن "الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥١	الرابع عشر	جلاء العينين في محاكمة الأحمدين– بطاقة الكتاب: الملحق، ص٢٨٦، مسلسل ٥١	ج١، ص٥٠١	أبو البركات خير الدين، الألوسي	١٣١٨	الله أعلم	وقال النووي وغيره: ثم يرجع الزائر إلى موقفه قبالة وجه رسول الله–صلى الله عليه وسلم –فيتوسل به ويستشفع به إلى ربه. ومن احسن ما يقول ما حكاه اصحابنا عن العتبى مستحسن له قال: كنت جالسا عند قبر النبي–صلى الله عليه وسلم–فجاءه أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي. ثم أنشأ يقول: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرمز قال: ثم أنصرف. فحملتنى عيناي، فرأيت النبي– صلى الله عليه وسلم–في النوم، فقال: يا عتبى، الحق الأعرابي فبشره بأن الله قد غفر لـه..... **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "ما ذكره في إثبات التوسل".**	نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي: واعظ فقيه، باحث. ولد ونشأ ببغداد. و ولي القضاء في بلاد متعددة، منها الحلّة، وترك المناصب. و زار مصر في طريقه إلى الحج سنة ١٢٩٥ هـ. وقصد الآستانة سنة ١٣٠٠ هـ فمكث سنتين. وعاد يحمل لقب "رئيس المدرسين" فعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي ببغداد. قال الأثري في وصفه: كان عقله أكبر من علمه، وعلمه أبلغ من إنشائه، وإنشاؤه أمتن من نظمه.وكان جوادا وفيا، زاهدا، حلو المفاكهة، سمح الخلق. من كتبه: "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين–ط"؛ و "الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح–ط"؛ و "غالية المواعظ–ط"؛ و "صادق الفجرين– ط" في علي ومعاوية، **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	ا لمذ هب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥١ تابع							**تابع لما أعلاه – "ما ذكره في إثبات التوسل"–أبو البركات خير الدين، الألوسي–رحمه الله:** وقد روى البخارى عنه–صلى الله عليه وسلم– أنه قال:ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف، لو أقسم على الله تعالى لأبره .قال العلماء: معناه لو حلف على الله ليفعلن كذا لأوقع مطلوبه فيبر بقسمه إكراما له لعظم منزلته عنده، فهذا وعد الله تعالى لعباده الصالحين، فكيف بسيد المرسلين؟ ! و ورد: إذا انفلتت دابة احدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله، و أعينوني ثلاثا . قال النووى: وقد جرب ذلك بعض أهل العلم، ونحن جربناه فصح، انتهى. وروى الطبراني بإسناد صحيح عن عبادة–رضي الله عنه: أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال:الأبدال في أمتي ثلاثون رجلاً، بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون. والأحاديث في مثل ذلك كثيرة، فمن وقف على هذه وامثالنا، تبين له ان الله سبحانه قد جعل من عباده في الأرض غياثا يستغيث الناس بهم، لا مانع من ذلك عقلاً وشرعاً، لأن ذلك كله بإذن الله تعالى، .... فقد ورد في حديث المعراج: أن النبي– صلى الله عليه وسلم– مر على موسى وهو قائم يصلى في قبره، والصلاة تستدعى بدناً حياً، فنبينا–صلى الله عليه وسلم– أولى بهذه الحياة، والاستغاثة به في حياته–صلى الله عليه وسلم– ثابتة بالدعاء، فكذلك بعد انتقاله ورفاقه، والأحاديث الواردة في زيارة قبره–عليه الصلاة والسلام–التى تضمنت الوعد لمن زار قبره الشريف–صلى الله عليه وسلم– بالشفاعة التى تتضمن البشارة بالموت على التوحيد، وذلك يفيد نيل المزيد. فكل ذلك من ثمرات زيارته والتشفيع به، ولم يزل الناس في جميع الأزمان من جميع البلدان مجمعين على زيارة قبره المنيف، رجاء الخير والبركة، والطمع في الشفاعة، ولا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع، والتوجه به – صلى الله عليه وسلم – أو بغيره من الأنبياء، وكذا الأولياء.	**تابع لما أعلاه:** و "شقائق النعمان–خ" في الرد على بعض معاصريه". نقلا بتصرف عن"الأعلام للزركلي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٢	الخامس عشر	تفسير الشعراوي –الخواطر– بطاقة الكتاب:– ص ٢٨٦، مسلسل ٥٢	ج١، ص٣٥٨، و ص٣٥٩	محمد متولي الشعراوي	١٤١٨	حنفي أو شافعي و الله أعلم	وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ استسقى موسى لِقَوْمِهِ﴾؛ تدل على أن هناك مُستسقى بفتح القاف وأن هناك مستسقي بكسر القاف. مستسقي بكسر القاف أي ضارع إلى الله لينزل المطر. أما المستسقى بفتح القاف فهو الله سبحانه وتعالى الذي ينزل المطر. إن هذا الموقف خاص بالله تبارك وتعالى فلا توجد مخازن للمياه وليس هناك ماء في الأرض من أنهار أو آبار أو عيون و لا ملجأ إلا الله. فلابد من التوسل لله تبارك وتعالى..............بعض الناس يقولون هذا دليل على أن الميت لا يستعان به بدليل أن عمر ابن الخطاب– رضي الله عنه–لم يتوسل برسول الله–صلى الله عليه وسلم– بعد موته، وإنما توسل بعم رسول الله. . نقول ومن توسل عمر؟ **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "مما ذكره في إثبات التوسل".**	محمد متولي الشعراوي، العالم الفقيه المفسِّر، من أبرز علماء عصره، وأحد دعائم الفكر الإسلامي الحديث بمصر، وركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين. ولد في مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر. حصل على الشهادة العالمية من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٤١م، وتدرج في سلك التدريس الأزهري بمختلف المعاهد الدينية حتى أعير للمملكة العربية السعودية (١٩٥٠م) مدرسًا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ثم عاد فترة إلى مصر عين فيها وكيلاً لمعهد طنطا الديني ثم انتقل مديرًا للدعوة بوزارة الأوقاف (١٩٦١م) ثم مفتشًا للعلوم بالأزهر (١٩٦٢م) ثم عين بعد ذلك مديرًا لمكتب شيخ الأزهر عام ١٩٦٤م. **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٢ تابع							**تابع لما أعلاه – "ما ذكره في إثبات التوسل"–الإمام محمد متولي الشعراوي–رحمه الله:** أتوسل بالعباس أم بعم–رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ توسل بالرسول، وبذلك أخذنا الحجة أن الوسيلة ليست مقصورة على رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وإنما تتعدى إلى أقاربه. وهنا يأتي سؤال لماذا نقل الأمر من رسول الله–عليه الصلاة والسلام– إلى عم الرسول؟ نقول لأن رسول الله قد انتقل ولا ينتفع الآن بالماء، و لكن عمه العباس هو الحي الذي ينتفع بالماء؛ لذلك كان التوسل بعم رسول الله–صلى الله عليه وسلم–و لم يكن منطقيا أن يتوسلوا برسول الل– عليه الصلاة والسلام– وهو ميت ولا يحتاج إلى الماء. والذين أرادوا أن يأخذوا التوسل بذوي الجاه، نقول لهم أن الحديث ضدكم وليس معكم لأنه أثبت أن التوسل جائز بمن ينتسب إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم . ----------------------------------	**تابع لما أعلاه:** عين وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر (١٩٧٦-١٩٧٨م) في عهد الرئيس أنور السادات. وهو عضو في مجلس الشورى ومجمع اللغة العربية و رابطة العالم الإسلامي والهيئة التأسيسية لها، وكثير من الهيئات والمنظمات والجامعات العربية والإسلامية. للشيخ الشعراوي أسلوب فريد في التفسير يجمع بين أصالة التفاسير القديمة ومعاصرة الواقع العلمي المبتكر، له باع طويل في التوفيق بين الدين والعلم. ربط حقائق الإسلام بأحدث النظريات العلمية المعاصرة، واستطاع أن يؤصل منهجًا قويمًا في هذا الباب تتجلى من خلاله روائع الأحكام القرآنية.. **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

<table>
<tr><th>رقم</th><th>القرن</th><th>عنوان الكتاب</th><th>ج/ص</th><th>المؤلف</th><th>الوفاة (هـ)</th><th>المذهب الفقهي</th><th>ما ذكره في إثبات التوسل</th><th>نبذة عن المؤلف</th></tr>
<tr><td>٥٢ تابع</td><td colspan="8">تابع لما أعلاه–"نبذ عن المؤلف"–الشيخ محمد متولي الشعراوي–رحمه الله:
و تتضح به أوجه الإعجاز كاملة في النص، مما جعل تفسيره للقرآن الكريم مقنعا منطقيا واقعيا طليقا خاطب به العالم و المثقف والأميّ والمتخصص! هذا بالإضافة إلى ما يتمتع به الشيخ الشعراوي من ثقافة شمولية في معظم علوم العصر، و فطنة كبيرة وذكاء متوقد، الأمر الذي جعله متمكنا في عرض النص القرآني على جميع وجوهه مستخلصا أهم ما فيه من كنوز ثمينة وحقائق غنية. ليس للشيخ الشعراوي مؤلفات بعينها، غير أن أصحاب الأقلام و دور النشر الكبرى وهيئات علمية كثيرة أخذت أحاديثه المذاعة تليفزيونيا وإذاعيا، وتسجيلاته المختلفة وطبعتها في صورة مجلدات وكتب كبيرة بموافقته وإذنه، وهي تملأ السوق العربي الإسلامي كله ودور النشر الكبرى بالإضافة إلى مئات المقالات في الصحافة العربية والإسلامية. حصل الشيخ الشعراوي على جوائز عديدة و أوسمة ونياشين دولية، كما حصل على جائزة الدولة التقديرية بمصر عام ١٩٨٨م.

نقلا عن " الموسوعة العربية العالمية ":-http://www.mawsoah.net</td></tr>
</table>

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٣	الخامس عشر	مفاهيم يجب أن تصحح–بطاقة الكتاب–الملحق، ص ٢٨٦–مسلسل ٥٣	ج١، ص٦٠	سليل العلم، الشيخ محمد علوي مالكي	١٤٢٥	مالكي	و محل الخلاف في مسألة التوسل هو التوسل بغير عمل المتوسل،كالتوسل بالذوات و الأشخاص بأن يقول: اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد –صلى الله عليه وسلم–أو أتوسل إليك بأبي بكر الصديق أو بعمر بن الخطاب أو بعثمان أو بعلي–رضي الله عنهم، فهذا الممنوع عند بعضهم.و نحن نرى أن الخلاف شكلي و ليس بجوهري، لأن التوسل بالذات يرجع في الحقيقة إلى توسل الإنسان بعمله و هو المتفق على جوازه، و لو نظر المانع المتعنت في المسألة بعين البصيرة لانجلى له الأمر و انحل الإشكال و زالت الفتنة التي وقع و سأبين أن المتوسل بغيره في الحقيقة متوسل بعمله المنسوب إليه و الذي هو من كسبه. فأقول: إعلم أن من توسل بشخص ما فهو لأنه يحبه إذ يعتقد صلاحه و ولايته و فضله تحسينا للظن به، أو لأنه يعتقد أن هذا بسببها من وقع فحكم على المسلمين بالشرك و الضلال. **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "ما ذكره في إثبات التوسل".**	ولد الشيخ محمد علوي مالكي بمكة المكرمة عام ١٣٦٢هـ ونشأ بها نشأة دينية تكفل له بها والده "الامام السيد علوي مالكي". وقد تعلم المالكي في حلقات العلم بالمسجد الحرام لدى كبار العلماء بالحرمين الشريفين وعلى رأسهم والده، والشيخ حسن محمد المشاط وعليهما تخرج. كما درس في مدرسة الفلاح إحدى أقدم المدارس في مكة المكرمة والمدرسة الصولتية ودرس في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة. وبعدها رحل في طلب العلم الى الهند وباكستان وأخذ هناك عن كبار علماء الحديث. يذكر أن الشيخ تخرج من الأزهر في الدراسة النظامية حيث نال الماجستير والدكتوراه من كلية أصول الدين بالأزهر. **تنبيه: انظر في الصفحة الموالية بقية نص "نبذة عن حياة المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٣ تابع							**تابع لما أعلاه –"ما ذكره في إثبات التوسل"–الإمام سليل العلم، الشيخ محمد علوي مالكي–رحمه الله:** الشخص محب لله سبحانه و تعالى يجاهد في سبيله، أو لأنه يحبه إذ يعتقد صلاحه و ولايته وفضله تحسينا للظن به، أو لأنه يعتقد أن هذا الشخص محب لله سبحانه و تعالى يجاهد في سبيله، أو لأنه يعتقد أن الله يحبه كما قال الله تعالى: ﴿**يحبهم و يحبونه**﴾، أو لإعتقاد هذه الأمور كلها في الشخص المتوسل به. و إذا تدبرت لأمر وجدت أن هذه المحبة و ذلك الإعتقاد من عمل المتوسل لأنه أعتقاده الذي انعقد عليه قلبه فهو منسوب إليه و مسئول عنه و مثاب عليه ......و بهذا ظهر أن الخلاف في الحقيقة شكلي و لا يقتضى هذا التفرق و العداء بالحكم بالكفر على المتوسلين و إخراجهم عن دائرة الإسلام.	**تابع لما أعلاه:** ثم رحل أيضا إلى المغرب فأخذ عن جملة من علمائها، ومن ثم عاد إلى مكة وأخذ الحديث والتفسير والأصول وعلوم اللغة العربية عن كبار علماء المسجد الحرام. عين الشيخ مدرسا بكلية الشريعة بمكة المكرمة وذلك في عام ١٣٩٠هـ الى سنة ١٣٩٩هـ. وقد برز في المسجد الحرام في مقام والده السيد علوي مالكي بعد وفاته في ٢٥ صفر ١٣٩١هـ اذ اجتمع عدد من علماء مكة المكرمة وعلى رأسهم الشيخ حسن المشاط والشيخ محمد نور سيف والشيخ محمد سليم– رحمة الله عليهم–و السيد امين كتبي وغيرهم، فكلفوه بالتدريس في المسجد الحرام في حلقة والده السيد علوي التي استمرت خمسين عاما بلا انقطاع وقد اهتم بالتدريس في الحرم لأبناء المسلمين

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٣ تابع	**تابع لما أعلاه–"نبذة عن حياة المؤلف"–الإمام سليل العلم، الشيخ محمد علوي مالكي–رحمه الله** وكانت له في المسجد في كل ليلة ثلاثاء دروس متتالية ومتتابعة مستمرة بلا انقطاع صيفا وشتاء لا ينقطع عن ذلك إلا لعذر شرعي. وقد كانت دروس الشيخ متنوعة تجمع بين التفسير والحديث، والأصول والسيرة النبوية، و اللغة العربية والعقيدة الإسلامية، و الفقه و الوعظ والإرشاد. ودرس المالكي في هذه الحلقة العلمية جملة كبيرة من الكتب وخصوصا كتب السنة النبوية. ولم يتوقف نشاطه عن التدريس بالمسجد الحرام، بل تعداه إلى الإذاعة اذ كان له فيها محاضرات دينية وأحاديث أسبوعية تذاع عبر البرنامج العام وإذاعة نداء الإسلام. نقلا ،بتصرف بسيط جدا، عن قناة "العربية" على شبكة الإنترنت – بتصرف.الوصلة:– http://www.alarabiya.net/articles/2004/10/30/7553.html							

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٤	الخامس عشر	كتاب: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة–بطاقة الكتاب:–انظر ص ٢٨٦، مسلسل ٥٤	ج١، ص:٢٤٠	محمد سعيد رمضان البوطي	١٤٣٤	شافعي	وليس ثمة فرق بين أن يكون ذلك [أي التوسل] في حياته–صلّى الله عليه وسلم– أو بعد وفاته، فآثار النّبي–صلّى الله عليه وسلم وفضلاته، لا تتصف بالحياة مطلقا، سواء تعلق التّبرك والتّوسل بها في حياته أو بعد وفاته، كما ثبت في صحيح البخاري في باب شيب رسول الله–صلّى الله عليه وسلم. ومع ذلك، فقد ضلّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله–صلّى الله عليه وسلم–وراحوا يستنكرون التّوسل بذاته–صلّى الله عليه وسلم–بعد وفاته، بحجة أن تأثير النّبي–صلّى الله عليه وسلم–قد انقطع بوفاته، فالتّوسل به، إنما هو توسل بشيء لا تأثير له ألبتة! **تنبيه: انظر في الصفحة المواليه بقية نص "ما ذكره في إثبات التوسل".**	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (مواليد عام ١٩٢٩م، مكان الميلاد:جزيرة بوطان–تركيا) وهو عالم متخصص في العلوم الإسلامية ، تأثر بوالده الشيخ ملا رمضان الذي كان بدوره عالم دين، تلقى التعليم الديني والنظامي بمدارس دمشق ثم انتقل إلى مصر للدراسة في الأزهر الشريف وتحصل على شهادة الدكتوراه من كلية الشريعة، له أكثر من أربعين كتابا تتناول مختلف القضايا الإسلامية، ويعتبر أهم من يمثل التوجه المحافظ على مذاهب أهل السنة الأربعة وعقيدة أهل السنة وفق منهج الأشاعرة. يعد البوطي من علماء الدين المتخصصين في العقائد والفلسفات المادية بعد أن قدم رسالته في الدكتوراه في نقد المادية الجدلية، لكنه من الناحية الفقهية يعتبر مدافعا عن الفقه الإسلامي المذهبي و له كتاب في ذلك "اللامذهبية أكبر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية"؛ و آخر بعنوان "السلفية مرحلة زمنية مباركة وليست مذهب إسلامي".

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٤ تابع	**تابع لما أعلاه – "ما ذكره في إثبات التوسل"–الشيخ محمد البوطي–رحمه الله:** وهذه حجة تدل–كما ترى–على جهل عجيب جدا! . هل ثبت لرسول الله–صلّى الله عليه وسلم–تأثير ذاتي في الأشياء في حال حياته، حتى نبحث عن مصير هذا التأثير من بعد وفاته؟! إن أحدا من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أي تأثير ذاتي في الأشياء لغير الواحد الأحد جل جلاله، ومن اعتقد خلاف هذا يكفر بإجماع المسلمين كلهم.							

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٥	الخامس عشر	المتشددون، منهجهم و مناقشة أهم قضاياهم– بطاقة الكتاب:– الملحق، ص ٢٨٦، مسلسل٥٥	ج١، ص: ٧١	شيخ الأزهر الأسبق، علي جمعة محمد عبد الوهاب	ما زال حيًّا يرزق	شافعي	من طامات هذا التيار المتشدد أنه يحرم التوسل بالنبي–صلى الله عليه وسلم–في الدعاء إلى الله و يتهمون من يفعل ذلك بالشرك، على الرغم من أن التوسل بالنبي–صلى الله عليه وسلم– مسألة اتفقت عليها كلمة الفقهاء و مذاهبهم، و قد اتفقت المذاهب الأربعة على جواز التوسل بالنبي–صلى الله عليه وسلم–بل استحباب ذلك، و عدم التفريق بين حياته–صلى الله عليه وسلم–و انتقاله الشريف–صلى الله عليه وسلم. و لم يشذ إلا ابن تيمية حيث فرق بين التوسل بالنبي–صلى الله عليه وسلم–في حياته و بعد انتقاله–صلى الله عليه وسلم– ولا عبرة لشذوذه.	ولد الشيخ علي جمعة في مدينة بني سويف جمهورية مصر العربية في يوم الاثنين ٦ من جمادى الآخرة ١٣٧١هـ الموافق ٣ مارس ١٩٥٢م. تلقى فضيلته الفقه الشافعي بسند متصل إمام الأئمة وناصر السنة محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، وقد تلقى الإمام الشافعي العلم متصلا بالسلسلة الذهبية عن الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) عن نافع (ت ١١٧هـ) ، عن ابن عمر (ت ٧٣هـ) رضي الله عنهما، عن النبي–صلى الله عليه وسلم. **تنبيه: انظر في الصفحة المواليه بقية نص "نبذة عن المؤلف".**

رقم	القرن	عنوان الكتاب	ج/ص	المؤلف	الوفاة (هـ)	المذهب الفقهي	ما ذكره في إثبات التوسل	نبذة عن المؤلف
٥٥ تابع	**تابع لما أعلاه – "نبذة عن المؤلف"–شيخ الأزهر الأسبق، علي جمعة محمد عبد الوهاب–رعاه الله:** كما حصل فضيلته على أعلى الأسانيد في العلوم الشرعية وإجازات من أفاضل العلماء في العلوم الشرعية في الفقه والحديث والأصول وعلوم العربية. من وظائفه:عضو هيئة كبار العلماء ؛ مفتي الديار المصرية منذ عام ٢٠٠٣ م وحتى ٢٠١٣م؛ عضو مجمع البحوث الإسلامية–التابع للأزهر الشريف منذ عام ٢٠٠٤م و حتى الآن؛ أستاذ أصول الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة –جامعة الأزهر؛ عضو مجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر العالم الإسلامي بجدة؛ المشرف العام على جامع الأزهر الشريف منذ عام ١٩٩٩م حتى عام ٢٠١٣م؛ عضو مؤتمر الفقه الإسلامي بالهند؛ عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف منذ عام ١٩٩٥م حتى عام ١٩٩٧م.							

قال رَسُولُ اللهِ -ﷺ- :

﴿إنَّ منَ الشّعرِ حِكمَةً﴾

صحيح البخاري، ج٥، ص٢٢٧٦

ملحق الكتاب- القسم الثاني:
من قصائد الشيخ سيدي أحمد حبيب في إرشاد المريد والمعرفة بالله

سِرُّ الله لَـدَيْـنَـا

سـرُّ الله لـــــديـنَـا[١] لـقد فَـاضَ وانـتَـشَر
كنُـــورِ الشَّمس لَمّا عَــمَّ الـكونَ وظَـهَـرْ
إنَّــهُ مَاءُ الـــحَـيَـاةِ للقُــلوبِ كـالمَـطَـرْ
يَــراهُ فتىً فَـــطَّـــان قَــد صفا لهُ النَّـظَـرْ
أيـا مَــنْ لايـدريــهِ لا تُبَادِر بـالإنْكَـــارْ
سَلّم واجـنَــح لأهلِه كي يبدو لَكَ الخبرْ
إسـمـعْ واتَّبِـع ولا يَـغـرَنَّكَ الـغُــرورْ
ذاكَ شَـرطٌ فِي السُّلوك لنهجِ الهادي المختَارْ
وإنْ أردتَ تَـــروى و أنَ يسقِيكَ الخمَّارْ
بادِرِ و ادخل الخَـلوة واقطع عنكَ الأغْيَارْ
واذكُرِ الإسْمَ الأعظمَ واستغرِق فيهِ الهــمِمْ
حتَّى تَـرى فِي الأفـاق[٢] وفيـكَ سـرَّ الـقِدَم
فـــإذا حـقَّـقْـتَـــه لا تـرى مـاسوى الله
فى الأرضِ وفي السماءِ[٣] لا إلــه إلاَّ الـلَّــه
مَا أنَا إلاَّ خَــديــمْ لهــذا السِّـرِّ العظيم
لَـستُ مِنَ الـمُـدَّعِين لا واللهِ يــاكـــرام

---

[١] يشير الأستاذ إلى سر التوحيد. جاء في كتاب: "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، ج١، ص:٦٢– موسوعة "المكتبة الشاملة"، المؤلف: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء:٩، ما نصه: "....لأن الإحسان هو الإخلاص، وهو سر من أسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملكٌ مقربٌ، ولا نبي مرسلٌ، كما جاء في الحديث المسلسل الرباني: "الإخلاص سر من أسراري أودعته قلب من أحببت من عبادي".

[٢] الآفاق هنا تشير إلى الآية القرآنية من سورة "فصلت": ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٣٥)﴾.

[٣] إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، جزء من الآية ٣٥ من سورة "النور".

هــذا فيضِ شَيخِنا الدَّيلمي سامي المقَام
جَــزَاك الله يَاهُمَام بالرِّضَا على الــدَّوام
والــصَّلاة و السَّــلام على سَـيِّـد الأنَــام
مُــحَــمَّـدٍ وآلــهِ و الصَّحَابَـةِ الكرام

و له أيضًا: يا طَالِبَ العِلم المَكْنُونْ

يَاطَالبَ العِلم المكْنُونْ[١] ألا آسلُكْ طَريقَ القَـومْ
دَعِ الأوهَـامَ وأقْبِـلْ جُـدَّ سَيرًا لِلمَرامْ
إنْ كُنت حقًّا طالِبًا لَا تَكتَفي بالكَلامْ
إتَّبعَنِي وَلِي سَلِّم لا تَلتَفتْ لِلأنَامْ
فِي السِّرِّ و في الجَهر تَحظى منّي باهتِمَامْ
فَارق اللّهو ولَازِم باب الذِّكرِ يَا غُلام

[١] جاء في كتاب: "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، ج١، ص:١٢-"المكتبة الشاملة"، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي-القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ، ما نصه: "وارجع إلى الصدر الأول من عصر المسلمين الزاهر، تجد أن من أئمة هؤلاء الملهمين سيدنا عمر بن الخطاب-رضى الله عنه، والذي قال فيه رسول الله-صلى الله عليه وسلم: "إن من أمتى مكلمين ومحدثين، وإن عمر منهم" . ومنهم الإمام عليّ بن أبي طالب-رضى الله عنه، الذي أشار إلى صدره بعد أن تأوه مرتين، ثم قال: "إن هاهنا علوما جمة؛ لو وجدت لها حملة!!" . ويروى عنه أنه قال: "لو شئت لأوقرت من تفسير الفاتحة سبعين بعيرا"، أولئك هم علماء الله بحق، الذين عناهم رسول الله-صلى الله عليه وسلّم بقوله:"إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل" .

فَـالله مِنْـك قَـرِيـب لَكُنَّكَ عَنـهُ رِاغِـبْ[١]
انْـتَّـبِـهْ و انْـهَض إليه وَ كُنْ لَـهُ عَبداً مُنِيب
وَ لِـتَّـعْـلَـم أَنَّـهُ يَـراك إنَّـك عَـنهُ لا تغيبْ[٢]
لاحِظْهُ فِيمَا يُبْدِيه لك مِـنْهُ يَـا أرِيـبْ
تَصْفو لَكَ النَّظْـرَة ثُمَّ تُشَـاهِدْ سِرًّا عَجِيبْ
فَتُدرِك كُنْهه الحَضْرَة مُطْلَقاً بِـلا قُـيـودْ
وَ لِتَـفْـنَى فِـيـهِ بِـه[٣] وَ مِـنْـهُ إلَيـهِ تَعـودْ
كـالـمَـوجِ فِي البَحر فَـهُو مَـوجودٌ مَفْقُودْ[٤]
حَـدِّد البَصَـرَ و اعتَبِر عَـسَاكَ تَرقَى للشُّهُودْ[٥]
فِي الذِّكْرِ قلبَكَ حَضِّر وَ اكْثِر للهِ السُّجُـودْ
فَـالله يُـدنِـيكَ مِـنْـهُ وَ يَحْمِيكَ شَرَّ الصُّدودْ
هَـذَا سِـرُّ أُسْتَاذِنَـا الـدَّيْـلَمِي المَعْهُودْ
خَـلَّـدَ اللهُ ذِكْـرَهُ هَـكَـذَا وَعْـدُ الوَدُودْ
يَـارَبِّ صَـلِّ وَسَـلِّم عَلَى نُـورِكَ المُعَظمْ
نَبِّيكَ الصَّفِيّ الأكْـرَم وَ الآلِ وَ مَـنْ والاهْ

[١] إشارة إلى الآية ١٦ من سورة "ق": ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) ﴾ و الله أعلم.

[٢] إشارة إلى الآية ٧ من سورة "المجادلة": ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾. و الله أعلم.

[٣] مدار هذا البيت الآية ١٦٢-١٦٣ من سورة "الأنعام": ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾. و الله أعلم.

[٤] مدار هذا البيت الآية ٧ من سورة "الأعراف": ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) ﴾. و الله أعلم.

[٥] مدار البيت؛ ما جاء في سورة "يونس": ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (جزء من الآية ١٠١). و الله أعلم.

و له أيضًا: يَا مَن تُريدُ الحضُور

يَا مَنْ تُرِيدُ الْحُضُورَ وَ الأُنْسَ بِالْمَذْكُورْ

عَـلَيْكَ بِذِكْـرِ اللهِ وَ تــرِكِ كُلَّ مَحْظُورْ

سرًّا وَ عَــلاَنيَةً يَحْصُلْ لَـكَ الْطُّـهُورْ

فَتَصِيرُ لَهُ أَهْــلاً لَكَ تُــرْفَعُ الْسُتُّـــورْ

وَ لاَ بُدَّ مِنْ إِمَامٍ يَحْمِيكَ مِنَ الْشُّـرُورْ

يَـكُـونُ ربَّـانِيًّا وَ ذَا سَــيرٌ مَبــرُور

فَــإِذَا وَجَــدَتّــهُ فسَلِّمْ لَـهُ الأُمُـــور

وَ كُـنْ طَـوْعَ أَمْـرِهِ لاَ تَلْتَفِتْ لِلْظُّهُورْ

وَ فِي حَــالِ الْسَّيْرِ تَبْدُو لَـكَ الأَنْوارْ

فَتَرَى مِنَ الْمَعْنَى مَا لاَ يُدْرَكُ بِالأَبْصَارْ

فَــإِذَا تَــمَّ الْشُّهُــودُ تَغِيبُ عَنْ الأَثَارْ

فَلاَ تَرَى فِي الْوُجُودِ إِلاَّ الْوَاحِدَ الْقَهَّارْ

كَانَ اللَّهُ وَ لاَ شَيءَ وَ الآنْ هُوَ الظَّاهِرْ

وَ الْغَـيرُ كَسَـرَابٍ لَيْسَ لَـهُ مِـنْ قَـرَارْ

الله الله يَا خِلاَّنْ إِحْـذَرُوا مِنَ الْغُـرُورْ

وَ أَنيبُـوا إِلَى اللهِ تَنَـالُـوا مِنْـهُ الْسُّـرورْ

وَ تَفُـوزُوا بِالرِّضْوانِ مِنَ الْغَنِّي الْشَّكُورْ

فِي حَضْرَةِ الْرَّحْمَانِ حَيْثُ الأُنْسُ وَ الْحُضُـورْ

سَارِعُوا عِبَـادَ اللهِ إِنَّ الأَجَــلَ مَقْدُورْ

وَابْتَـغُــوا رِضْـوَانَ اللهِ قَبْلَ يَوْمَ النُّشُورْ

صَلِّ رَبِّ وَ سَــلِّمْ عَلَى الْنَّبِيِّ الأَكْـرَمْ

مُحَمَّـدْ وَآلِهِ وَ الْصَّحْـبِ وَ مَنْ وَالاَهْ

و له أيضًا: لَكَ الحمد مُفَيّضَ سَائِرَ النِّعم

لَـكَ الحَـمْـدُ مُـفَـيّـضَ سَـــائِرَ النّـعَـم وَ المَنَـنْ
ظَـاهِرًا وَ بَـاطِنًا وَ قَـدْ فَازَ مَنْ بِالشُّـكْـرِ ظَـفَـرْ

أَنَتَ اللَّهُ الشَّكُـورُ وَ إِنَّـمَـا شُكْـرُنَـا مِنْـكَ أَثَـرْ
كَمَا أَثْنَيـتَ عَلَىَ نَفْسِكَ فِي صَـحِيـحِ الخَـبَـرْ

فَـهَـنِـيئاً لِـمَنْ عَـرَفَـكَ إِلَهِي وَ فِي عِرْفَانِكَ استَقَرْ
فَـهُـوَ وَاللهِ فِي نَـعِـيمٍ مِـنْـكَ دَائِـمٌ مُـسْتَـمِرْ

وَ حَـمْـداً لَـكَ رَبِّي عَلَى جَـمـعِـكَ لَـنَـا بِالإِمَامْ
وَ قُـــدْوَةِ الـخَـيرِ الـعَـالِـم الــرَّبَّــانِي المَــاهِــرْ

الَّذِي سَادَ بِـجَمْعِ الـكَـرَامَتَيْنِ التَّقْوى وَ النَّسَبْ
وَ فَـــازَ مِنَ الــرَّسُـولِ بِالْـوِرَاثَــتَـينِ وَ لاَ فَـــخـرْ

أَعْنِـي بِـهِ الـقَـائِـمَ بِاللَّـهِ وَ الـــــدَّال عَـلَـيْـهْ
مُـرَبِّي السَّـالِكِـيـنَ و بَحْــرِ العِرْفَانِ الـزَّاخِـرْ

وَلِـيّ نِـعْـمَـتِـنَا وَ قُــــرةِ أَعْـيُـنِـنَــا مَـــنْ
جَــادَ عَــلَـيْـنَــا بِالــعِـلِمِ اللَّـدُنِّي البَـاهِـرْ

سَــيِّدِي عَـلِي الــبُــودلْـمِـي الــهُـمَـامْ
جَــــزَاكَ الــلَّــهُ عَنَـا بِالحُــسْـنَى وَ الـنَّـظَـرْ

إِلَى وَجْــــهِ الــكَـرِيمِ رُفْــقَـةَ سَيِّــدِ البَشَـرْ
قَــدِّسَ اللَّهُـمَّ رُوحَـهُ الطَّـاهِرَةِ فِي حَضْــرَتِــكْ

قَـــدِّسَ اللَّهُمَّ رُوحَــــهُ الطَّـــاهِـرَةْ فِي حَـضْـرَتِكْ
وَ أَكْـرِمْـهُ بِـمَـقْـعَـدِ الصِّدقِ وَ الرِّضْـوانِ الأَكْـبَرْ

و اجْـعَلْنَا بَـعْدَهُ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ قُـلْتَ فِيـهِمْ
صَـدَقُـوا مَـا عَـاهَدُوا عَلَيهِ اللَّـهَ إِلَى يَومِ المُسْتَقَرْ

وَازِدْنَــا بِحَـــقِّـــهِ وَ جَـاهِـهِ مِـنْ مَـــوَاهِبِـــكْ
الصَّـــافِيَةِ وَ سِـرِّكَ الْخَـفِـيِّ وَ لَنَا الأَمْـرَ يَـسِّرْ

وَ اسْلُـكْ بِنَا سُبُلَ النَّجَـاةِ وَ الرِّضْوانِ فِي كُلِّ شَأْنْ
بِجَــاهِ مَنْ جَعَــلْتَهُ أَمْنًا لَنَا مِــنْ كُــلِّ مَـكْـرْ

سَــيِّدِ الكَـوْنَيْنِ رَحْــمَتِكَ المُهْــدَاةِ لِلعَــالَمِـينَ
مَـــوْلَانَـــا مُحَـــمَّدِ المُصْطَفَى مِنْ صَفْوَةِ الْبَـشَـرْ

صَــلِّ عَـلَـيْهِ يَـا رَبِّـي وَ سَـلِّـمْ دَومــًا وَ عَـلَى
الآلِ وَ الصَّــحْبِ ثُــــمَّ مَــنْ اقتفَى لَــهُ أَثَرْ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِثْلِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَبِهِمْ تُسْقَوْنَ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ،
مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ آخَرَ"

صحيح البخاري، ج٥، ص٦٢٢٧

ملحق الكتاب-القسم الثالث:

سند الطريقة الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي هدانا لطريق عباده العارفين الذين دلونا على اللّه و وضحوا لنا السبيل، الذين ورثوا سيد الأنبياء و المرسلين–عليه أفضل الصلاة و السلام–في ظاهره باتباع شرعه الكريم، و في باطنه بما كان عليه من معرفة اللّه حقَّ المعرفة؛ المعرفة التي تصحبها نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق ، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى. هذا و لقد جادت أيادي عباد اللّه العارفين خلال العصور من شيوخ التربية من أهل التصوف الإسلامي على الذين أرادوا السلوك لطريق اللّه القويم فحققوا بذلك صلتهم و نسبهم بنبيهم الكريم–ﷺ–و لحقوا بذلك بسلف الماضين و أئمتها الغابرين الذين طربت لذكرهم النفوس و هاجت الأرواح و اضطربت الأشباح و راح لسانُ الحال ينشد و هو مرتاح:–

لي سَادَةٌ من عِـزِّهـم   أقْدَامُهُم فَوقَ الجِبـاهْ

إنْ لَمْ أَكُنْ مِنهم فَـلِي   فِي حُبِّهم عِزٌّ و جَـاهْ

عن أنس–﵁– أن رجلا سأل النبي–ﷺ– عن الساعة؛ فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أَنِّي أحبُّ الله ورسوله–ﷺ؛ فقال:۞ أنت مع من أحببت۞!!! قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي–ﷺ:أنت مع من أحببت! قال أنس: فأنا أحبُّ النبيَّ–ﷺ– وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبِّي إيَّاهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. و نحن نقول إقتداءً بسيدنا أنس–﵁: إنَّا نحـبُّ اللَّه و رسوله و صحابة رسول اللَّه–ﷺ– و كل عباد اللَّه العارفين باللَّه حقَّ المعرفة؛ فنرجو اللَّه، صاحب الكرم و الجود، أن يحشرنا معهم يوم القيامة و إن لم نعمل بأعمالهم. آمين.آمين. آمين.

إنه ليس هناك أقوى حجة ممن استند بسند سيد المرسلين–ﷺ، و عباد اللَّه الصَّالحين و العارفين و انتسب إلى نسبهم الطَّاهر. هذا و لقد رأينا أن نعطِّرَ هذا الملحق بنسب الطريقة الشريف لسيدي و صاحب الفضل علينا، سيدي الحاج أحمد حبيب–جزاه اللَّه عنَّا خير الجزاء و بارك في كل ما قدَّمه من خدمة لأمة الإسلام. آمين. هذا السند يسرد أسماء السادات، أصحاب التربية الروحية، إبتداءً من حبيب ربِّ العالمين–ﷺ–و إنتهاءً بشيخ الأستاذ أحمد حبيب في العلم و المعرفة، الشيخ الجليل الأكبر و الرجل الأنور، العارف باللَّه و مرشد السَّالكين، سيدي علي البوديلمي–قدس اللَّه سرَّه. نسـأل اللَّه العظيم أن يحشرنا معهم و أن يجعلنا من الذين اهتدوا بهداهم. آمين. آمين. آمين.

سند الطريقة العلاوية البوديلمية الحبيبية

سيد السادات محمد صلى الله عليه وسلم

أبوبكر الصديق ← القاسم بن أبي بكر ← جعفر الصادق

سلمان الفارسي ← القاسم بن أبي بكر

أنس بن مالك

علي بن أبي طالب ← الحسين السبط ← زين العابدين ← محمد الباقر ← جعفر الصادق ← موسى الكاظم ← علي الرضا ← معروف الكرخي

جعفر الصادق ← أبو يزيد البسطامي ← أبو النصر الكرخي ← أبو القاسم الجنيد

سري السقطي ← أبو الحسن علي النوري

علي بن أبي طالب ← الحسن السبط ← أبو محمد جابر ← سعيد الغزواني ← سعد ← أبو محمد سعيد ← أحمد المرواني ← إبراهيم البصري ← زين الدين القزويني ← محمد شمس الدين ← نور الدين عبد الحسن علي ← فخر الدين ← تقي الدين الفقير ← عبد الرحمان العطار الزيات

علي بن أبي طالب ← حسن البصري ← حبيب العجمي ← داود الطائي ← معروف الكرخي ← سري السقطي ← أبو القاسم الجنيد ← أبو بكر بن جحدر الشبلي ← أبو الفرج عبد الوهاب التميمي ← أبو الفرج الطرطوسي ← علي أبو الحسن بن يوسف ← أبو سعيد المبارك ← عبد القادر الجيلاني ← شعيب أبو مدين

شعيب أبو مدين ← عبد الرحمان العطار الزيات ← عبد السلام بن مشيش ← أبو الحسن الشاذلي

شعيب أبو مدين ← أبو محمد صالح بن بنصار ← محمد بن حرازم ← أبو الحسن الشاذلي

أبو الحسن الشاذلي ← أبو العباس المرسي ← أحمد بن عطاء الله الأسكندري ← داود باخلي ← محمد وفا بحر الصفا ← علي بن وفا ← يحي القادري ← أحمد الحضرمي ← أحمد زروق ← إبراهيم الفحام ← علي الصنهاجي الدوار ← عبد الرحمان المجذوب ← يوسف الفاسي ← عبد الرحمان الفاسي ← محمد بن عبد الله ← قاسم الخصاص ← أحمد بن عبد الله ← العربي بن عبد الله ← علي الجمال ← العربي بن أحمد الدرقاوي

العربي بن أحمد الدرقاوي ← محمد بن عبد القادر ← محمد بن قدور الوكيلي

العربي بن أحمد الدرقاوي ← أبو يعزى المهاجي ← محمد بن قدور الوكيلي

محمد بن قدور الوكيلي ← محمد بن الحبيب البوزيدي ← أحمد بن مصطفى العلاوي ← أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الديلمي ← أحمد بن عبد القادر بن عمرحبيب–رعاه الله

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

التوبة، آية ١٠٠

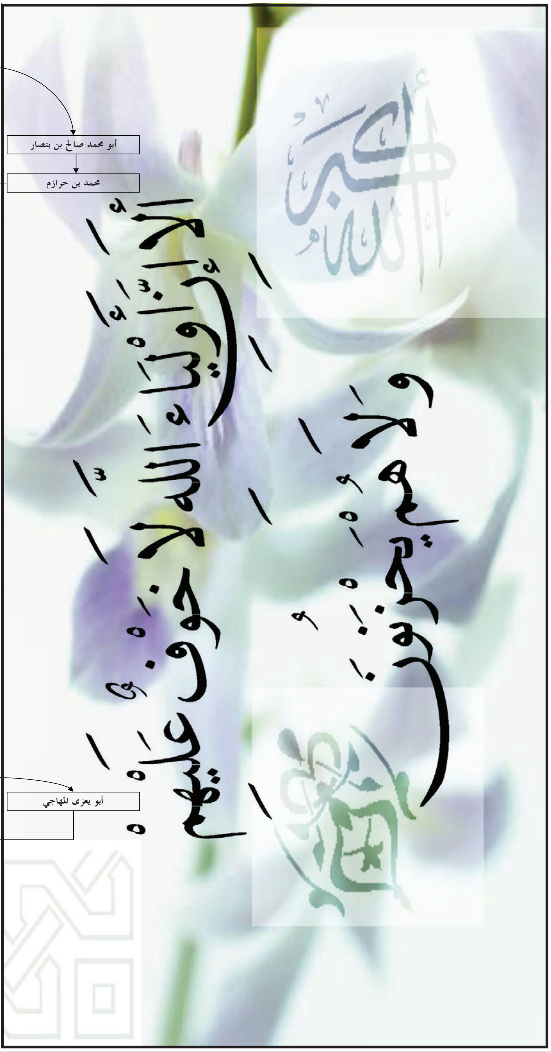

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ"

حديث صحيح لغيره؛ "مجمع الزوائد و منبع الفوائد"

ملحق الكتاب القسم الرابع: قائمة و تفاصيل كتب علماء الأمة المحمدية الذين ذكرناهم في جدول الملحق و الذين يقرون بالتوسل بالنبي الأكرم –ﷺ– بعد إنتقاله إلى جوار ربه كما أضفنا بعض التعليقات التي ذكرناها في الكتاب

بطاقات الكتب و علماء أئمة أهل السنة و الجماعة من المذاهب الأربعة (عبر العصور: القرن الأول إلى القرن الخامس عشر الهجري) الذين ذكرناهام في جدول ملحق الكتاب و الذين يقرون بالتوسل بالنبي-ﷺ، بعد إنتقاله إلى جوار ربّه:-

١. الكتاب: المعجم الأوسط، ج٧، ص٢٥٩ -"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

٢. الكتاب: المعجم الكبير، ج٢٤، ص٢٥٩، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية-القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:٢٥.

٣. الكتاب: السيرة النبوية -"البداية والنهاية لابن كثير"، ج١،ص٢٩٢، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

٤. الكتاب: "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، ج٤، ص١٣٨، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٥. الكتاب: "الإصابة في تمييز الصحابة"، ج٦، ص:٢١٦-"المكتبة الشاملة" المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

٦. الكتاب: "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"،ج٣، ص:٥٩٤، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، عدد الأجزاء: ٣.

٧. الكتاب: "فتوح الشام"، ج١، ص٩٤-٩٥، و ج١، ص٢٢٠، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى:-٢٠٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء:٢.

٨. الكتاب: بحر العلوم، ج١، ص:٣٠ المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٩. الكتاب: "دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة"، ج٨، ص:٤٧ المؤلف:-أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى:-٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، عدد الأجزاء: ٧

١٠. الكتاب: "إحياء علوم الدين"، ج١، ص٢٥٩، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة–بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

١١. الكتاب: "المستوعِب"، ج١، ص٥٢٥، المؤلف: الشيخ الإمام نصير الدين محمد بن عبد الله السَّامري الحنبلي–٥٣٥–٦١٦ هجرية، تحقيق: أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، عدد الأجزاء:–٢، الطبعة: ٢، سنة الطبع: ١٤٢٤ هـ–٢٠٠٢ م، الناشر: يطلب من مكتبة الأسدي–مكة المكرمة.

١٢. الكتاب: "المغني لابن قدامة"، ج٣، ص٤٧٨، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء:١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

١٣. الكتاب: المجموع شرح المهذب–مع تكملة السبكي والمطيعي،ج٨، ص٢٧٤، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

١٤. الكتاب: "المدخل"، ج١، ص٢٥٩، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: ٧٣٧هـ)، الناشر: دار التراث، عدد الأجزاء: ٤.

١٥. الكتاب: "البداية والنهاية"، ج١٧، ص٣٤٠ المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء:٢١ (٢٠ ومجلد فهارس).

١٦. الكتاب: "شفاء السقام في زيارة خير الأنام– صلى الله عليه و سلم"، ج١،ص٣٥٧ المؤلف: الإمام المحقق ناصر السنة شيخ الإسلام المجتهد النظار تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي، إعتنى به: حسين محمد علي شكري، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، سنة الطباعة؛: ١٩٧١م.

١٧. الكتاب: "البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير"، ج٢، ص١٨٥، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٩.

١٨. الكتاب:"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"،المؤلف:– عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ١.

١٩. الكتاب:"وسيلة الإسلام بالنبي–عليه الصلاة والسلام"، ج١،ص٣١–٣٢،المؤلف:أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس القسنطيني، ابن قنفذ (المتوفى: ٨١٠هـ)، المحقق: سليمان العيد المحامي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ١.

٢٠. الكتاب: "دفع شبه من شبَّه و تمرد و نسب ذلك الى السيد الجليل أحمد"، ج١، ص

٧٥، تصنيف: الإمام الكبير تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي، على النسخة الخطية الوحيدة لفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث

٢١. الكتاب: "ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد"، ج١،ص٦٩ المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٢. لكتاب: "فتح القدير"، ج٣، ص١٨١ المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ) الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٣. الكتاب: "المبدع في شرح المقنع"، ج٢،ص٢٠٧ المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء:٨.

٢٤. الكتاب: "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف"، ج٢، ص٤٥٦، المؤلف:- علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى:- ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١٢.

٢٥. الكتاب: "التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح"، ج١،ص١٥، المؤلف:- أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، زين الدين الزبيدي (المتوفى: ٨٩٣هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، كسرى صالح العلي، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ١.

٢٦. الكتاب: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، ج١١، ص ٤٤١، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي-الناشر:دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه- محب الدين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

٢٧. الكتاب:"القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع"، ج١، ص١٩٣ المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: دار الريان للتراث، عدد الأجزاء: ١.

٢٨. الكتاب: "خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى"، أ) ج١، ص٤٠٧؛ ب) ج١، ص٤١٧ المؤلف:- علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، وجعله وقفا لله تعالى، عدد الأجزاء: ٢.

٢٩. الكتاب: "معترك الأقران في إعجاز القرآن"، ويُسمَّى "إعجاز القرآن ومعترك الأقران"، أ) ج١، ص: ٦١، ٣٨٧، ٣٩٠؛ ب) ج٢،ص:١٥٦، ٣٩٥، ٤٢٩، ٤٨٥،٤٩٦، ٥٧٠، ٦٣١،

المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ عدد الأجزاء: ٣

٣٠. الكتاب: "فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب = القول المختار في شرح غاية الاختصار" –و "يعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع"، ج١، ص ٣٥٠، المؤلف: محمد بن قاسم بن محمد بن محمد، أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (المتوفى:– ٩١٨هـ)، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١، أعده للشاملة/ واسم كان الإندونيسي، (الكتاب مرتبط بنسختين مصورتين: الموافقة لترقيمه (ط ابن حزم) و ط الحلبي).

٣١. الكتاب: "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، ج٣، ص٦٠٤، ص٦٠٥، المؤلف:– أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة–مصر، عدد الأجزاء: ٣.

٣٢. الكتاب: " الجليل في شرح مختصر خليل"، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٦.

٣٣. الكتاب: "مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج"، ج١، ص٨٦، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٦.

٣٤. الكتاب: "غاية البيان شرح زبد ابن رسلان"، ج١، ص٢ المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة –بيروت، عدد الأجزاء: ١.

٣٥. "متن ابن عاشر - المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، ج١، ص٢٤، المؤلف: العلامة أبو محمد عبد الواحد بن عاشر، دار النشر: مكتبة القاهرة–لصاحبها علي يوسف سليمان، شارع الصنادقية: ميدان الأزهربمصر، ص.ب.٩٤٦، –الهاتف:٩٠٩٩٠٩.

٣٦. الكتاب: "كشاف القناع عن متن الإقناع"، ج٢، ص٦٨، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: ٦.

٣٧. الكتاب: "مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح"، ج١، ص٢٨٢، المؤلف: حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، اعتنى به وراجعه: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

٣٨. الكتاب: "الدر الثمين والمورد المعين" (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)، ج١، ص٥٣٨، المؤلف: محمد بن أحمد ميارة المالكي، المحقق:– عبد الله المنشاوي، الناشر: دار الحديث القاهرة، سنة النشر: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٩. الكتاب: "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، ج١٢، ص٢٢٢، المؤلف:- أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١٢.
٤٠. الكتاب: "كشف الخفاء ومزيل الإلباس"، ج٢، ص٥١٥ المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤١. كتاب: "حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني"، ج١، ص٥، المؤلف: أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (نسبة إلى بني عدي، بالقرب من منفلوط) (المتوفى: ١١٨٩هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر-بيروت.
٤٢. الكتاب: "تحفة الحبيب على شرح الخطيب-حاشية البجيرمي على الخطيب"، ج٢، ص٢٤٣، المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: ١٢٢١هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء:٤.
٤٣. الكتاب: "حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح"، ج١، ص٥٥١، المؤلف: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي-توفي ١٢٣١ هـ، المحقق: محمد عبد العزيز الخالدي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤٤. الكتاب: "الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني"، ج١، ص٣١٦، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، حققه ورتبه: أبو مصعب "محمد صبحي" بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء-اليمن، عدد الأجزاء: ١٢.
٤٥. الكتاب: "رد المحتار على الدر المختار"، ج١، ص٧٨؛ و كذلك ،ج٤، ص ١١٩، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي(المتوفى:-١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٦
٤٦. الكتاب: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، ج١، ص ٨٥، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).
٤٧. الكتاب: "منح الجليل شرح مختصر خليل"، ج٧، ص٤١٦، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: ١٢٩٩هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، عدد الأجزاء:٩.
٤٨. الكتاب: "الفتاوى الهندية"، ج١، ص٢٦٦، المؤلف: لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٣١٠ هـ، عدد الأجزاء: ٦.
٤٩. الكتاب:" إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين" (هو حاشية على

فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، ج١، ص٢٠٠، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (المتوفى: ١٣١٠هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٥٠. الكتاب: "نهاية الزين في إرشاد المبتدئين"، ج١، ص٧٧، المؤلف:- محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١.

٥١. الكتاب: "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين"، ج١، ص٥٠١، المؤلف: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ)، قدم له: علي السيد صبح المدني–رحمه الله، الناشر: مطبعة المدني، عام النشر: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٥٢. الكتاب: "تفسير الشعراوي- الخواطر"، ج١، ص٣٥٨، و ص٣٥٩ المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م).

٥٣. الكتاب:" مفاهيم يجب أن تصحح"، ج١، ص٦٠، المؤلف:- الدكتور محمد علوي المالكي الحسني، الناشر: دار جوامع الكلم-، ١٨ شارع الشيخ صالح الجعفري، الدراسة–القاهرة، تليفون:٢٥٨٩٨٠٦٩

٥٤. الكتاب: "فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة"، ج١، ص: ٢٤٠، المؤلف: محمّد سَعيد رَمضان البوطي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الخامسة و العشرون – ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ١.

٥٥. الكتاب: "المتشددون: منهجهم و مناقشة أهم قضاياهم" لفضيلة الدكتور علي جمعة، مفتي الديار المصرية الأسبق، ج١، ص٧١، الطبعة الأولى- ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، الناشر: دار المقطم للنشر و التوزيع.

٥٦. تعليق على حديث أبينا آدم–عليه السلام– في التوسل بالنبي–ﷺ– جاء في كتاب شيخ الإسلام، ابن حجر الهيتمي (٩٠٩ - ٩٧٤ هـ = ١٥٠٤ - ١٥٦٧ م)؛ " الكتاب: الفتاوى الحديثية، ج١، ص:١٣٣-١٣٤-"المكتبة الشاملة"، ، الناشر: دار الفكر عدد الأجزاء:١:" وسئل نفع الله به وبعلوم [أي الشيخ ابن حجر–رحمه الله]: عن جماعة يصلون على النّبي–ﷺ– في الجامع الأزهر وفي مكّة وغيرهما ليلة الاثنين والجمعة، ومن جملة صلاتهم: اللّهمّ صلّ أفضل صلاة على أفضل مخلوقاتك سيدنا محمّد الخ، فاعترض عليهم بعض المنتسبين للعلم وشنّع وقال: ولم يدل على ذلك دليل فيتعيّن الإمساك عنه فهل هو مصيب في ذلك أو مخطىء؟ فأجاب بقوله–رضي الله عنه– –عنه: هو مخطىء في ذلك أشد الخطأ، وكأنّه سرى إليه ذلك من قول بعض من لا علم عنده اعتراضاً على قول بعض المادحين: لولاه ما كان لا ملك ولا ملك، مثل هذا يحتاج إلى دليل ولم يرد في كتاب ولا في السّنة ما يدل عليه–انتهى. وعلى قول أشرف الخلق لا خلق يماثله الّذي أخبرنا به عن نفسه–ﷺ–: "أنا سيد ولد آدم" . ومسألة تفضيل صالحي البشر على الملائكة أجاب فيها أبو حنيفة وغيره بلا أدري، وهذا هو

الجواب الصّحيح، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** (٧) ﴾ الإسراء: ٧٠، ولم يقل على الخلق ورسول الله –ﷺ-من بني آدم وليس ذلك ممّا كلفنا بمعرفته، والبحث عنه والكلام فيه فضول، والسكوت عنه هو الجواب –انتهى كلام المعترض أيضا، وكأن ذاك المعترض المذكور في السّؤال قلّد هذا المعترض، وكل منهما مخطىء مجازف قد صيّر نفسه هدفاً لنصال العلماء المصيبة، وغرضاً لهفوات الشّياطين المريبة. وممّا هو واضح جليّ في بطلان الاعتراض الأول بل والثّاني لمن تأمل قوله: "لأحب الخلق إلي" . في حديث الحاكم الّذي صححه أنه–ﷺ–قال: "**قال آدم يا رب أسألك بحق محمّد–صلى الله عليه وسلم لما غفرت لي؟** فقال الله تعالى: يا آدم وكيف عرفت محمّدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك، قال الله: يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إليّ، وإذ سألتني بحق محمّد فقد غفرت لك ولولا محمّد ما غفرت لك". وفي سند واه قال ابن عدي: فيه أحاديث حسان وهو ممن احتمله النّاس وممّن يكتب حديثه وتضعيف غيره له قليل ومجبور. وممّا صحّ عند الحاكم أيضا عن ابن عبّاس–رضي الله عنهما– قال: "أوحى الله تعالى إلى عيسى– عليه السّلام– يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمّد ما خلقت آدم، ولولا محمّد ما خلقت الجنّة والنّار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فسكن". ومثل هذا لا يقال من قبل الرّأي، فإذا صحّ عن مثل ابن عبّاس يكون في حكم المرفوع إلى النّبي–ﷺ–كما قرّره أئمّة الأصول والحديث والفقه، وحينئذ فما في الأول من ضعف لو سلم لقائله يكون مجبوراً بهذا لأن هذا وحده كاف في الحجية فضمّ الأول إليه يزيده قوّة أي قوّة[وجدنا العبارة" قوة أي قوة" في الكتاب؛ و قد تكون العبارة هكذا؛ "قوة أيما قوة"–و الله أعلم]، وفي حديث رواه صاحب شفاء الصّدور وغيره :"قال الله يا محمّد وعزّتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء" . وفي رواية "من أجلك أسطح البطحاء وأموج الماء وأرفع السّماء وأجعل الثّواب والعقاب والجنّة والنّار". وفي أخرى ذكرها عياض في "الشّفاء" : "فقال آدم لما خلقتني بيدك رفعت رأسي إلى العرش فإذا فيه مكتوب لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممّن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله تعالى إليه وعزّتي وجلالي إنّه لآخر النّبيين من ذرّيتك ولولاه ما خلقتك" وبهذا كله اتّضح بطلان ذلك الاعتراض، وأن قائله زلّ عن درك الصّواب فطغى قلبه وزل قدمه.

٥٧. تعليق نور الدين أبي الحسن السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ) في كتابه " وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى" على حديث رؤيا الصحابي رضي الله عنه الذي رأى النبي–ﷺ–في المنام و أمره بالذهاب إلى عمر–رضي الله عنه– حتى يأمره أن يستسقي للمسلمين–التعليق موجود في ج٤، ص:١٩٥: وقد يكون التوسل به– ﷺ–بعد الوفاة بمعنى طلب أن يدعو كما كان في حياته، وذلك فيما رواه البيهقي من طريق الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار، ورواه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار،

قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب–رضي الله تعالى عنه، فجاء رجل إلى قبر النبي–صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا رسول الله، استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله–صلى الله تعالى عليه وسلم–في المنام فقال: ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون، وقل له: عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر–رضي الله تعالى عنه–فأخبره، فبكى عمر–رضي الله تعالى عنه– ثم قال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه! وروى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة–رضي الله تعالى عنهم–ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه–صلى الله تعالى عليه وسلم– وهو في البرزخ ودعاؤه لربه في هذه الحالة غير ممتنع، وعلمه بسؤال من يسأله قد ورد، فلا مانع من سؤال الاستسقاء وغيره منه كما كان في الدنيا.**تعـــليـــق: ذكر الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري –شرح صحيح البخاري"ج٢، ص٤٩٥**، الناشر : دار المعرفة–بيروت، ١٣٧٩هـ، عدد الأجزاء: ١٣ الحديث بهذه الصيغة: **وروى بن أبي شيبة بإسناد صحيح** من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري وكان خازن عمر قال أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي–صلى الله عليه وسلم– فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى الرجل في المنام فقيل له ائت عمر–الحديث. وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة"–إنتهى قول ابن حجر العسقلاني–رضي الله عنه. و ذكر كذلك الحافظ ابن كثير(المتوفي:٧٧٤هـ)–رحمه الله–في كتابه؛ "البداية و النهاية"، القصة، ج٧، ص٩١، دار النشر:دار الفكر، عمام النشر:١٤٠٧هـ–١٩٨٦م، ، و عقب بقوله: وهذا حديث صحيح.إنتهى.

٥٨. إضافة لما علق به الشيخ القسطلاني في قصة إمام دار الهجرة، الإمام مالك بن أنس و أبي جعفر المنصور: وينبغى للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة، وإن جاء من جهة رجلى الصاحبين فهو أبلغ فى الأدب من الإتيان من جهة رأسه المكرم. و يستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه–صلى الله عليه وسلم– بأن يقابل المسمار الفضة المضروب فى الرخام الذى فى الجدار، ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم، لأن هناك عدة قناديل.وقد روى أن مالكا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسى: يا أبا عبد الله أستقبل رسول الله–صلى الله عليه وسلم– وأدعو، أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك:ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم–عليه السّلام–إلى الله عز وجل يوم القيامة.وينبغى أن يقف عند محاذاة أربعة أذرع ويلازم الأدب والخشوع والتواضع، غاض البصر فى مقام الهيبة، كما كان يفعل بين يديه فى حياته، ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه، كما هو الحال فى حال حياته، إذ لا فرق بين موته وحياته فى مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم وعزائمهم وخواطرهم، وذلك عنده جلى لا خفاء به.فإن قلت: هذه الصفات مختصة بالله تعالى؛ فالجواب: إن من انتقل إلى عالم البرزخ من المؤمنين يعلم أحوال الأحياء غالبا، وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور فى مظنة ذلك من الكتب.وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب: ليس من يوم إلا و يعرض على النبى– صلى الله عليه وسلم– أعمال أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم. ويمثل الزائر وجهه الكريم– صلى

الله عليه وسلم– فى ذهنه، ويحضر قلبه جلال رتبته، وعلو منزلته، وعظيم حرمته، وإن أكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه إلا كأخى السرار، تعظيما لما عظم الله من شأنه. و قد روى ابن النجار أن امرأة سألت عائشة–رضى الله عنها: أن اكشفى لى عن قبر رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فكشفته فبكت حتى ماتت.إنتهى كلام الإمام القسطلاني–رحمه الله. و علق إمام الأزهر الأسبق، الشيخ علي جمعة–حفظه الله–في كتابه" المتشددون: منهجهم و مناقشة أهم قضاياهم"، ص٨٠، الطبعة الأولى من "دار المقطم للنشر و التوزيع" و قال:" قد روى هذه القصة كذلك أبو الحسن علي بن فهر في كتابه–"فضائل مالك"بإسناد لابأس به، و أخرجها القاضي عياض في "الشفاء" من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه. كذلك ذكره السبكي في "شفاء السقام" ؛ و السمهودي في "وفاء الوفاء". قال ابن حجر في "الجوهر المنظم": "قد روى هذا بسند صحيح". و قال العلامة الزرقاني في "شرح المواهب": "إن ابن فهد ذكر هذا بسند حسن، و ذكره القاضي عياض بسند صحيح. إنتهى قول الشيخ علي جمعة.

٥٩. استغفار آدم عليه السلام بحق محمد–ﷺ، اسم االمرجع: "المستدرك على الصحيحين"، ج٣، ص ١٦٣٥، رقم الحديث:٤٢٨٦– "موسوعة الحديث الشريف–إسلام ويب"، اسم المؤلف:– أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، موضوع المرجع: متون الحديث، عدد الأجزاء:– خمسة أجزاء، الناشر: دار المعرفة. نص الحديث: أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه قال، قال رسول الله– ﷺ: " لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب **أسألك بحق محمد** لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم ، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال : يا رب ، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك! فقال الله : صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي؛ ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك!" .قال الحاكم النيسابوري:– هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب .

تم بحمد الله

فهرس الكتاب

الباب الأول:خطبة الكتاب و نبذة عن اللشيخ أحمد حبيب و شيخه السيد علي البوديلمي...... ......٧-١٤
خطبة الكتاب..٤-٦
نبذة عن الشيخ أحمد حبيب...٨-١٤

الباب الثاني:رسالة اليقين في مسائل ذات أهمية في الدِّين.............١٥-٤٨
حكم البسملة في أول الفاتحة أثناء أداء الصلاة...........................١٦
الأحاديث النبوية و الأثار المأثورة عن الصحابة في قراءة البسملة في الصلاة جهرًا.........١٦-١٨
الأحاديث النبوية و الأثار المأثورة عن الصحابة في قراءة البسملة في الصلاة سرًّا..........١٨
أقوال كبار فقهاء مذهب إمامنا مالك-رضي الله عنه............................٢٠
مشروعية رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة......................................٢٤
رفع الناس أيديهم مع الإمام في الدعاء و رفع الأيدي في مطلق الدعاء..........٢٥
مسألة جليلة في التوسل و الوسيلة..٣٠
بعض الأدلة الصحيحة على جواز التوسل بالنَّبي-ﷺ..............................٣٣
الأدلة على عموم التوسل بالأنبياء و المرسلين...............................٣٧
الأدلة على عموم التوسل بأولياء الله و الصالحين.............................٣٧
الأدلة على صحة التوسل به-صلى الله عليه وسلم-بعد وفاته......................٣٩
التوسل بالعمل الصالح...٤٣
التبرك بأثار النَّبي-صلى الله عليه وسلم-في حياته و بعد وفاته...................٤٤
التبرك بأثار أصابع رسول الله-صلى الله عليه وسلم..............................٤٨

الباب الثالث: رسالة إلى صديق حميم و محبين في الفرق بين التصوف الحقيقي و التصوف المجازي..٤٩-٦٨

إفتتاحية..٥٠
تساؤلات الإخوان عن التصوف..................................٥٤
أهمية طهارة القلوب..٥٦
من تعريفات السلف للتصوف و الصوفي........................٥٩
هل التصوف محدث؟..٦٢
اتخاذ الشيخ لسلوك طريق الله ورسوله.........................٦٦
دور شيخ التربية و مهامه...٦٦
إنكار المعرضين في زماننا عن الصوفية..........................٦٧

الباب الرابع:التصوف الإسلامي: الركن الثالث للإسلام..........................٦٩-٧٧

الباب الخامس:القوام و الإعتدال..٧٧-٩٩
السؤال الأول : هل تعظيم الرّسول-ﷺ-بلفظ السّيادة و تعظيمه بالمدح مثل قول الإمام
البوصيري رحمه الله: "يا رحيماً بالمؤمنين"...........................٨١
السؤال الثاني: ما هو الحكم الشّرعي في زيارة القبور و قراءة القرآن عند القبر؟ ٩٣
السؤال الثالث: ما حكم النذر بالذبائح عند أضرحة الصالحين؟ و هل لحم تلك الذبائح
حلال يؤكل؟...٩٧

الباب السادس: رسالة القول المعروف لمن أنكرالتصوف الإسلامي..................١٠٠-١٢٧
إشتغال العامة بالقدح في عباد الله الذاكرين..............................١٠١
من أسباب إنحراف الأمة عن صراط الأولين...............................١٠٤
من هم الصوفية؟..١٠٤
الأعمال بين صفاء و كدر..١٠٦
العناية بوحدة المسلمين في زمن الصحابة و اهتمامهم بطهارة القلوب..................١٠٧
الخشوع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته و تجلي صفاته...................١٠٨
من فوائد الذكر...١٠٩
منهج الصوفية...١١١
التنبيه إلى خطر الفتنة في الدِّين على المؤمن.................................١١٣
التنبيه إلى خطر الغرور بالله و بيان لكيفية علاجه.............................١١٦

ضرورة صحبة قدوة صالحة في سلوك طريق الحق........ ١١٩
كيفية المحافظة على رسوخ الإيمان بلزوم المحاسبة و المراقبة........ ١٢٢
الصدق مع الله أساس الدين........ ١٢٤

الباب السابع: زبدة الرسائل في إرشاد المريد السائر على منهج أهل العلم و البصائر........ ١٢٨-١٧٨
الرسالة الأولى........ ١٢٩
الرسالة الثانية........ ١٣٢
الرسالة الثالثة........ ١٣٥
الرسالة الرابعة........ ١٣٩
الرسالة الخامسة........ ١٤٠
الرسالة السادسة........ ١٤٢
الرسالة السابعة........ ١٥٠
الرسالة الثامنة........ ١٥٣
الرسالة التاسعة........ ١٥٥
الرسالة العاشرة........ ١٥٩
الرسالة الحادية عشر........ ١٦١
الرسالة الثانية عشر........ ١٦٥
الرسالة الثالثة عشر........ ١٧١
الرسالة الرابعة عشر........ ١٧٥

ملحق الكتاب........ ١٧٩-٢٩٤
القسم الأول:-
كشف اللثام و المورد العذب الزلال في التَّوسل بخير الأنام-صلى الله-عليه وسلم........ ١٧٩-٢٦٧
جدول البحث : قائمة أبرز علماء الأمة الذين قالوا بالتوسل بالنبي العدنان-ﷺ-بعد و قبل إنتقاله إلى جوار ربِّه خلال حقبات التاريخ الإسلامي........ ١٩٧-٢٦٧

القسم الثاني:-
من قصائد الشيخ سيدي أحمد حبيب في إرشاد المريد و المعرفة بالله..................٢٦٨-٢٧٥
القسم الثالث:-
سند الطريقة الشريف..٢٧٦
القسم الرابع:-
جدول البحث : قائمة أبرز علماء الأمة و تفاصيل كتبهم-الذين قالوا بالتوسل بالنبي العدنان -ﷺ...٢٧٩

جميع الحقوق الملكية الأدبية محفوظة لدار التراث البوديلمي بكاليفورنيا–الولايات المتحدة الأمريكية. يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب و محتواه كاملاً أو مجزأ أو تسجيله أو إدخاله على الحسوب الإلكتروني أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيًّا لكل إجازات النشر–الرجاء الإتصال بـِ: دار التراث البوديلمي© – كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

رقم الهاتف:

+١ ٤١٥ ٢٥٠ ٢١٢٤

عنوان الإيمايل الإلكتروني:

Karim@tijarainternational.com

دارالتراث البوديلمي©